www.rewity.com
dodyadodo

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

الرواية التي احتلت المرتبة الأولى على قائمة «نيويورك تايمز» للكتب الأكثر مبيعاً

دين كونتز

DEAN KOONTZ

الزوج

THE HUSBAND

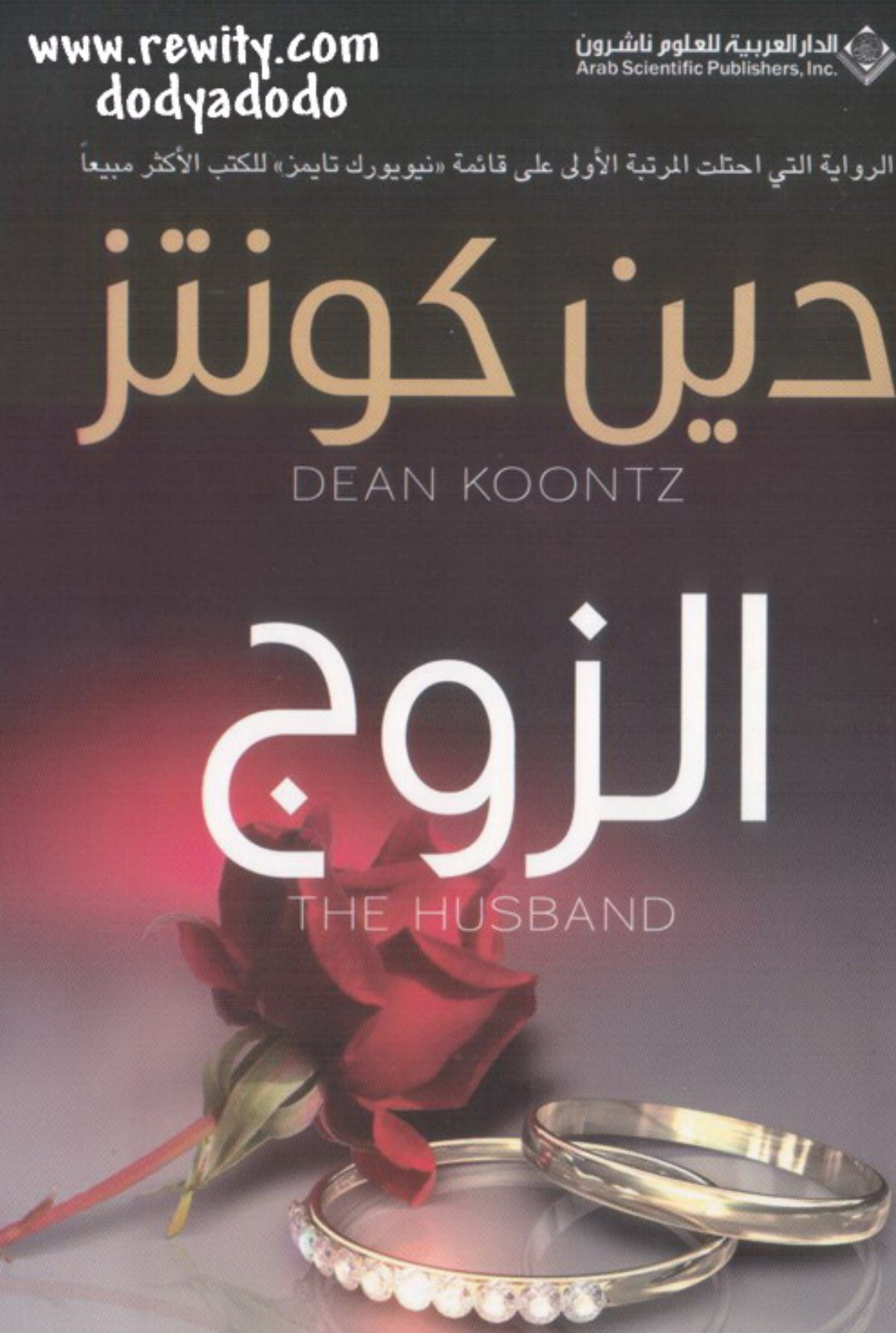

زوجتك في قبضتنا. يمكنك استعادتها مقابل مليونيّ دولار نقداً

زوجتك في قبضتنا. يمكنك استعادتها مقابل مليونيّ دولار نقداً.

ماذا تفعل لأجل الحب؟

هل تموت من أجل الحب؟ هل تقتل؟

بعد ظهر يوم عادي، تلقى رجل عادي – بستانيّ متواضع جداً – اتصالاً هاتفياً شكّل له أسوأ كابوس في حياته حيث بدا له أن المتصل جاد إلى أقصى الحدود. لم يبالِ المتصل إن كان بوسع ميتش جمع هذا القدر من المال. إنه واثق بأنه سيجد طريقة ما... إذا كان يحب زوجته كفاية...

وميتش يحب زوجته كثيراً. يحبها أكثر من الحياة نفسها. وهو يملك ستين ساعة فقط لإثبات ذلك. عليه تأمين المليوني دولار قبل الوقت المحدد. لكنه مستعد ليدفع أكثر من ذلك بكثير. سيدفع أي شيء.

من بدايتها إلى ذروتها المرهقة للأعصاب، تأخُذك رواية الزوج في رحلة مثيرة تحبس الأنفاس عند كل منعطف، ومع كل صدمة، وعند كل بوح. إنها في النهاية رواية دين كونتز. وما من تجربة أخرى مثلها.

www.rewity.com
dodyadodo

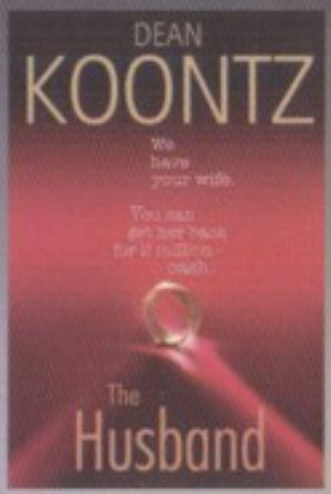

ISBN 978-614-01-0182-1
9 786140 101821

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات. كوم
www.nwf.com

تصميم الغلاف: سامح خلف

الزوج

THE HUSBAND

www.rewity.com
dodyadodo

الزوج

THE HUSBAND

www.rewity.com
dodyadodo

تأليف

دين كونتز

Dean Koontz

ترجمة

روي معوض

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

القسم الأول

ماذا تفعل مقابل الحب؟

1

يـــبدأ الرجل بالموت لحظة ولادته. ومعظم الناس يعيشون منكرين حـــق المـــوت إلى أن يصبحوا - لاحقاً في الحياة وفي أعماق المرض - مدركين لوجوده قربهم.

في الـــنهاية، ســـيتمكن ميتشال رافيرتي من تذكر الدقيقة التي بدأ يعرف فيها حتمية موته: الاثنين، 14 مايو، الساعة 11:43 قبل الظهر، قبل ثلاثة أسابيع من ذكرى ميلاده الثامنة والعشرين.

قـــبل ذلك الحين، نادراً ما فكّر في الموت. متفائل بطبعه، مفتون بجمال الطبيعة، ومسرور بالإنسانية، لا يملك سبباً أو ميلاً للتساؤل متى وكيف سيموت.

عندما تلقى الاتصال، كان راكعاً على ركبتيه.

بقيت أمامه ثلاثون ثلماً من الأزهار الحمراء والأرجوانية الواجب زراعتها وهي أزهار لا رائحة لها، لكنه أحب رائحة التربة الخصبة.

يحـــب ميـــتش زبائنه، وخصوصاً سيدات المنازل، اللواتي يطلبن الأزهـــار ذات الألـــوان المشبعة: الأحمر، الأرجواني، الأصفر الداكن، الوردي الداكن. لا يقبلن بالأزهار البيضاء أو الفاتحة؛ ميتش يفهمهن.

ترعرعوا فقراء، وأسسوا عملاً ناجحاً بالعمل بكد والمجازفة. بالنسبة إليهم، الحياة مضغوطة، وتعكس الألوان المشبعة حقيقة عنف الطبيعة.

في هـــذا الصباح العادي ظاهرياً وإنما الخطِر باطنياً، كانت شمس كاليفورنيا حارقة والسماء زرقاء صافية.

إلا أن الـــيوم الدافـــئ، وغـــير القاســـي، ترك آثار العرق على إيغناسيوس بارنـــز، حيث تلألأ حاجبه، وتقطر العرق من ذقنه.

عمـــل إيغـــي في ثلم الأزهار نفسه، على مسافة عشر أقدام من ميتش، وكان يبدو وكأنه يغلي. فالفترة الممتدة من شهر مايو حتى شهر يولـــيو، لا تـــستجيب بشرته للشمس بالميلانين وإنما بتوهج قوي. وفي سُدس السنة، قبل أن يسمرّ أخيراً، يبدو وكأنه محرج على الدوام.

لا يفهم إيغي أبداً التماثل والتناسق في تصميم المناظر الطبيعية، ولا يمكـــن الوثـــوق بـــه لتشذيب الأزهار كما يجب. إلا أنه يعمل بكدّ، وبصورة جيدة إذا لم يكن شارداً ذهنياً.

سأل إيغي: "هل سمعت بما حصل لرالف غاندي؟".

"من هو رالف غاندي؟".

"شقيق ميكي".

"ميكي غاندي؟ لا أعرفه أيضاً؟".

قـــال إيغـــي: "بلى تعرفه. ميكي الذي يذهب أحياناً إلى رولينغ ثاندر".

رولينغ ثاندر هو مشرب يرتاده راكبو الأمواج.

قال ميتش: "لم أذهب إلى هناك منذ أعوام".

"أعوام؟ هل أنت جاد؟".

"طبعاً".

"ظننت أنك لا تزال تذهب إلى هناك أحياناً".

"لقد فوتّ إذاً الكثير من الأمور، أليس كذلك؟".

"ســـأعترف أن أحـــداً لم يـــسمِ كرسي مشرب تيمناً بك. هل وجدت مكاناً آخر أفضل من رولينغ ثاندر؟".

سأل ميتش: "هل تذكر أنك أتيت إلى زفافي قبل ثلاثة أعوام؟".

"طبعاً. كانت هناك تاكو رائعة بثمار البحر، لكن الفرقة الموسيقية كانت فاشلة".

"لم تكن فاشلة".

"هاي، كان أعضاؤها يحملون دفوفاً صغيرة".

"كانت ميزانيتنا محدودة. على الأقل، لم يملكوا أكورديوناً".

"لأن عزف الأكورديون يتخطى مستوى مهاراتهم".

أحـــدث ميـــتش فجوة في التربة الرخوة. "لم يحملوا صنوجاً في الأصابع أيضاً".

مـــسح إيغـــي حاجبه بساعده، وقال: "لا بد أنني أملك جينات إسكيمو. أتصبب عرقاً في حرارة خمسين فهرنهايت".

قال ميتش: "لم أعد أذهب إلى المشارب. فأنا متزوج".

"نعم، لكن ألا يمكنك التوفيق بين الزواج والرولينغ ثاندر؟".

"أفضل التواجد في المنـــزل أكثر من أي مكان آخر".

قال إيغي: "آسف سيدي، هذا محزن".

"ليس محزناً، إنما الأفضل".

"إذا وضـــعت أســـداً في حديقة حيوانات لمدة ثلاث سنوات، أو ست سنوات، فلن ينسى أبداً طعم الحرية".

قـــال ميـــتش وهـــو يزرع الأزهار: "كيف عرفت؟ هل سألت أسداً؟".

"لا حاجة إلى ذلك، لأنني أسد".

"أنت أحمق ميؤوس منه".

"وأنـــا فخور بذلك. أنا مسرور لأنك وجدت هولي. إنها سيدة رائعة. لكنني أملك حريتي".

"هذا جيد، إيغي. وماذا تفعل بها؟".

"أفعل بماذا؟".

"حريتك. ماذا تفعل بحريتك؟".

"أي شيء أريده".

"مثلاً؟".

"أي شيء. مثلاً، إذا أردت بيتزا بالنقانق للعشاء، لست بحاجة إلى سؤال أحد عما يريده".

"مهم".

"إذا أردت الـــذهاب إلى روليـــنغ ثاندر لتناول القليل من شراب الشعير، لا يوجد أحد ليوبخني".

"هولي لا توبخ".

"أســـتطيع احتساء شراب الشعير كل ليلة إذا أردت، ولن يتصل بـــي أحد كي يسألني متى سأعود إلى المنـــزل".

بدأ ميتش يدندن لحن *ولدت حراً*.

قـــال إيغـــي: "بعـــض النساء يأتين إليّ أحياناً. وأستطيع اللف والدوران مثلما أريد".

"يأتين إليك طوال الوقت، أليس كذلك؟".

"النـــساء جـــريئات هـــذه الأيـــام، صديقي. يرون ما يردنه، ويأخذنه".

قال ميتش: "إيغي، آخر مرة قاربت فيها امرأة، كان جون كيري يظن نفسه أنه سيصبح رئيساً".

"ليس هذا منذ زمن طويل".

"ماذا حصل لرالف؟".

"من رالف؟".

"شقيق ميكي غاندي؟".

"أوه، نعم. قضمت إيغوانا أنفه".

"مؤسف".

"بعض الرياضيين المهووسين كانوا يتدربون، فذهب رالف وبعض الرجال لركوب الأمواج ليلاً في الويدج".

الويدج هو مكان مشهور لركوب الأمواج في طرف شبه جزيرة بالبوا، في شاطئ نيوبورت.

قـــال إيغـــي: "مـــلأوا براداتهم بسندويشات السلامارين وشراب الشعير، وأحضر واحد منهم مينغ".

"مينغ؟".

"الإيغوانا".

"إذاً، إنها حيوان أليف".

"مينغ، لطالما كانت لطيفة قبلاً".

"أعتقد أن العظايات مزاجية".

"لا. إنها عاطفية. ما حصل هو أن رجلاً ما، وليس راكب أمواج، كان يتنـــزه وأعطى مينغ ربع جرعة من الميثادون في قطعة سلامي".

قال ميتش: "تسريع الزواحف هو فكرة سيئة".

أكـــد إيغـــي: "أصبحت مينغ حيواناً مختلفاً تماماً عن مينغ الرزينة والمرتبة".

وضـــع ميتش مالجه جانباً، وجلس القرفصاء وقال: "أصبح الآن رالف غاندي إذاً من دون أنف؟".

"لم تأكل مينغ الأنف، بل قضمته وبصقته فقط".

"ربما لا تحب الطعام الهندي".

"كان معهم براد كبير مليء بشراب الشعير والماء شديد البرودة. وضعوا الأنف في البراد وأسرعوا به إلى المستشفى".

"هل أخذوا رالف أيضاً؟".

"عليهم أخذ رالف. إنه أنفه".

قال ميتش: "حسناً. نحن نتحدث عن حمقى".

"قالوا إن الأنف كان أزرق عندما أخرجوه من الماء البارد، لكن جراحاً تجميلياً أعاده إلى مكانه، و لم يعد الآن أزرق".

"ماذا حصل لمينغ؟".

"تقـــيأت. كانت على غير عادتها طوال اليوم. لكنها عادت الآن إلى طبيعتها".

"هذا جيد. ربما يصعب العثور على عيادة لإعادة تأهيل عظايات الإيغوانا".

وقـــف ميتش على قدميه، وسحب ثلاث دزينات من أوعية النباتات البلاستيكية الفارغة، وحملها إلى شاحنته، حيث ركنت عند حافة الطريق، تحت ظل شجرة غار هندية. وبالرغم من أنه جرى بناء الضاحية قبل خمسة أعـــوام فقط، رفعت الشجرة الكبيرة الرصيف. في النهاية، ستسدّ جذورها المصافي، وتجتاح نظام تصريف مياه المجاري. وسيكلف قرار مطور المشروع تـــوفير مئة دولار وعدم تركيب حاجز للجذور، عشرات الآلاف لإنجاز أعمال السمكريين، ومصممي الأراضي، ومتعهدي البناء.

عـــندما يـــزرع ميتش شجرة غار هندية، يستخدم دوماً حاجزاً للجـــذور. لا يحتاج إلى ترتيب عمل مستقبلي لنفسه. فالطبيعة الخضراء تبقيه مشغولاً.

كـــان الشارع صامتاً وخالياً من السيارات، و لم تحرك أي نسمة خفـــيفة أغصان الأشجار. وعلى مسافة مبنى واحد، في الطرف الآخر من الشارع، اقترب رجل مع كلبه، الذي أمضى - وهو كلب صيد - وقـــتاً في المـــشي أقل مما فعل في شم الفضلات التي تركتها الحيوانات الأخرى من نوعه. كان الصمت قوياً جداً بحيث اعتقد ميتش أن بوسعه سمـــاع لهاث الكلب البعيد. فلا يستطيع ميتش رافيرتي شراء منـــزل في

هـــذه الضاحية. إنه راضٍ بتمكنه من العمل هنا؛ قد تحب الفن العظيم، لكنك لا ترغب في العيش في متحف.

رأى رأس مرشـــة مكـــسورة عند التقاء المرج بالرصيف. أخرج أدواتـــه مـــن الشاحنة وركع على العشب، آخذاً استراحة من زراعة الأزهـــار، حـــين رن هاتفـــه الخلوي. رفعه من حزامه وفتحه. الوقت واضح - 11:43 - لكن، لم يظهر رقم المتصل على الشاشة. لكنه ردّ على الاتصال على كل حال.

قال: "الأخضر الكبير". وهو الاسم الذي أعطاه لعمله المؤلف من شخصين قبل تسعة أعوام، بالرغم من أنه لم يعد يذكر السبب.

قالت هولي: "ميتش، أنا أحبك".

"مرحباً حبيبتي".

"مهما يحصل، أنا أحبك".

بكت ألماً. أوحى صوت قعقعة وفوضى بعراك.

وقف ميتش على قدميه متنبهاً: "هولي؟".

قـــال رجل شيئاً ما، رجل أمسك الآن بالهاتف. لم يسمع ميتش الكلمات لأنه ركّز على ضجيج في الخلفية.

صرخت هولي مذعورة. لم يسمع منها قبلاً مثل هذه الصرخة، أو يشعر بأنها خائفة هكذا.

قالـــت: "أيها الحقير". ثم صمتت نتيجة ضربة قوية، كما لو أنه جرى صفعها.

قال الغريب على الهاتف: "هل تسمعني رافيرتي؟".

"هولي؟ أين هولي؟".

تحدث الآن الرجل بعيداً عن الهاتف، وليس إلى ميتش: "لا تكوني غبية. ابقي على الأرض".

تحدث رجل آخر في الخلفية، وكانت كلماته غير واضحة.

قـــال الـــرجل الذي يحمل الهاتف: "عندما تنهض، اضربها. هل تريدين خسارة بعض الأسنان حبيبتي؟".

إنها مع رجلين. أحدهما ضربها. قام بضربها.

لم يـــستطع ميتش استيعاب الوضع. أصبحت الحقيقة فجأة محيرة مثل كابوس.

الإيغوانا المجنونة حقيقية أكثر من هذا.

قـــرب المنـــــزل، زرع إيغي الأزهار، وقد تصبب عرقاً، واحمر وجهه من الشمس. كان صامداً أكثر من أي وقت مضى.

"هذا أفضل، عزيزتي. أنت جيدة".

لم يـــستطع ميتش التنفس. ثمة وزن كبير ضغط على رئتيه. حاول الكـــلام لكنه لم يستطع العثور على صوته، ولم يعرف ماذا يقول. هنا تحت الشمس الساطعة، شعر أنه في تابوت، حيّ مدفون.

قال الرجل عبر الهاتف: "زوجتك معنا".

سمع ميتش نفسه يسأل: "لماذا؟".

"لماذا برأيك أيها الأحمق؟".

لم يعـــرف ميـــتش لماذا. لا يريد أن يعرف. لا يريد أن يفكر في جواب لأن كلّ جواب محتملٍ هو رعب.

"أنا أزرع أزهاراً".

"ما المشكلة معك رافيرتي؟".

"هذا ما أفعله. أزرع أزهاراً. أصلح مرشات".

"هل أنت مصاب بالدوار أو ما شابه؟".

"أنا مجرد بستاني".

"زوجتك معنا. يمكنك استعادتها مقابل مليوني دولار نقداً".

عرف ميتش أنها ليست مزحة. لو كانت مزحة، لانضمت هولي إليها، لكن حسها للدعابة ليس قوياً.

"لقد ارتكبت خطأً".

"هل سمعت ما قلته؟ أريد مليونين".

"أنت من لا يسمعني يا رجل. أنا بستاني".

"نعرف".

"أملك نحو أحد عشر ألف دولار في المصرف".

"نعرف".

غـــرق في الخوف والارتباك، فلم يعد لدى ميتش مجال للغضب. وجد نفسه مجبراً على التوضيح، لنفسه ربما أكثر مما للمتصل، قال: "أنا أدير عملاً من شخصين فقط".

"تنتهـــي المهلة عند منتصف ليل الأربعاء. ستون ساعة. سنتصل بك لإعطائك التفاصيل".

كـــان ميتش يتصبب عرقاً. "هذا جنون. من أين سأجلب المليونيّ دولار؟".

"ستجد طريقة".

كان صوت الغريب قاسياً، وعنيداً أيضاً.

قال ميتش: "هذا ليس ممكناً".

"هل تريد سماعها تصرخ مجدداً؟".

"لا. لا تفعل".

"هل تحبها؟".

"نعم".

"هل تحبها فعلاً؟".

"إنها كل شيء بالنسبة إلي".

كـــم غـــريباً، إذ يفترض به أن يتصبب عرقاً أكثر، لكنه يشعر بالبرد.

قـــال الغـــريب: "إذا كانت كل شيء بالنسبة إليك، ستجد إذاً طريقة".

"لا توجد طريقة".

"إذا ذهـــبت إلى الـــشرطة، سنقطع أصابعها الواحد تلو الآخر، ونكـــويها. ســـنقطع لسانها. ونقتلع عينيها. ثم نتركها وحدها لتموت بسرعة أو ببطء مثلما تريد".

تحـــدث الغريب من دون تهديد، بنبرة عادية جداً، كما لو أنه لا يصدر تهديداً، وإنما يشرح بدلاً من ذلك تفاصيل عمله.

لا يملك ميتشال رافيرتي خبرة في التعامل مع مثل هؤلاء الرجال. شعر وكأنه يتحدث إلى زائر من الطرف البعيد للمجرة.

لم يستطع التكلم لأنه بدا فجأة أنه قد يقول بسهولة الشيء الخطأ ويضمن موت هولي عاجلاً وليس آجلاً.

قال الخاطف: "لتتأكد فقط من أننا جادون...".

بعد صمت، سأل ميتش: "ماذا؟".

"هل رأيت ذلك الرجل في الشارع؟".

اســـتدار ميـــتش، ورأى شخصاً واحداً، الرجل الذي يمشي مع الكلب. تقدما مسافة نصف مبنى.

كـــان الـــنهار المـــشمس صافياً تماماً. خرق صوت إطلاق النار الصمت، فوقع الرجل أرضاً بعدما أصيب في رأسه.

قـــال الـــرجل عبر الهاتف: "منتصف ليل الأربعاء. نحن جادون تماماً".

2

وقف الكلب في مكانه؛ مخلب مرفوع، ذيل ممدود وإنما من دون حركة، وأنف مرفوع لشم رائحة.

في الحقـــيقة، لم يلمح كلب الصيد الذهبـــي القناص. توقف في منتصف خطوته، مذهولاً بانهيار صاحبه، مجمداً من الارتباك.

مباشرة عبر الطرف الآخر من الشارع، وقف ميتش مشلولاً. أنهى الخاطف الاتصال، لكن ميتش لا يزال يضع الهاتف الخلوي على أذنه.

تفيد الخرافة إنه طالما بقي الشارع ساكناً، وطالما أنه لم يتحرك لا هـــو ولا الكلب، يمكن عكس العنف وإعادة الزمن إلى الخلف، وإعادة الرصاصة إلى البندقية.

لكـــن المـــنطق يخون التفكير الخرافي. اجتاز الشارع، بسرعة في البداية، ثم ركضاً.

إذا كان الرجل الواقع أرضاً مجروحاً، يمكن فعل شيء لإنقاذه.

فيما اقترب ميتش، رحب به الكلب بتلويح واحد من ذيله.

لمحة سريعة على الضحية بددت أي أمل بأن الإسعافات الأولية قد تبقيه على قيد الحياة إلى حين وصول رجال الإسعاف. لقد تحطم جزء كبير من جمجمته.

بما أنه غير معتاد على العنف الحقيقي، وإنما فقط على العنف المحرر والمحلـــل والمـــبرر في أخـــبار التلفـــزيون، والعنف المتحرك في الأفلام السينمائية، أصبح ميتش عاجزاً أمام هذا الرعب. أكثر من الرعب، وقد جمدته الصدمة.

أكثـــر من الرعب، فقد جمده الإدراك المفاجئ لأبعاد لم يشعر بها قـــبلاً. كـــان أشبه بجرذ في متاهة محكمة، للمرة الأولى ينظر أبعد من

الممـــرات المألوفة، ويرى عالماً وراء الغطاء الزجاجي، أشكالاً وأشياء، حركة غامضة.

ارتجـــف الكلـــب الذهبـــــي وهـــو مستلقٍ على الأرض قرب صاحبه.

أحس ميتش أنه برفقة شخص آخر غير الكلب، شعر أنه مراقب، ولكن أكثر من مراقب. قيد التمعن. قيد الفحص. قيد الملاحقة.

كان قلبه يخفق بقوة كبيرة.

نظـــر حوله، لكنه لم يرَ مسلحاً. يحتمل أنه تم إطلاق النار من أي منـــزل، من أي سطح أو نافذة، أو من وراء سيارة مركونة.

علـــى كل حال، الوجود الذي أحسه لم يكن وجود القناص. لم يـــشعر أنـــه مـــراقب من بعيد، وإنما من نقطة قريبة جداً. شعر وكأن شخصاً يحوم فوقه.

أكثر من نصف دقيقة مرت تقريباً على قتل صاحب الكلب.

صـــوت البندقـــية لم يدفع أحداً إلى الخروج من أي من المنازل الجميلة. في هذه الضاحية، يتم اعتبار صوت الرصاص بمثابة باب مغلق بقوة، بحيث يتم تجاهله حتى لو تم سماعه.

عبر الشارع، في منـــزل الزبون، وقف إيغي بارنـــز على قدميه. لم يـــبدُ مـــرعوباً، وإنما فقط مرتبك، كما لو أنه سمع هو أيضاً باباً و لم يفهم معنى الرجل الساقط والكلب الحزين.

منتـــصف ليل الأربعاء. ستون ساعة. الوقت على نار، والدقائق تحترق. لا يستطيع ميتش السماح للساعات بالتحول إلى رماد فيما هو مقيد بتحقيق شرطة.

علـــى الرصـــيف، ثمـــة رتل من النمل بدّل مساره، وزحف نحو الوليمة ضمن الجمجمة المبعثرة.

في سماء صافية بمعظمها، مرّت سحابة نادرة أمام الشمس. أصبح النهار شاحباً. خبت الظلال.

شـــعر ميـــتش بالقشعريرة، فاستدار بعيداً عن الجثة، ونـــزل عن الرصيف، وركض مسرعاً.

لا يـــستطيع هـــو وإيغي تحميل الأزهار غير المزروعة في الشاحنة والـــذهاب بعيداً. قد لا يتمكنان من فعل ذلك قبل أن يأتي أحد ويرى الـــرجل المـــيت. لا مبالاتهما تجاه الضحية وهروبهما قد يوحيان ببعض الذنب حتى لأكثر شخص عادي، وخصوصاً للشرطة.

الهاتف الخلوي، المغلق، بقي في يد ميتش. أمسكه بخوف.

إذا ذهبت إلى الشرطة، سنقطع أصابعها الواحد تلو الآخر...

يتوقع منه الخاطفون إبلاغ السلطات أو انتظار شخص آخر لفعل ذلك. لكن يمنع ذكر أي شيء عن هولي أو الخطف، أو عن حقيقة قتل صاحب الكلب كإثبات لميتش.

بالفعـــل، وضعه أعداؤه المجهولون في هذه الورطة عمداً لاختبار قدرتـــه علـــى إبقاء فمه مغلقاً حين يكون في أكبر صدمة وفاقداً على الأرجح لسيطرته على نفسه.

فتح الهاتف. وعلى الشاشة صورة سمكة ملونة في مياه داكنة.

بعد طلب الرقمين 9 و1، تردد ميتش، ثم ضغط على الرقم الأخير.

رمى إيغي ماجله، وتقدم نحو الشارع.

عندما أجابت عاملة هاتف الشرطة بعد الرنة الثانية، أدرك ميتش أنـــه مـــنذ اللحظة التي رأى فيها رأس الرجل الميت محطماً، كان نفسه شـــاقاً ومـــنهكاً. للحظات، لم تخرج منه الكلمات، ثم نفخها بصوت خشن بالكاد تعرف إليه.

"تم قتل رجل. أنا ميت. أقصد إنه ميت. تم قتله، وهو ميت".

3

وضعت الشرطة طوقاً حول طرفيّ المبنى. سيارات شرطة، عربات تحقيق، وعربة لدفن الموتى موزعة كلها في الشارع بلامبالاة فهي جميعاً لا تنطبق عليها القوانين الخاصة بركن السيارات.

تحت الشمس الحارقة، سطع زجاج السيارات وتوهجت الأجزاء المعدنية المصقولة. لم تبقَ أي سحابة لتكوّن رقعة القرصان، وكان النور شديداً.

وضع رجال الشرطة نظارات شمسية. تحت العدسات الداكنة، ربما نظـــروا بطريقة مشككة إلى ميتشال رافيرتي، أو ربما كانوا غير مبالين تجاهه.

أمام منـــزل زبونه، جلس ميتش على العشب، وأسند ظهره على جذع شجرة نخيل.

بـــين الحين والآخر، سمع جرذاناً تخربش في أعلى الشجرة. فهي تحب إعداد عش عالٍ لها في شجرة النخيل، بين التاج والأوراق.

الظـــلال الخفـــيفة للسعف لم تمنحه الإحساس بأنه أصبح منظوراً أقل. شعر وكأنه على مسرح.

خلال ساعتين، تم استجوابه مرتين. استجوبه تحريان يرتديان ثياباً عادية في المرة الأولى، وتحرٍّ واحد في المرة الثانية.

رأى أنه برّأ نفسه جيداً. لكنهم لم يقولوا له إنه يستطيع الذهاب.

لغايـــة الآن، تم استجواب إيغي مرة واحدة فقط. لا يملك زوجة تحت الخطر، ولا شيء ليخفيه. بالإضافة إلى ذلك، يملك إيغي موهبة في خيـــبة الأمـــل أقـــل ممـــا يفعل ابن الست سنوات، واتضح هذا جلياً للمحققين.

ربما كان اهتمام رجال الشرطة بميتش علامة سيئة. أو ربما لا يعني أي شيء.

قـــبل أكثر من ساعة، عاد إيغي إلى ثلم الأزهار. انتهى تقريباً من زراعتها.

كان ميتش يفضل لو أنه بقي مشغولاً بالزراعة. قلة النشاط هذه جعلته مدركاً تماماً لمرور الوقت: مرت ساعتان من الستين ساعة.

أوضح المحققون بصرامة أنه يجب إبقاء إيغي وميتش منفصلين لأنه، بكل براءة، إذا تحدثا معاً بشأن الجريمة، قد يطابقان ذكرياتهما عن غير قصد، ما يفضي إلى خسارة تفصيل مهم في شهادة الأول أو الثاني.

قـــد تكون هذه الحقيقة أو الخدعة. سبب إبقائهما منفصلين قد يكون أكثر شؤماً، لعزل ميتش وضمان بقائه من دون توازن. لم يضع أي مـــن التحـــريين نظـــارات شمسية، لكن ميتش لم يتمكن من قراءة عيونهم.

جالساً تحت شجرة النخيل، أجرى ثلاثة اتصالات هاتفية، الأول برقم منـــزله. ردت الآلة المجيبة.

بعد الرنة الاعتيادية، قال: "هولي، هل أنتِ هناك؟".

لن يجازف خاطفوها بإبقائها في منـــزلها.

إلا أن ميتش قال: "إذا كنت هناك، أرجوك ارفعي السماعة".

كـــان في حالـــة إنكـــار لأن الوضع غير منطقي. لا يستهدف الخاطفون نساء رجال يقلقون بشأن سعر البنـــزين والحاجيات.

أنت من لا يسمعني يا رجل. أنا بستاني.

نعرف.

أملك نحو أحد عشر ألف دولار في المصرف.

نعرف.

لا بد من أنهم مجانين. متوهمون. مخططهم مرتكز على وهم مجنون لا يستطيع فهمه أي شخص عاقل.

أو لـــديهم خطة لم يكشفوها بعد له. ربما يريدونه أن يسلب لهم مصرفاً.

تذكر قصة في الأخبار، قبل عامين تقريباً، عن رجل بريء سرق مـــصرفاً فـــيما كان يضع طوقاً من المتفجرات. المجرمون الذين زنروه بالمتفجرات حاولوا استخدامه بمثابة رجل آلي يعمل بالتحكم عن بعد. وعـــندما حاصرت الشرطة الرجل المسكين، فجر المجرمون الطوق عن بعد، فقتلوه كي لا يشهد أبداً ضدهم.

مـــشكلة واحدة. ما من مصرف يملك مليونيّ دولار نقداً، أو في أدراج الموظفين، ولا حتى في الخزنة ربما.

بعـــدما لم يحـــصل علـــى أي جواب من اتصاله بمنـــزله، جرب الهاتف الخلوي لهولي، لكنه لم يتمكن من الوصول إليها على هذا الرقم.

اتـــصل أيـــضاً بمكتب ريلتور حيث تعمل هولي كسكرتيرة فيما تدرس للحصول على شهادتها في مجال العقارات.

قالـــت ســـكرتيرة أخرى، نانسي فاراساند: "اتصلت للقول إنها مريضة، ميتش. ألا تعرف؟".

أجـــاب كاذبـــاً: "عندما غادرت المنـــزل هذا الصباح، كانت منـــزعجة قليلاً، لكنها ظنت أن العارض سيمرّ".

"لم يمرّ. قالت إنها إنفلونـــزا الصيف. كانت خائبة الأمل كثيراً".

قال: "من الأفضل أن أتصل بها في المنـــزل"، لكنه فعل ذلك من دون شك.

تحـــدث إلى نانسي قبل أكثر من تسعين دقيقة، بين المحادثات مع المحققين.

الدقائـــق المارة تحلّ عقرب الساعة، لكنها قيدت ميتش بإحكام. شعر وكأن شيئاً داخل رأسه سينفجر.

عـــادت إلـــيه نحلة طنانة كبيرة بين الحين والآخر، بحيث حامت حوله، واقتربت منه، منجذبة ربما إلى قميصه الأصفر القطني.

عبر الشارع، قرب المبنى، وقف رجل وامرأتان على مرج أمامي، يراقبون الشرطة: اجتمع الجيران على الدراما. إنهم موجودون هناك منذ أن دفعتهم صفارات الإنذار للخروج.

قـــبل وقـــت غير طويل، دخل أحدهم منـــزلاً، وعاد مع صينية علـــيها كـــؤوس زجاجـــية مليئة على ما يبدو بالشاي المثلج. تلألأت الكؤوس تحت أشعة الشمس.

في وقـــت ســـابق، عـــبر التحريون الشارع لاستجواب هؤلاء الأشخاص الثلاثة. استجوبوهم مرة واحدة فقط.

وقـــف الآن الثلاثة يرتشفون الشاي، يتحدثون، كما لو أنهم غير معنـــيين بقـــتل قناص لشخص كان يمشي في منطقتهم. بدوا وكأنهم يـــستمتعون بهـــذه الفترة الفاصلة، كما لو أنها استراحة مرحب بها من روتينهم الاعتيادي حتى لو جاءت على حساب حياة.

بالنـــسبة إلى ميـــتش، قضى الجيران وقتاً في التحديق إليه أكثر مما فعلـــوا في التحديق إلى أي من رجال الشرطة أو التحريين. تساءل إذا سألهم التحريون عنه.

لم يستفد أي منهم من خدمات *الأخضر الكبير* قبلاً. بين الحين والآخـــر، كانـــوا يـــرونه في المنطقة لأنه يهتم بأربعة منازل في هذا الشارع.

لم يستلطفهم ميتش لأنهم بدوا وكأنهم يستمتعون بأنفسهم، وليس بـــسبب ما قالوه ربما للشرطة عنه. لم يستلطف الثلاثة – لا بل استاء

منهم – لأن حياتهم لا تزال منظمة، لأنهم لا يعيشون تحت خطر عنف وشيك ضد شخص يحبونه.

يملـــك حقـــده قيمة معينة، بالرغم من أنه غير عقلاني. ألهاه عن خوفه على هولي، مثلما فعل تحليله المستمر لتصرفات التحريين.

إذا تجرأ على منح نفسه حرية القلق على زوجته، سينهار. وليست هذه مبالغة. تفاجأ بمدى شعوره بالضعف، مثلما لم يشعر أبداً من قبل.

في كـــل مـــرة ظهر وجهها في عقله، توجب عليه حذف الصورة بسبب احمرار عينيه وارتجاج رؤيته. شعر أن قلبه يخفق بإيقاع قوي سريع.

عرض عاطفي، غير متناسب مع صدمة رؤية رجل مقتول، يستلزم شـــرحاً. لا يجرؤ على كشف الحقيقة، ولا يثق في نفسه لابتكار شرح يقنع رجال الشرطة.

أحد رجال التحري – مورتونسون – انتعل حذاء رسمياً وارتدى سروالاً أسود وقميصاً أزرق شاحباً. كان طويلاً، وقوي البنية، وعملياً جداً.

التحـــري الآخر – الملازم تاغارت – انتعل حذاء أبيض وارتدى سروالاً رياضياً وقميصاً مطبعاً بالأحمر والبني. كانت طلته أقل هيبة من مورتونسون، وأسلوبه رسمي بصورة أقل.

خـــوف ميـــتش من تاغارت تخطى قلقه من مورتونسون الأكثر هيـــبة. فـــالملازم قص شعره بدقة، وحلق ذقنه بنعومة، ولمعت أسنانه بـــصورة مثالية، وأوحى حذاؤه الأبيض الخالي من البقع أنه يعتمد طلة عفـــوية وأســـلوباً مسترخياً للتضليل ولبعث الراحة في المشتبه بهم غير المحظوظين كفاية لأنهم وقعوا في قبضته.

اســـتجوب التحـــريان ميـــتش في البداية بالتناوب. لاحقاً، عاد تاغـــارت وحـــده، لجعل ميتش *يصقل* شيئاً قاله قبلاً. في الواقع، كرر

الملازم كل سؤال طرحه هو ومورتونسون قبلاً، مستبقاً ربما التناقضات بين أجوبة ميتش وتلك التي أعطاها قبلاً.

لا شـــك في أن ميتش شاهد. لكن بالنسبة إلى شرطي، عند عدم تحديد القاتل، يعتبر كل شاهد بمثابة مشتبه به أيضاً.

لا يملك سبباً لقتل غريب يتنـــزه مع كلبه. حتى لو كانوا مجانين كفايـــة للظن أنه قد يفعل ذلك، عليهم الاعتقاد أن إيغي شريكه أيضاً. لكن إيغي لم يهمهم على الإطلاق.

على الأرجح، وبالرغم من أنهم يعرفون بأنه ليس له علاقة بالقتل، علموا بالفطرة أنه يخفي شيئاً ما.

هـــا قد عاد الآن تاغارت مجدداً، وكان حذاؤه أبيض كثيراً بحيث بدا متألقاً.

فـــيما اقتـــرب الملازم، وقف ميتش على قدميه، منهكاً ومغموراً بالقلق، لكنه حاول أن يبدو فقط متعباً ومتململاً.

4

كـــشف التحـــري تاغارت عن اسمرار جميل يتطابق مع قميصه المطـــبعة. بالتناقض مع وجهه الأسمر، كانت أسنانه بيضاء مثل المنطقة القطبية.

"أنا آسف على كل هذا الإزعاج، سيد رافيرتي. لكنني أريد طرح بعض الأسئلة الإضافية، ويمكنك بعدها الذهاب".

كـــان بوســـع ميتش الإجابة بهزة كتف أو إيماءة. لكنه ظن أن الصمت قد يبدو غريباً، وأن رجلاً لا يملك شيئاً لإخفائه يكون مستعداً لإعطاء المعلومات.

بعـــد تـــردد طـــويل كفاية للإيحاء بحسابات، قال: "لا أتذمر أيهـــا الملازم. كان يمكن أن أقتل أنا. إنني شاكر ممتن لأنني على قيد الحياة".

حـــاول التحري الحفاظ على طلته العفوية، لكن عينيه لمعتا مثل عينيّ الطائر الجارح، مثل النسر. "لماذا تقول ذلك؟".

"حسناً، إذا كان قتلاً عشوائياً...".

قـــال تاغارت: "لا نعرف إذا كان هكذا. في الواقع، تشير الأدلة إلى حسابات باردة. طلقة واحدة، في المكان المثالي".

"ألا يمكن لمجنون يحمل مسدساً أن يكون قناصاً بارعاً؟".

"طـــبعاً. لكـــن المجـــانين يرغبون عادة في تسجيل أكبر عدد من الـــنقاط. المريض النفسي الحامل لبندقية لكان قتلك أنت أيضاً. عرف ذلك الرجل تماماً من أراد أن يقتل".

بطريقة غير عقلانية، شعر ميتش ببعض المسؤولية على الموت. تم ارتكـــاب هذه الجريمة للتأكد من أخذ الخاطف على محمل الجد وعدم طلب مساعدة الشرطة.

ربما شمّ التحري رائحة هذا الذنب اللامكسوب وإنما الموجود.

ألقى ميتش نظرة على الجثة عبر الشارع، التي لا يزال يعمل حولها المحققون، وقال: "من هو الضحية؟".

"لا نعرف بعد. لا يحمل بطاقة هوية. لا محفظة. هل تظن أن هذا غريب؟".

"عند الخروج لمجرد التنـــزه مع الكلب، لا تحتاج إلى محفظة".

قـــال تاغـــارت: "إنها عادة الرجل العادي. حتى لو كان يغسل السيارة أمام منـــزله، يحمل محفظته".

"كيف ستتعرفون إليه؟".

"لا تـــوجد رخـــصة على طوق الكلب. لكن الكلب من نوعية ممـــتازة، ولذلك يحتمل وجود رقاقة مجهرية مغروسة في جسمه. ما إن نحصل على ماسحة، سنتأكد".

تم نقـــل الكلب إلى هذه الجهة من الشارع، وجرى ربطه بعمود صندوق بريد، فارتاح في الظل وحظي بانتباه المعجبين.

ابتسم تاغارت. "كلاب الصيد هي الأفضل. كنت أملك واحداً عندما كنت صغيراً. أحببت ذلك الكلب".

عـــاد انتباهه إلى ميتش. بقيت ابتسامته في مكانها، لكنها تغيرت نـــوعاً ما. "بشأن تلك الأسئلة التي ذكرتها، هل كنت في الجيش سيد رافيرتي؟".

"الجـــيش؟ لا. عملت في جز العشب في شركة أخرى، وأخذت بعـــض الدروس في علم الزراعة، وأنشأت عملي الخاص بعد سنة من تخرجي من الثانوية".

"تصورت أنك عسكري سابق، لأن إطلاق النار لم يخيفك".

طمأنه ميتش: "بلى، أخافني".

نظرة تاغارت المباشرة هدفت إلى التهويل.

كمـــا لـــو أن عينيّ ميتش هما عدستان شفافتان تنكشف عبرهما أفكـــاره مـــثل الجـــراثيم تحت المجهر، شعر أنه مجبر على تفادي نظرة التحري، لكنه أحس أنه لا يجرؤ على ذلك.

قـــال تاغارت: "سمعت صوت إطلاق نار، ورأيت رجلاً يموت، لكنك أسرعت في عبور الشارع، داخلاً خط النار".

"لم أكن أعرف أنه ميت. ظننت أنه بوسعي فعل شيء له".

"هذا جدير بالإطراء. معظم الناس كانوا ليهربوا".

"هاي، أنا لست بطلاً. تغلبت فطرتي فقط على منطقي".

www.rewity.com dodyadodo

"ربما هذا هو البطل؛ الشخص الذي يفعل الشيء الصحيح بطريقة فطرية".

تجرأ ميتش على النظر بعيداً عن تاغارت، على أمل أن يُفهم هذا الهروب، في هذا السياق، بمثابة خجل. "كنت غبياً، أيها الملازم، وليس شجاعاً. لم أتوقف للتفكير في أنني قد أكون في خطر".

"ماذا؟ هل ظننت أنه تم قتله عن غير قصد؟".

"لا. ربمـــا. لا أعـــرف. لم أفكر في أي شيء. لم أفكر. تصرفت فقط".

"لكن لم تشعر فعلاً أنك كنت في خطر؟".

"لا".

"لم تدرك ذلك حتى عندما رأيت رأسه مصاباً؟".

"ربما قليلاً. شعرت بالقرف تحديداً".

جـــاءت الأسئلة بسرعة كبيرة. شعر ميتش أنه فقد التوازن. قد يكشف عن غير قصد أنه يعرف لماذا تم قتل صاحب الكلب.

عادت النحلة الطنانة بتصفيق جناحيها. لم تكترث لتاغارت، وإنما حامت قرب وجه ميتش، كما لو أنها تشهد على كلامه.

تابع تاغارت: "رأيت الرأس مصاباً، لكنك لم تقرب".

"لا".

"لماذا؟".

"ربما اعتقدت أنه إذا لم يقتلني أحد لغاية الآن، لن يقتلني إذاً".

"لم تشعر أنك في خطر؟".

"لا".

قلـــب تاغـــارت صفحات دفتره الصغير وقال: "أخبرت عاملة الهاتف 911 أنك ميت".

تفاجأ ميتش ونظر مجدداً إلى عينيّ التحري. "إنني ميت؟".

قـــرأ تاغارت الدفتر: "تم قتل رجل. أنا ميت. أقصد إنه ميت. تم قتله، وهو ميت".

"هل هذا ما قلته؟".

"سمعـــت التـــسجيل. كنت مقطوع الأنفاس. بدوت مذعوراً تماماً".

نسي ميتش أنه يتم تسجيل الاتصالات الواردة على الرقم 911.

"أظن أنني كنت خائفاً أكثر مما أذكر".

"بدا جلياً أنك شعرت بالخطر على نفسك، لكنك لم تقرب".

سواء أستطاع تاغارت أم لا قراءة أي شيء من أفكار ميتش، تم إغـــلاق صفحات عقل التحري، وكشفت عيناه عن لون أزرق دافئ وإنما فاتن.

قال التحري مجدداً: *"أنا ميت"*.

"زلة لسان. بسبب الارتباك، الذعر".

نظـــر تاغـــارت إلى الكلب مجدداً، وابتسم مجدداً. بصوت أكثر نعومة من السابق، قال: "هل من شيء آخر كان يجدر بـــي أن أسألك إياه؟ هل من شيء آخر تريد قوله؟".

في الذاكرة، سمع ميتش صرخة ألم هولي.

يهـــدد الخاطفـــون دوماً بقتل رهائنهم إذا تم استدعاء الشرطة. للفوز، لا يجدر بك لعب اللعبة وفق قواعدهم.

ستتـــصل الـــشرطة بمكـــتب التحقيقات الفدرالية. يملك مكتب التحقيقات الفدرالية خبرة واسعة في قضايا الخطف.

بما أن ميتش لا يملك سبيلاً لتوفير المليونين، ستشك الشرطة أولاً في روايته. لكن عندما يتصل الخاطفون مجدداً، ستقتنع.

مـــاذا لو لم يأتِ الاتصال الثاني؟ ماذا لو عرف الخاطف أن ميتش لجـــأ إلى الـــشرطة ونفذ تهديده، وعذب هولي، وقتلها، و لم يتصل أبداً مجدداً؟

قد يظنون بعدها أن ميتش اخترع قصة الخطف لإخفاء حقيقة أن هولي ميتة أصلاً، وأنه هو من قتلها. الزوج هو دوماً أول مشتبه به.

إذا خـــسرها، لن يهمه أي شيء آخر. لا شيء أبداً. ما من قوة ستشفي الجرح الذي ستتركه في حياته.

لكن الشك في أنه آذاها؛ سيكون ذلك بمثابة طعنة قوية في الجرح، لا بل قاتلة، ونازفة إلى الأبد.

أغلق تاغارت الدفتر، وأعاده إلى جيب سرواله، ونقل انتباهه من الكلب إلى ميتش، وسأل مجدداً: "أي شيء سيد رافيرتي؟".

في مرحلة ما من الاستجواب، طارت النحلة بعيداً. إلا أن ميتش أدرك الآن فقط أن صوتها توقف.

إذا أبقى سر خطف هولي، سيقف وحيداً في وجه خاطفيها.

لكـــنه لا يجيد التصرف وحده. ترعرع مع أخ وثلاث أخوات، وقـــد ولـــدوا جمـــيعاً في فترة سبع سنوات. كانوا الأصدقاء الحميمين لبعـــضهم بعضاً، والمؤتمنين على أسرار بعضهم، والمستشارين لبعضهم، والمدافعين عن بعضهم.

بعـــد ســـنة من الثانوية، انتقل من منـــزل أهله للعيش في شقة مشتركة. لاحقاً، حصل على منـــزله الخاص، حيث شعر بالعزلة. عمل ستين ساعة أسبوعياً، وأكثر، لمجرد تفادي التواجد وحده في غرفه.

شـــعر مرة جديدة بالاكتفاء والتواصل عندما دخلت هولي عالمه. *أنا* كلمة باردة. *نحن* لها صوت أكثر دفئاً. *نحن* أجمل على الأذن من *أنا*.

بدت عينا الملازم تاغارت أقل قسوة مما كانتا قبلاً.

قال ميتش: "حسناً...".

لعق التحري شفتيه.

كـــان الهواء دافئاً، والرطوبة قليلة. أحس ميتش بجفاف في شفتيه أيضاً.

إلا أن المـــرور السريع للسان تاغارت بدا مثل الزواحف، وأوحى أنه يستمتع عقلياً بطعم فريسة منتظرة.

وحـــده جـــنون الارتـــياب سمح للفكرة المجنونة والتي مؤداها أن التحري قد يكون متحالفاً مع خاطفي هولي. هذه اللحظة الخاصة بين الـــشاهد والمحقـــق قد تكون في الواقع الاختبار الأكبر لرغبة ميتش في الانصياع لتعليمات الخاطفين.

ارتفعت في عقله كل أعلام الخوف، العقلاني وغير العقلاني. هذا الاستعراض للمخاوف والشكوك الداكنة لم تسهّل التفكير الواضح.

كان نصف مقتنع أنه إذا أخبر تاغارت بالحقيقة، سيكشر التحري ويقول *علينا قتلها الآن سيد رافيرتي. لم يعد بوسعنا الوثوق فيك. لكننا سندعك تختار ما الذي سنقطعه أولاً؛ أصابعها أو أذنيها.*

كما قبلاً، عندما كان يقف بالقرب من الرجل الميت، شعر ميتش أنه مراقب، ليس فقط من قبل تاغارت والجيران الذين يشربون الشاي، وإنما أيضاً من حضور غير منظور. مراقب، محلل.

قال: "لا حضرة الملازم. لا شيء إضافي".

أخرج التحري نظارة شمسية من جيب قميصه ووضعها.

في العدستين العاكستين مثل المرآتين، لم يتعرف ميتش تقريباً على الانعكاس التوأم لوجهه. الانحناء المشوه جعله يبدو كبيراً في السن.

ذكره تاغارت: "أعطيتك بطاقتي".

"نعم، سيدي، أملكها".

"اتصل بـــي إذا تذكرت أي شيء يبدو مهماً".

اللمعـــان الـــناعم والخالي من التعابير للنظارة الشمسية كان مثل تحديق حشرة: خالٍ من الحركة، تواق، نهم.

قال تاغارت: "أنت متوتر سيد رافيرتي".

رفع ميتش يديه للكشف كم ترتجفان، وقال: "لست متوتراً أيها الملازم، بل مضطرباً. مضطرباً جداً".

لعق تاغارت شفتيه مرة جديدة.

قال ميتش: "لم أشاهد أبداً رجلاً مقتولاً من قبل".

قال التحري: "لا تعتَد على ذلك".

أخفض ميتش يديه وقال: "لا أظن".

"الأمر أسوأ حين تكون امرأة".

لم يعـــرف ميتش ماذا يفعل بهذه العبارة. إنها ربما حقيقة بسيطة لخبرة تحرٍّ – أو تهديد.

قال تاغارت: "امرأة أو طفل".

"لا أرغب في وظيفتك".

"لا، لا تفعل. أراك سيد رافيرتي"، قال وهو يستدير بعيداً.

"تراني؟".

نظـــر تاغارت إليه مجدداً وقال: "أنت وأنا، سنكون شاهدين في المحكمة يوماً ما".

"تبدو قضية صعبة على الحل".

قال التحري "الدم يصرخ لي من تحت الأرض، سيد رافيرتي. الدم يصرخ لي من تحت الأرض". كما لو أنه يكرر عبارة أحدهم.

راقب ميتش تاغارت وهو يبتعد.

ثم نظر إلى العشب تحت قدميه.

تقـــدم الـــشمس جعـــل ظلال سعف النخل وراءه. وقف تحت أشعتها، لكنه لم يشعر بدفئه.

5

كانت ساعة لوحة السيارة رقمية، تماماً مثل ساعة معصم ميتش، لكـــنه استطاع سماع الساعة تتكتك، بسرعة تكتكة السهم في دولاب الحظ الذي يدور بأقصى سرعة.

أراد الـــتوجه مباشـــرة إلى المنـــزل والابتعاد عن مسرح الجريمة. يقول المنطق إنه تم خطف هولي في المنـــزل. لا يمكنهم خطفها وهي في طريقها إلى العمل، ليس في شارع عام.

ربمـــا تركوا عن غير قصد شيئاً خلفهم يوحي بهويتهم. والأرجح أنهم تركوا رسالة له، تعليمات إضافية.

كالعـــادة، بدأ ميتش يومه بإحضار إيغي من شقته في سانتا آنا. عليه الآن إعادته.

تـــوجه شمالاً من الضواحي الساحلية الغنية في ريف أورانج حيث عمـــلا، نحو مناطقهما الأكثر تواضعاً. هرب ميتش من الطريق السريع المزدحم إلى الشوارع الداخلية، لكنه صادف زحمة سير هناك أيضاً.

أراد إيغـــي الـــتحدث عن الجريمة والشرطة. توجب على ميتش الادعـــاء أنه متحمس بسذاجة لما حصل تماماً مثلما كان إيغي، فيما بقي عقله في الواقع مشغولاً بأفكار حول هولي وبقلق عما قد يحصل لاحقاً.

لحـــسن الحـــظ، وكالعادة، بدأ حديث إيغي يفقد تناسقه سريعاً ويتحول ويتشابك مثل كرة صوفية تلعب بها هرة صغيرة.

التظاهـــر بالاهتمام في هذا الحديث استلزم من ميتش طاقة أقل مما حصل عندما تمحور الموضوع حول صاحب الكلب الميت.

قـــال إيغـــي: "قريبـــي لويس له صديق اسم بوكر. حصل معه الـــشيء نفسه، طلقة نار خلال التنـــزه مع كلب، لكن لم تكن بندقية و لم يكن كلباً".

تساءل ميتش: " بوغر؟".

صحح إيغي: "بوكر. كان يملك هرة اسمها هايربال. كان يتنـــزه مع هايربال، وتعرض لطلقة نارية".

"هل يتنـــزه الناس مع الهررة؟".

"هـــذا ما حصل، كانت هايربال موضوعة في قفص وكان بوكر ينقلها إلى عيادة الطبيب البيطري".

تحقـــق ميتش مراراً من مرآة الرؤية الخلفية والمرآتين الجانبيتين. ثمة سيارة كاديلاك سوداء رباعية الدفع انحرفت عن الطريق السريع ولحقت بهما. بقيت وراءهما، مبنى بعد مبنى.

قال ميتش: "لم يكن بوكر يتنـــزه إذاً مع الهرة".

"كـــان يمـــشي مع الهرة، ثم قام ولد مزعج عمره اثني عشر عاماً بإطلاق كرة صباغ على بوكر".

"إذاً، لم يمت".

"لا، لم يمـــت، وكانت هرة بدلاً من الكلب، لكن بوكر أصبح أزرق تماماً".

"أزرق؟".

"شعر أزرق. وجه أزرق. كان مذعوراً تماماً".

بقـــيت سيارة الكاديلاك رباعية الدفع وراءهما بمسافة سيارتين أو ثلاث سيارات. ربما أمل السائق في ألا يلاحظه ميتش.

سأل ميتش: "أصبح بوكر إذاً أزرق اللون. ماذا حصل للولد؟".

"أراد بوكر كسر يد الولد الشرير، لكن الولد أطلق النار عليه بين فخذيـــه وهرب. هاي، ميتش، هل تعرف أنه توجد بلدة في بنسيلفانيا اسمها *بلو بالز* أي الكرات الزرقاء؟".

"لا أعرف".

"إنها في منطقة أميش. ثمة بلدة أخرى مجاورة اسمها غريب".

"هذا مثير".

أسرع ميتش في القيادة لاجتياز تقاطع قبل أن تنتقل إشارة المرور إلى اللـــون الأحمر. وراءه، بدلت سيارة الكاديلاك طريقها، وأسرعت، وعبرت الإشارة بينما كان ضوؤها برتقالياً.

سأل إيغي: "هل تناولت يوماً فطيرة أميش؟".

"لا. أبداً".

"إنهـــا فطـــيرة غنية، وشديدة الحلاوة. إنها أشبه بدبس السكر. غرّارة، متأنقة".

ظهرت سيارة الكاديلاك مجدداً، وعادت إلى مسار ميتش. ثلاث سيارات تفصل بينهما.

قال إيغي: "خسر إيرل بوتر ساقاً وهو يأكل الفطيرة".

"إيرل بوتر؟".

"والـــد تيم بوتر. كان مصاباً بداء السكر، لكنه لم يكن يعرف وتناول مقداراً كبيراً من الحلويات كل يوم. هل تناولت يوماً فطيرة كوايكرتاون؟".

سأل ميتش: "ماذا عن ساق إيرل؟".

"غـــير حقيقـــية يا صديقي. شعر يوماً ما بخدر في قدمه، و لم يعد بوســـعه المـــشي جيداً. تبين أن الدورة الدموية لم تعد تصل إلى هناك بسبب داء السكر. بتروا ساقه اليسرى من فوق الركبة".

"فيما كان يتناول الفطيرة".

"لا. أدرك أنه عليه التوقف عن تناول الحلويات".

"لحسن حظه".

"لـــذا، قـــبل يوم واحد من الجراحة، تناول آخر قطعة حلوى، واختار فطيرة كاملة غنية بالكريما المخفوقة. هل رأيت يوماً ذلك الفيلم السينمائي مع هاريسون فورد والفتاة رائعة الجمال؟".

بالحـــديث عن هايربال، وبلو بالز، والفطيرة، وهاريسون فورد، وصلا إلى مبنى شقة إيغي.

توقف ميتش أمام الرصيف، وتابعت السيارة السوداء رباعية الدفع طـــريقها من دون أن تبطئ. كانت النوافذ الجانبية سوداء، فلم يستطع رؤية السائق أو الركاب.

فـــتح بابه، وقبل أن يخرج من السيارة، قال إيغي: "هل أنت بخير صديقي؟".

"أنا بخير".

"تبدو مصدوماً".

ذكّره ميتش: "رأيت رجلاً يموت".

"نعـــم. ألم يكن ذلك مثيراً؟ أظن أنني أعرف من سيسيطر الليلة على المشرب في رولينغ ثاندر. ربما عليك الذهاب".

"لا تحجز لي كرسياً".

انعطفـــت سيارة الكاديلاك نحو الغرب. غلفت شمس بعد الظهر الـــسيارة المشبوهة بلمعان متوهج. سطعت وبدت أنها تختفي في قلب الشمس.

خـــرج إيغـــي من السيارة، ونظر إلى ميتش، وكشف عن وجه حزين. "قيد ثقيل".

"الريح تحت جناحيّ".

"واو. هذا كلام جيد".

"اذهب واستمتع".

طمأنـــه إيغي: "لا أنوي الثمالة جزئياً. الدكتور إيغي يصف لك ست علب من شراب الشعير على الأقل. أخبر السيدة ميتش أنها امرأة عظيمة".

أغلـــق إيغي الباب، ومشى بعيداً، ضخماً ووفياً وعذباً ومن دون ألغاز.

بـــدأت يـــدا ميتش ترتجفان فجأة فوق المقود، أعاد السيارة إلى الطريق من جديد.

توجه شمالاً، وأراد التخلص من إيغي بأسرع ما يمكن والعودة إلى المنـــزل. انقبضت معدته عندما فكر في ما قد ينتظره هناك.

ما خشاه تحديداً العثور على دم.

6

قـــاد ميتش سيارته والنوافذ مفتوحة، لأنه رغب في سماع أصوات الشوارع، كدليل على الحياة.

لم تظهـــر سيارة الكاديلاك رباعية الدفع مجدداً. لم تلحق به أي سيارة أخرى. لا شك في أنه تخيل المطاردة.

تضاءل إحساسه بأنه تحت المراقبة. بين الحين والآخر، كان ينظر إلى مرآة الرؤية الخلفية، ولكن من دون توقع رؤية شيء مثير للشبهات.

شـــعر أنـــه وحيد، وأسوأ من وحيد. معزول. تمنى تقريباً لو أن السيارة السوداء رباعية الدفع تظهر مجدداً.

يقع منـــزلهما في ضاحية قديمة من أورانج، إحدى أقدم المدن في الولاية. عندما انعطف إلى شارع منـــزلهما، رأى مجموعة من السيارات والشاحنات القديمة.

المنـــــزل - المكـــسو بألـــواح صفراء شاحبة مع حواف بيضاء وســـقف مـــن خشب الأرز - محاط بسور من الأوتاد المليئة بالورود المعترشة. هناك بعض المنازل الأكبر والأجمل في الشارع، لكن أياً منها لم يكشف عن منظر طبيعي أجمل.

ركـــن الـــسيارة في الممـــر قـــرب المنـــزل، تحت شجرة فلفل كاليفورنية قديمة، وخرج منها.

كانت الممرات الجانبية والفناءات خالية. في هذه الضاحية، تعتمد معظـــم العائلات على مدخولين، الجميع في العمل. عند الساعة 3:04، لم يعد الأولاد بعد من المدرسة إلى المنـــزل.

لا خادمـــات، لا عمـــال لغـــسل النوافذ، لا شركات للاعتناء بالحدائـــق مـــشغولة في ترتيب النباتات. ينظف أصحاب هذه المنازل سجاداتهم بأنفسهم ويجزون حقولهم بأنفسهم.

وزعـــت شجرة الفلفل ضوء الشمس على شكل ضفائر مجدولة وألقت بظلالها على المصطبة بأشعة نور فضية.

فـــتح ميتش بوابة جانبية في السور. عبر المرج وصولاً إلى الدرج الأمامي.

كانـــت المـــصطبة عميقة وباردة. ثمة كراسٍ بيضاء مع وسادات خضراء موضوعة قرب طاولات صغيرة ذات أسطح زجاجية.

بعـــد ظهـــر أيام الآحاد، غالباً ما كان يجلس وهولي، يتحدثان، يقـــرأان الصحيفة، يشاهدان الحشرات الطنانة وهي تنتقل من زهرة إلى أخرى في الكروم البوقية التي نمت على حواف المصطبة.

في بعـــض الأحـــيان، يفـــتحان طاولـــة صغيرة للعب الورق بـــين الكراســـي. تربحه في لعبة السكرابل. أما هو فيربح في الألعاب التافهة.

لا يمـــضيان الكـــثير من الوقت في التسلية. لا عطلات للتزلج، لا عطلات نهاية أسبوع في باجا. نادراً ما يذهبان لحضور فيلم سينمائي. الـــتواجد مع بعضهما على المصطبة الأمامية يمنحهما متعة كبيرة بقدر التواجد معاً في باريس.

إنهمـــا يوفـــران المال للأمور المهمة. للسماح لها بالمجازفة وتبديل المهـــنة مـــن ســـكرتيرة إلى وكيلة عقارات. للسماح له بإجراء بعض الإعلانات، وشراء سيارة ثانية، وتوسيع العمل.

الأولاد أيضاً. سينجبان الأولاد. سينجبان اثنين أو ثلاثة. في بعض العطـــلات، عندما يكونان عاطفيين جداً، يبدو لهما أربعة أولاد عدداً غير كبير.

لا يريدان العالم، ولا يريدان تغييره. يريدان زاويتهما الصغيرة من العالم، والفرصة لملئها بالعائلة والضحك.

جـــرّب الباب الأمامي. غير مقفل. دفعه إلى الداخل وتردد عند العتبة.

ألقـــى نظـــرة ســـريعة على الشارع، متوقعاً جزئياً رؤية السيارة السوداء رباعية الدفع. لكنها غير موجودة.

بعدما دخل، وقف للحظات، للسماح لعينيه بالتكيف مع الضوء. كانـــت غرفة الجلوس مضاءة فقط بنور الشمس المصفى عبر الشجرة والمخترق للنوافذ.

بدا كل شيء مرتباً. لم يلاحظ أي إشارات لعنف.

أغلق ميتش الباب وراءه. احتاج إلى لحظات للاتكاء عليه.

لـــو كانـــت هولي في المنـــزل، لصدح صوت الموسيقى. تحب الموســـيقى الصادحة. تقول إن موسيقى الأربعينيات ملائمة للمنـــزل. إنها تلائمها أيضاً. كلاسيكية.

ثمة قنطرة تربط غرفة الجلوس بغرفة الطعام الصغيرة. ما من شيء في الغرفة الثانية ليس في مكانه.

علـــى الطاولة استلقت حشرة كبيرة ميتة. إنها ذبابة ليلية، رمادية مع تفاصيل سوداء على جناحيها.

لا بـــد أن الذبابة دخلت الليلة الماضية. أمضيا بعض الوقت على المصطبة، وكان الباب مفتوحاً.

ربما لا تزال حية نائمة. إذا أمسكها بين يديه وأخذها إلى الخارج، قد تطير إلى زاوية من سقف المصطبة وتنتظر هناك لبروز القمر.

تردد، رافضاً لمس الذبابة، خشية عدم بقاء حياة فيها. عند لمسها، قد تتحول إلى نوع من الغبار، لأن هذا ما تفعله الحشرات أحياناً.

الباب الفاصل بين غرفة الطعام والمطبخ كان مغلقاً. توهج الضوء من خلفه.

فاحت رائحة التوست المحروق في الهواء. أصبحت الرائحة أقوى عندما فتح باب المطبخ.

هنا عثر على آثار عراك. تم قلب إحدى كراسي المطبخ. الأطباق المكسورة ملأت الأرض.

ثمـــة شـــريحتان مـــن التوست المحروق في آلة التحميص. سحب أحدهم القابس الكهربائي. تركت الزبدة على مغسلة الصحون، وذابت بعدما تقدم النهار وارتفعت حرارة الجو.

لا بـــد أن المعتدين دخلوا من الجهة الأمامية للمنـــزل، وفاجأوها فيما كانت تحضر التوست.

الخزانات مطلية باللون الأبيض اللماع. تناثر الدم على أحد أبوابها وعلى جارورين منها.

للحظات، أغلق ميتش عينيه. في عقله، تخيل العثة ترفرف وترتفع عن الطاولة. ثمة شيء رفرف في قلبه أيضاً، وأراد التصديق أنه الأمل.

على البراد الأبيض، نطقت بصمة يد امرأة ملطخة بالدم بصرخة عالية بقدر أي صوت ممكن. ثمة بصمة يد أخرى كاملة وبصمة جزئية على خزانتين علويتين.

تناثـــر الدم على بلاط الأرضية. بدا أن هناك الكثير من الدم. بدا أن هناك محيطاً منه.

أرعب المشهد ميتش كثيراً بحيث أراد إغلاق عينيه مجدداً. ولكن، راودته الفكرة المجنونة أنه إذا أغلق عينيه مرتين أمام هذه الحقيقة المحزنة، سيصبح أعمى إلى الأبد.

رنّ الهاتف.

7

لم يضطر إلى الدوس على الدم للوصول إلى الهاتف. رفع السماعة عند الرنة الثالثة وسمع صوته يقول: "نعم؟".

"هذا أنا حبيبـــي. إنهم يصغون إلينا".

"هولي. ماذا فعلوا بك؟".

قالت: "أنا بخير" وبدت قوية، ولكن ليس على ما يرام.

قال: "أنا في المطبخ".

"أعرف".

"الدم...".

"أعـــرف. لا تفكـــر في ذلك الآن. ميتش، قالوا إن لدينا دقيقة واحدة للتكلم، دقيقة واحدة فقط".

فهم قصدها: *دقيقة واحدة، وربما أبدًا مجددًا.*

لم تعد تحمله ساقاه. أبعد كرسياً عن طاولة المطبخ، وانهار عليها، وقال: "أنا آسف جداً".

"ليست غلطتك. لا تلم نفسك".

"من هم هؤلاء المجانين؟ هل هم مخبولين أم ماذا؟".

"إنهم أشرار، لكنهم ليسوا مجانين. يبدون... محترفين. لا أعرف. لكنني أريدك أن تعدني...".

"أنا أموت هنا".

"اسمع صغيري. أريد وعدك. إذا حصل أي شيء لي...".

"لن يحصل أي شيء لك".

أصرت: "إذا حصل أي شيء لي، عدني أن تتماسك".

"لا أريد التفكير في ذلك".

"عليك التماسك، اللعنة. عليك التماسك وعيش حياتك".

"أنت حياتي".

"عليك التماسك أيها الحصّاد، وإلا سأحزن كثيراً".

"سأفعل ما يريدونه. سأسترجعك".

"إذا لم تتماســـك، سيزعجك شبحي، رافيرتي. سيكون مثل فيلم ***الشبح الضاج***".

قال: "يا الله. أنا أحبك".

"أعرف. أنا أحبك. أريد الإمساك بك".

"أحبك كثيراً".

لم تجب.

"هولي؟".

أرعبه الصمت، وجعله ينهض عن الكرسي.

"هولي؟ هل تسمعينني؟".

"أنا أسمعك أيها الحصّاد". قال الخاطف الذي تحدث إليه قبلاً.

"أيها الحقير".

"أفهم غضبك...".

"أنت حثالة".

"لكنني لا أصبر كثيراً".

"إذا آذيتها...".

"لقد آذيتها أصلاً. وإذا لم تتوقف، سأقطعها كأنها قطعة لحم بقر".

الإحـــساس الكـــبير بالعجز حوّل مشاعر ميتش من الغضب إلى الذل.

"أرجوك. لا تؤذِها مجدداً. لا تفعل".

"استرخِ رافيرتي. استرخِ ريثما أشرح بعض الأمور".

"حسناً. لا بأس. أحتاج إلى شرح الأمور. أنا تائه هنا".

شعر مجدداً بالضعف في ساقيه. بدل الجلوس على الكرسي، أزاح طبقاً مكسوراً بقدمه وركع على الأرض. لسبب ما، شعر بارتياح على ركبتيه أكثر من الجلوس على الكرسي.

قـــال الخاطف: "بشأن الدم. صفعتها فيما كانت تحاول المقاومة، لكنني لم أجرحها".

"كل الدم...".

"هـــذا مـــا أقوله لك. وضعنا ضاغطاً على ذراعها إلى أن انتفخ وريـــد، فوضعنا إبرة فيه، وسحبنا أربع عينات تماماً مثلما يفعل الطبيب عند خضوعك لفحص طبـــي".

أحنى ميتش جبينه على باب الفرن. أغمض عينيه، وحاول التركيز.

"بسطنا الدم على يديها وأحدثنا تلك البصمات. نثرنا بعضه على الرفوف والخزانات. أوقعناه على الأرض. إنه ديكور مسرحي، رافيرتي. بحيث يبدو وكأنه تم قتلها هناك".

كان ميتش السلحفاة، وقد غادر للتو خط *الانطلاق*، فيما الرجل عبر الهاتف هو الأرنب، وقد أصبح في منتصف السباق. لا يستطيع ميتش زيادة سرعته. "ديكور مسرحي؟ لماذا؟".

"إذا فقدت أعصابك وذهبت إلى الشرطة، لن يصدقوا أبداً قصة الخطف. سيرون المطبخ ويظنون أنك قتلتها".

"لم أخبرهم أي شيء".

"أعرف".

"ماذا فعلت بصاحب الكلب؟ أعرف أنك لا تملك شيئاً لخسارته. أعرف أنني لا أستطيع العبث معك".

قال الخاطف: "هذه ضمانة إضافية. نحن الضمانة. هناك سكين لحم ناقصة من مطبخك".

لم يزعج ميتش نفسه في التأكد من ذلك.

"لففنا السكين بأحد قمصانك القطنية وبسروال جينز أزرق لك. الثياب ملطخة بدم هولي".

حسناً، إنهم محترفون، تماماً مثلما قالت.

تابع الخاطف قائلاً: "الأغراض مخبأة في منزلك. لا يمكنك العثور عليها بسهولة، لكن كلاب الشرطة ستفعل".

"فهمت الصورة".

"عرفت أنك ستفعل. لست غبياً. لهذا السبب، وفرنا لأنفسنا الكثير من الضمانات".

"ماذا الآن؟ فسّر لي كل ما يجري".

"ليس الآن. في الوقت الحاضر، أنت عاطفي جداً، ميتش. ليس هذا جيداً. حين تفقد السيطرة على عواطفك، يحتمل أن ترتكب خطأ".

طمأنه ميتش: "أنا صلب" بالرغم من أن قلبه لا يزال يخفق بقوة والدم يتدفق بسرعة عبر أذنيه.

"لا تملك أي مجال للخطأ ميتش، ولا حتى مجالاً واحداً. لذا، أريدك أن تسترخي مثلما قلت. عندما تتضح الأمور في رأسك، سنناقش الوضع. سأتصل بك في تمام السادسة".

بالرغم من أنه لا يزال على ركبتيه، فتح ميتش عينيه وتحقق من ساعته. "أي بعد ساعتين ونصف".

"لا تزال في ملابس العمل. أنت متسخ. اذهب واستحم. ستشعر بالتحسن".

"لا بد أنك تمزح معي".

"على كل حال، يجب أن يكون مظهرك مقبولاً أكثر. استحم، وبدل ملابسك، ثم غادر المنزل، واذهب إلى مكان ما، أي مكان. تأكد فقط من شحن بطارية هاتفك الخلوي".

"أفضل الانتظار هنا".

"ليس هذا جيداً، ميتش. المنزل مليء بذكريات عن هولي، أينما نظرت. أعصابك مهترئة الآن. أريدك أن تكون أقل عاطفية".

"نعم. حسناً".

"ثمة أمر إضافي. أريدك أن تستمع إلى هذا...".

ظن ميتش أنهم سيسحبون صرخة ألم جديدة من هولي، للتأكيد على مدى عجزه في حمايتها. قال: "لا".

بدلاً من صوت هولي، سمع صوتين مسجلين، واضحين في خلفية هسيس خفيفة. الصوت الأول كان صوته:

"لم أشاهد أبداً رجلاً مقتولاً من قبل".

"لا تعتد على ذلك".

"لا أظن".

"الأمر أسوأ حين تكون امرأة... امرأة أو طفل".

الصوت الثاني كان صوت التحري تاغارت.

قـــال الخاطـــف: "لو أخبرته بأي شيء ميتش، لكانت هولي ميتة الآن".

في الزجاج الدخاني الداكن لباب الفرن، رأى انعكاساً لوجه بدا وكأنه ينظر إليه من نافذة في الجحيم.

"تاغارت واحد منكم".

"ربما نعم. وربما لا. يجدر بك الافتراض أن أي شخص هو واحد مـــنا، ميـــتش. ســـيكون ذلك أكثر أماناً لك، وأكثر أماناً لهولي. أي شخص هو واحد منا".

لقد وضعوا علبة حوله. وها هم الآن يضعون الغطاء.

"ميـــتش، لا أريد أن أتركك متشائماً هكذا. أريد جعلك مرتاحاً في شيء ما. أريدك أن تعرف أننا لم نلمسها".

"لقد ضربتها".

"سأضـــربها مجدداً إذا لم تفعل ما يطلب منها. لكننا لم نلمسها. لسنا مغتصبين، ميتش".

"ولماذا أصدقك؟".

"يبدو جلياً أنني أسيطر عليك ميتش. أتلاعب بك مثلما أشاء. ولا شك في أن هناك الكثير من الأمور التي لن أخبرك بها...".

"أنتم قتلة، لكنكم لستم مغتصبين".

"المهـــم هـــو أن كل ما أخبرتك به كان صحيحاً. فكر مجدداً في علاقتنا وسترى أنني كنت صادقاً ووفيت بكلمتي".

أراد ميـــتش قـــتله. لم يشعر أبداً من قبل بحاجة ملحة إلى إلحاق عنف كبير بكائن بشري، لكنه أراد *تدمير* هذا الرجل.

كان يمسك بالهاتف بقوة كبيرة بحيث آلمته يده. لم يستطع إرخاء قبضته.

"لـــدي الكثير من الخبرة في العمل مع البدائل، ميتش. أنت أداة بالنسبة إليّ، أداة مهمة، آلة حساسة".

"آلة".

"اسمعـــني دقيقة، اتفقنا؟ من غير المنطقي إساءة استعمال آلة قيمة وحـــساسة. لا أشتري فيراري ومن ثم لا أغير زيتها أبداً، ولا أصلحها أبداً".

"على الأقل أنا فيراري".

"عـــندما أكون مسيطراً عليك، ميتش، لن أضغط عليك أكثر من حدودك. أتوقع أداء عالياً جداً من الفيراري، لكنني لا أتوقعها أن تجتاز حائطاً من الإسمنت".

"أشعر وكأنني اجتزت أصلاً حائطاً من الإسمنت".

"أنـــت أكثـــر صلابة مما تعتقد. لكن للحصول على أفضل أداء مـــنك، أريـــدك أن تعرف أننا نعامل هولي باحترام. إذا فعلت كل ما نريده، ستعود إليك حية... ولن يلمسها أحد".

هولي ليست ضعيفة. لا يمكن تحطيمها عقلياً بسهولة عبر الاعتداء الجـــسدي. لكـــن الاغتصاب أكثر من اعتداء على الجسم. الاغتصاب اعتداء على العقل والقلب والروح.

www.rewity.com dodyadodo

أثـــار خاطفهـــا المسألة بنية واحدة ألا وهي إراحة بعض مخاوف ميتش. لكن ذلك الحقير أثارها أيضاً بمثابة تحذير.

قـــال ميتش: "لا أظن أنك أجبت عن السؤال. لماذا يجدر بـــي تصديقك؟".

"لأنه عليك ذلك".

هذه حقيقة لا يمكن الفرار منها.

"عليك ذلك ميتش. وإلا، يمكنك اعتبارها ميتة الآن".

أنهى الخاطف الاتصال.

للحظات، بقي ميتش على ركبتيه بسبب إحساسه بالعجز.

في الـــنهاية، أمـــره صـــوت مسجل، صوت امرأة تملك نبرة معلمة المدرســـة غير المرتاحة تماماً مع الأولاد، بإقفال الهاتف. وضع السماعة على الأرض، وألح عليه الطنين المستمر للاستجابة لاقتراح عاملة الهاتف.

بقـــي علـــى ركبتيه، ووضع جبينه مرة جديدة على باب الفرن، وأغمض عينيه.

عقلـــه مـــضطرب. صور لهولي، وعواصف من الذكريات، مجزأة ودوّارة، عذبته. ذكريات حلوة، عذبة، لكنها عذّبته لأنها قد تكون كل مـــا بقي له منها. خوف وغضب. ندم وحزن. لم يعرف الخسارة أبداً. لم تحضره حياته للخسارة.

حاول تصفية ذهنه لأنه أحس أن بوسعه فعل شيء ما لهولي هنا، الآن، إذا اســـتطاع فقـــط تهدئة مخاوفه والهدوء، *والتفكير*. لا يجدر به انـــتظار الأوامـــر مـــن خاطفيها. يمكنه فعل شيء مهم لها الآن. يمكنه التصرف نيابة عنها. يمكنه فعل شيء لهولي.

بـــدأت ركبتاه تؤلمانه بسبب احتكاكهما بالأرضية القاسية. هذا الانـــــزعاج الجسدي جعل عقله أصفى تدريجياً. لم تعد الأفكار تدور

في رأسه مثل فتات الحطام، وإنما تمايلت مثل الأوراق المتساقطة فوق نهر هادئ.

يـــستطيع فعل شيء مهم لهولي، والإدراك أنه يستطيع فعل شيء كـــان يطفو تحت السطح، تماماً تحت انعكاس البحث. الأرضية القاسية غير متسامحة، وبدأ يشعر كأنه راكع على زجاج مكسور. يستطيع فعل شيء لهولي. الجواب هرب منه. شيء. آلمته ركبتاه. حاول تجاهل الألم، لكـــنه وقف من ثم على ركبتيه. تراجعت البصيرة الداخلية. أعاد سماعة الهاتف إلى ركيزتها. عليه انتظار الاتصال التالي. لم يشعر أبداً بهذا العجز من قبل.

8

بالنسبة إلى ميتش، الواقف على المصطبة الخلفية، بدا هذا المكان، الـــذي كـــان قبلاً جزيرة سلام، مليئاً بالتوتر بقدر الشكل العنكبوتي للكابلات الداعمة لجسر معلق.

في نهايـــة الفـــناء، وراء سور عريض، ثمة زقاق ضيق. في الجهة البعـــيدة من الزقاق هناك فناءات أخرى ومنازل أخرى. ربما ثمة خفير عند إحدى نوافذ الطابق الثاني يراقبه الآن بمنظار مكبّر.

علـــى الهاتـــف، أخبر هولي أنه في المطبخ، وقالت له *أعرف*. لا يمكنها أن تعرف إلا إذا أخبرها خاطفوها بذلك.

تـــبين أن سيارة الكاديلاك السوداء ليست متورطة في عمل إجرامي، وأن التهديد كان فقط من نسج خياله. لم تلحق به أي سيارة أخرى.

توقعوا منه العودة إلى المنـــزل، ولذلك، بدل تعقبه، احتجزوه في منـــزله. إنهم يراقبونه الآن.

أحـــد المـــنازل في الجهة البعيدة من الزقاق قد يوفر نقطة مراقبة جـــيدة إذا كان المراقب مجهزاً بمعدات بصرية متطورة توفر رؤية قريبة من بعد.

إلا أن شكوكه استقرت على المرأب المنفصل في الجهة الخلفية لهذا المنـــزل. يمكن النفاذ إلى ذلك المكان من الزقاق أو من الشارع الأمامي عبر الممشى الممتد بمحاذاة المنـــزل.

المـــرأب، الـــذي تُركن فيه شاحنة ميتش وسيارة الهوندا الخاصة بهولي، يحتوي على نوافذ في الطابق الأرضي وفي مساحة التخزين. بعض النوافذ داكنة وبعضها متلألئ بانعكاس ضوء الشمس.

لم تكـــشف أي نافـــذة عن وجه أو حركة مرية. إذا كان هناك شخص يراقب من المرأب، لا يمكنه أن يكون طائشاً. يمكن لمحه فقط إذا أراد أن تتم رؤيته لغرض التخويف.

مـــن الـــورود، مـــن الحوذان، من نباتات الهوشيرة المدماة، من الأزهـــار، كشف نور الشمس عن لون مشرق مثل الحراشف المتوهجة في النوافذ المصنوعة من الزجاج الملون.

الـــسكين الكـــبيرة، الملفوفة بثياب ملطخة بالدم، تم طمرها على الأرجح في ثلم أزهار.

عـــند العثور على تلك الرزمة، وسحبها، وتنظيف آثار الدم من المطـــبخ، يمكـــنه استعادة بعض السيطرة. سيتمكن من التصرف بمرونة أكبر مهما كانت التحديات المفروضة عليه في الساعات المقبلة.

لكـــن إذا كان مراقباً، لن يأخذ الخاطفون تصرفاته برباطة جأش. لقـــد حاكوا جريمة قتل زوجته لمحاصرته في صندوق، ولا يريدون فتح هذا الصندوق.

لمعاقبته، سيؤذون هولي.

لقـــد وعده الرجل على الهاتف أنها لن *تُلمس*، أي لن تغتصب. لكنه غير نادم بشأن ضربها.

وحـــسب المـــنطق، سيضربها مجدداً. يركلها. يعذبها. لم يعطِ أي وعود في هذه المسائل.

لمحاكاة مظهر جريمة القتل، سحبوا منها الدم من دون ألم، بواسطة إبرة تحت الجلد. إلا أنهم لم يقسموا بأن يعفوها إلى الأبد من السكين.

بمثابة تعليمات في حقيقة عجزه، قد يجرحونها. وأي ألم تتعرض له سيقضي على رغبته في المقاومة.

لن يجرأوا على قتلها. للاستمرار في التحكم في ميتش، سيجعلونه يتحدث إليها بين الحين والآخر.

لكنهم قد يشوهونها، ثم يطلبون منها وصف ذلك التشويه له عبر الهاتف.

تفاجأ ميتش بقدرته على استباق مثل هذه التطورات الشنيعة. قبل ساعات قليلة، لم تكن لديه أي خبرة شخصية في الشرّ المؤذي.

قـــوة خياله في هذه المساحة أوحت بأنه في مستوى اللاوعي، أو في مـــستوى أعمق من اللاوعي، عرف أن الشر الحقيقي يحكم العالم، ولا يمكن إخفاء الأشياء البغيضة جداً بالتحليل النفسي أو الاجتماعي. خطف هولي زاد من ذلك الإدراك المقموع للشر، وجعله مرئياً.

ظـــلال ســـعف النخيل، المتمددة نحو سور الفناء الخلفي، بدت مـــشدودة إلى حـــدّ الانكسار، والأزهار الساطعة بفعل الشمس بدت هشة مثل الزجاج. إلا أن التوتر في المكان ازداد.

فـــلا الظلال المتمددة ولا الأزهار ستنكسر. إذا كان هناك من شيء مـــشدود إلى حدّ الانكسار، سينكسر *داخل* ميتش. وبالرغم من أن القلق قبض معدته وأطبق أسنانه، أحس أن التغيير الآتي لن يكون شيئاً سيئاً.

في المـــرأب، ســـخرت منه النوافذ الداكنة والنوافذ المتلألئة بنور الشمس. مفروشات المصطبة ومفروشات الردهة، المرتبة بطريقة ترتقب الاستمتاع بأمسيات صيفية كسولة، سخرت منه.

الأشـــجار والمناظـــر الطبيعـــية المنحوتة، التي أمضى على ترتيبها ساعات عدة، سخرت منه أيضاً. كل الجمال المولود من عمله بدا الآن سطحياً، وسطحيته جعلته بشعاً.

عاد إلى المنـــزل وأغلق الباب الخلفي. لم يزعج نفسه في إقفاله.

الـــشيء السيئ الذي يمكن أن يجتاح منـــزله جاء أصلاً إلى هنا وذهب. أي انتهاكات تالية يمكن أن تكون فقط تزييناً للرعب الأصلي.

عَـــبر المطبخ، ودخل ردهة قصيرة مؤدية إلى غرفتين، الأولى هي غرفة جلوس، تحتوي على أريكة، وكرسيين، وتلفزيون كبير.

هذه الأيام، نادراً ما يشاهدان أي برامج. فالبرامج المعروفة ببرامج الواقـــع تطغى على المحطات، فضلاً عن المسلسلات المحلية والمسلسلات البوليـــسية، لكـــنها كلها مضجرة لأن أياً منها لا يشبه الحقيقة مثلما عرفها؛ وهو الآن يعرفها بصورة أفضل.

في نهايـــة الردهة هناك غرفة النوم الرئيسة. أخرج ملابس داخلية وجوربا نظيفاً من درج منضدة.

في الـــوقت الحاضر، بما أن أي مهمة عادية تبدو مستحيلة في مثل هذه الظروف، لا يمكنه فعل أي شيء سوى ما طُلب منه.

كـــان الـــنهار دافئاً. لكن الليل في منتصف شهر مايو قد يكون بارداً. سحب من الخزانة سروال جينـــز نظيفاً وقميصاً قطنياً من علاقة الثياب. وضعها على السرير.

وجد نفسه يحدق إلى منضدة تبرج هولي، حيث تجلس يومياً على كرسي محشو لتمشيط شعرها، ووضع زينتها، وبسط أحمر شفاهها.

في اللاوعـــي، رفـــع مرآتها الصغيرة. نظر إليها، كما لو أنه يأمل بنعمة ما تخبره بالمستقبل، أن يراها بخير بوجهها المبتسم. إلا أن هدوءه لم يتحمل التأمل.

حلق ذقنه، واستحم، وارتدى ثيابه استعداداً للمحنة القادمة.

لا يعـــرف أبداً ماذا يتوقعون منه، وكيف يمكن أن يجمع مليونيّ دولار لدفع فدية زوجته، لكنه لم يحاول تخيل أي سيناريوهات محتملة. فالـــرجل الجالس على جرفٍ عالٍ لا ينصح أبداً بتمضية وقت كثير في تأمل السقوط الطويل.

ما إن جلس على حافة السرير، بعد أن انتهى من ربط حذائه، رنّ جرس الباب.

قـــال الخاطـــف إنـــه *سيتصل* عند الساعة السادسة، ولن يأتي. بالإضافة إلى ذلك، أشارت الساعة إلى الوقت 4:15.

تـــرك الباب من دون جواب ليس خياراً. عليه أن يكون مستجيباً بغض النظر عن خيار خاطفي هولي في الاتصال به.

حتى لو لم تكن للزائر أي علاقة بخطفها، يتوجب على ميتش فتح الباب للحفاظ على جو طبيعي.

شـــاحنته المركونة في الممر تثبت أنه في المنـــزل. الجار، الذي لم يحـــصل على جواب بعد الرن على الجرس، قد ينتقل إلى الجهة الخلفية للمنـــزل للطرق على باب المطبخ.

النافذة سداسية الألواح في ذلك الباب توفر رؤية واضحة لأرضية المطبخ المليئة بالأطباق المكسورة، وبصمات اليد على الخزانات والبراد.

كان يجدر به إغلاق الستائر.

ترك غرفة النوم، ومشى في الردهة، واجتاز غرفة الجلوس قبل أن تتاح للزائر فرصة الرن مرة أخرى على الجرس.

لا يحتوي الباب الأمامي على أي نوافذ. فتحه ووجد التحري تاغارت على المصطبة.

9

النظرة المحدقة إلى العدستين العاكستين طعنت ميتش وثبتت صوته في حنجرته.

قال تاغارت وهو يراقب المصطبة الأمامية: "أحب هذه الضواحي القديمة. هكذا، كان يبدو جنوب كاليفورنيا في سنواته الرائعة، قبل أن يقطعوا كل بساتين البرتقال ويصنعوا أراضيَ قاحلة من المنازل الجاهزة".

وجد ميتش صوتاً يبدو تقريباً مثل صوته، وإنما أكثر رقة: "هل تعيش هنا حضرة الملازم؟".

"لا. أعيش في إحدى الأراضي القاحلة. هذا أكثر سهولة. لكن صودف وجودي في منطقتك".

تاغارت ليس رجلاً *يصادف* وجوده في أي مكان. حتى إذا صودف أن مشى مرة في أثناء النوم، عندها يكون لديه غرض وخطة ومقصد.

"برز شيء ما سيد رافيرتي. وبما أنني كنت في الجوار، بدا لي المرور أسهل من الاتصال. هل أستطيع أن آخذ من وقتك بضع دقائق؟".

إذا لم يكن تاغارت واحداً من الخاطفين، وإذا تم تسجيل حديثه مع ميتش من دون معرفته، فإن السماح له بعبور العتبة سيكون تصرفاً طائشاً. في هذا المنزل الصغير، ثمة خطوات قليلة فقط تفصل بين غرفة الجلوس الهادئة، والمطبخ المليء بالأدلة الجرمية.

قال ميتش: "طبعاً. لكن زوجتي عادت إلى المنزل وهي تعاني من صداع الشقيقة. إنها نائمة".

إذا كان التحري واحداً منهم، إذا عرف أن هولي محتجزة في مكان آخر، لن يخون معرفته بأي تغيير في تعبيره.

قال ميتش: "لمَ لا نجلس هنا على المصطبة؟".

"لقد رتبتها فعلاً بطريقة جميلة".

أغلق ميتش الباب خلفه، وجلسا على كرسيين من الكراسي البيضاء.

أحضر تاغارت معه مغلفاً قياسه تسعة باثني عشر إنشاً. وضعه على حضنه، من دون فتحه.

قال: "كانت لدينا مصطبة مثل هذه عندما كنت صغيراً. كنا نراقب حركة السيارات منها، فقط نراقب السيارات".

نزع نظاراته الشمسية، ووضعها في جيب قميصه. كانت نظرته مباشرة مثل المثقاب الكهربائي.

"هل تستخدم السيدة رافيرتي الإيرغوتامين؟".

"تستخدم ماذا؟".

"الإيرغوتامين. لصداع الشقيقة".

لا يعرف ميتش أبداً ما إذا كان الإيرغوتامين دواء فعلياً أم أنها كلمة اخترعها التحري بطريقة ارتجالية. "لا. إنها تداويه بالأسبيرين".

"كم مرة تصاب به؟".

كذب ميتش: "مرتين أو ثلاث مرات سنوياً". لم تعانِ هولي يوماً من صداع الشقيقة. نادراً ما تعاني من أي نوع من الصداع.

ثمة حشرة رمادية وسوداء مستقرة على المصطبة إلى يمين الدرج الأمامي، وهي ذبابة ليلية مستلقية في الظل حتى مغيب الشمس.

قـــال تاغارت: "أعاني من صداع الشقيقة الناجم عن العيون. إنه صـــداع بصري بالكامل. أرى ضوءاً متوهجاً وبقعة عمياء مؤقتة لنحو عشرين دقيقة، ولكن من دون ألم".

"إذا كنت ستعاني من صداع الشقيقة، يبدو هذا النوع جيداً".

"لـــن يـــصف الطبيب ربما الإيرغوتامين إلا إذا كانت تعاني من صداع الشقيقة مرة كل شهر".

قال ميتش: "تعاني منه مرتين فقط. أو ثلاث مرات".

تمـــنى لـــو أنـــه لجأ إلى كذبة مختلفة. فمعرفة تاغارت الشخصية بصداع الشقيقة هي فعلاً حظ سيئ.

هـــذا الحـــديث الـــصغير بعث التوتر في ميتش. بدا لنفسه متعباً ومتوتراً.

لا شك في أن تاغارت اعتاد منذ زمن بعيد جداً على الأشخاص الـــذين يصبحون متعبين ومتوترين معه، حتى الأشخاص الأبرياء، حتى أمه.

كان ميتش يتفادى نظرة المحقق. بجهد واضح، نظر إليه مجدداً.

قال تاغارت: "عثرنا على *أرفيد* مزروعة في الكلب".

"ماذا؟".

"جهـــاز التعريف الأميركي بالحيوان. تلك الرقاقة المجهرية المعرّفة بالهوية التي ذكرتها قبلاً".

"أوه. حسناً".

قـــبل أن يدرك ميتش أن إحساسه بالذنب أحرجه مجدداً، انتقل نظره من تاغارت إلى سيارة مارّة في الشارع.

قال تاغارت: "تم حقن الرقاقة في العضلة بين كتفيّ الكلب. إنها صغيرة جداً. لا يشعر بها الحيوان. قمنا بعملية مسح للكلب، وحصلنا

علـــى رقم جهاز التعريف. إنه من منـــزل في الشارع الشرقي، على مـــسافة مبنـــيين شمـــال مكـــان إطلاق النار. صاحب الكلب اسمه أوكادان".

"بوبـــي أوكادان؟ أنا أهتم بحدائقه".

"نعم، أعرف".

"الرجل الذي قُتل، لم يكن السيد أوكادان".

"لا".

"من هو؟ فرد من العائلة، صديق؟".

قال تاغارت، وهو يتفادى السؤال: "أنا متفاجئ لأنك لم تتعرف إلى الكلب".

"كلاب الصيد تشبه بعضها".

"ليس تماماً. كل واحد منها مميز عن الآخر".

تذكر ميتش: "ميشيكي".

أكد تاغارت: "هذا هو اسم الكلب".

"تهتم بذلك المنـــزل يوم الثلاثاء، وتحرص مدبرة المنـــزل على أن يبقى ميشيكي في الداخل خلال وجودنا هناك، لإبعاده عن طريقنا. في معظم الأحيان، رأيت الكلب عبر باب الردهة".

"تـــبين أن ميشيكي سرق من الفناء الخلفي لمنـــزل أوكادان هذا الـــصباح، قرابة الساعة الحادية عشرة والنصف على الأرجح. الطوق والحبل المربوطان به لا يخصان آل أوكادان".

"تقصد... أن الكلب سُرق من قبل الرجل الذي قُتل؟".

"هكذا يبدو".

هـــذه الحقيقة أعادت مشكلة ميتش مع اتصال العيون. الآن، لا يمكنه *النظر بعيداً* عن التحري.

www.rewity.com dodyadodo

لم يأتِ تاغارت إلى هنا لمجرد مشاركة مجموعة محيرة من الأخبار. يبدو أن هذا التطور أثار، في عقل التحري، سؤالاً حول شيء قاله ميتش قبلاً؛ أو أخفق في قوله.

من داخل المنزل، سمع الرنين المكبوت للهاتف.

لا يفترض بالخاطفين أن يتصلوا قبل الساعة السادسة. لكن إذا اتصلوا و لم يستطيعوا التكلم معه، قد يغضبون.

فيما بدأ ميتش النهوض عن كرسيه، قال تاغارت: "أفضل ألا تجيب على هذا الاتصال. إنه السيد بارنز على الأرجح".

"إيغي؟".

"تحدثنا معاً قبل نصف ساعة. طلبت منه ألا يتصل بك قبل أن تتاح لي فرصة التحدث معك. إنه يتصارع ربما مع ضميره منذ ذلك الحين، وفاز ضميره في النهاية. أو خسر، حسب وجهة نظرك".

بقي ميتش جالساً على كرسيه وقال: "ما الموضوع؟".

تجاهل تاغارت السؤال، وعاد إلى موضوعه، وقال: "كم برأيك تُسرق الكلاب، سيد رافيرتي؟".

"لم أظن أبداً أنها تسرق أصلاً".

"يحصل ذلك. لا تتم سرقتها غالباً بقدر السيارات". لم تكن ابتسامته معدية. "لا يمكنك تفكيك الكلب إلى قطع لبيعه مثلما تفعل مع سيارة بورش. لكن تتم سرقة الكلاب بين الحين والآخر".

"إذا أردت".

"قد تساوي الكلاب معروفة النسب آلاف الدولارات. لكن في أغلب الأحيان، لا ينوي السارق بيع الحيوان. يريد كلباً مهماً لنفسه من دون دفع ثمنه".

بالرغم من أن تاغارت توقف عن الكلام، لم يقل ميتش أي شيء. أراد تسريع المحادثة. أراد معرفة فحوى الموضوع. كل هذا الحديث عن الكلب سيفضي حتماً إلى مكان ما.

"تتم سرقة بعض الأنواع أكثر من أنواع أخرى لأنها معروفة بلطافتها، ولا يحتمل أن تقاوم السارق. كلاب الصيد هي من النوع الأكثر لطافة، والأقل عدائية بين كل السلالات الشعبية".

أخفض التحري رأسه، وأغمض عينيه، وجلس شارداً للحظات، كما لو أنه يفكر في ما يريد قوله لاحقاً.

لم يصدق ميتش أن تاغارت يحتاج إلى تجميع أفكاره. فأفكار هذا الرجل منظمة بدقة بقدر الملابس في خزانة مهووس في الترتيب.

تابع تاغارت قائلاً: "تتم سرقة الكلاب غالباً من السيارات المركونة. يترك الناس الكلب وحده، والأبواب غير مقفلة. وحين يعودون، يكون *فيدو* قد اختفى، وقام شخص آخر بتسميته *ديوك*".

أدرك ميتش أنه يمسك بذراعيّ الكرسي الهزاز كما لو أنه عالق في المقعد الكهربائي وينتظر منفّذ الإعدام تنفيذ عمله، فبذل جهداً ليبدو مسترخياً.

"أو أن صاحب الكلب يربط الكلب بعداد خارج محل. يفك السارق الطوق ويتنزه مع صديقه الجديد".

توقف آخر. تحمله ميتش.

أبقى الملازم تاغارت رأسه محنياً إلى الأمام، وقال: "هذا نادر يا سيد رافيرتي، أن تتم سرقة كلب من الفناء الخلفي لمنزل صاحبه في وضح نهار ربيعي صاف. أي شيء نادر، أي شيء غير اعتيادي، يجعلني فضولياً. أي غرابة واضحة تجعل بدني يقشعر".

رفع ميتش يده لوضعها على الجهة الخلفية لعنقه، ودلّك عضلات عـــنقه لأن هـــذا يبدو مثل شيء يمكن أن يفعله رجل مسترخٍ، رجل مسترخٍ وغير مبالٍ.

"من الغريب أن يدخل سارق منطقة مثل هذه على قدميه ويخرج مـــع كلـــب مسروق. من الغريب أنه لا يحمل بطاقة هوية. والغريب أكثـــر، لا بـــل المميز، أن يتم قتله بعد ثلاثة مبانٍ. ومن الغريب سيد رافيرتي أنك أنت، الشاهد الأساسي، تعرفه".

"لكنني لم أعرفه".

أصرّ تاغارت: "في وقت ما عرفته جيداً".

10

ســـقف أبـــيض، درابزون أبيض، أرضية بيضاء، كراسٍ هزازة بيـــضاء، معترضة بالحشرة الرمادية والسوداء: كل شيء في المصطبة مألـــوف، مفـــتوح وعرضة للهواء، لكنه بدا الآن بالنسبة إلى ميتش مظلماً وغريباً.

فيما أبقى تاغارت عينيه إلى الأسفل: "أحد الأشخاص في مسرح الجريمة ألقى في النهاية نظرة عن كثب على الضحية وتعرف إليه".

"أحد الأشخاص؟".

"أحـــد رجال الشرطة الذين يرتدون بذلة رسمية. قال إنه اعتقل الرجل بتهمة حيازة مخدرات بعد توقيفه بسبب انتهاك قانون السير قبل عامين. لم يسجن الرجل أبداً، لكن بصماته موجودة في ملفاتنا، ولذلك تمكـــنا من إجراء مطابقة سريعة. ويقول السيد بارنـــز إنك ذهبت مع الضحية إلى المدرسة الثانوية".

تمنى ميتش لو أن الشرطي ينظر إلى عينيه. فبقدر ما هو نـــزاع إلى الحـــدس والإدراك، ســـيلاحظ تاغارت المفاجأة الحقيقية عندما رآه.

"اسمه جايسون أوستين".

قـــال ميتش: "لم أذهب فقط معه إلى المدرسة الثانوية، وإنما عشنا أنا وجايسون في الغرفة نفسها طوال عام كامل".

أعاد تاغارت أخيراً اتصال العيون: "أعرف".

"لقد أخبرك إيغي".

"نعم".

قال ميتش، وهو متشوق لسماع الآتي: "بعد الثانوية، عشت مع أصحابـــي لمدة سنة، فيما أخذت بعض الدروس في...".

"علم الزراعة".

"هذا صحيح. ثم حصلت على وظيفة في شركة للعناية بالحدائق، وانـــتقلت. أردت الاســـتقلال في الـــسكن. لم أستطع تحمل النفقات بالكامل، فتقاسمت وجايسون الإيجار طوال سنة".

أحـــنى التحري رأسه مجدداً، في تلك الوضعية المتأملة، كما لو أن جزءاً من استراتيجيته هو إجراء اتصال العيون لجعل ميتش منـــزعجاً، وإلغاء اتصال العيون عندما يريده ميتش.

قال ميتش: "لم يكن جايسون هو الميت على الرصيف".

فـــتح تاغـــارت المغلـــف الأبـــيض الذي كان في حضنه وقال: "بالإضافة إلى التعرف إليه من قبل الشرطي ومطابقة البصمات، تأكدت من هويته من السيد بارنـــز استناداً إلى هذا".

ســـحب صـــورة ملونة قياسها ثمانية بعشرة إنشات من المغلف وأعطاها إلى ميتش.

قـــام مـــصور الشرطة بإعادة موضعة الجثة للحصول على شيء أفضل من ثلاثة أرباع الوجه في الصورة. تم برم الرأس إلى اليسار فقط بما يكفي لإخفاء الجرح.

كانت القسمات مشوهة بشكل طفيف فقط عند مدخل ومخرج الرصاصـــة الـــسريعة في الصدغ. كانت العين اليسرى مغلقة، والعين اليمنى مفتوحة وتحدق بشكل مذهول.

قال ميتش: "يمكن أن يكون جايسون".

"إنه هو".

"في مـــسرح الجريمة، رأيت فقط جانباً واحداً من وجهه. الجانب الأيمن، الجانب الأسوأ، عند مخرج الرصاصة".

"وربما لم تنظر عن كثب".

"لا، لم أفعل. عندما رأيت أنه ميت، لم أشأ النظر عن كثب".

قـــال تاغارت: "وكان هناك دم على الوجه. مسحناه قبل التقاط هذه الصورة".

"الدم والدماغ المتطاير. لهذا السبب لم أنظر عن كثب".

لم يـــستطع ميتش إبعاد عينيه عن الصورة. أحسّ أنها توقعية. في يـــوم ما، ستكون هناك صورة مثل هذه لوجهه. سيعرضونها على أهله: *هل هذا ابنكما سيد وسيدة رافيرتي؟"*.

"هذا جايسون. لم أرَه منذ ثمانية أعوام أو ربما تسعة".

"عـــشت معه في الغرفة نفسها عندما كنت – ماذا – في الثامنة عشرة من عمرك؟".

"عندما كنت في الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة من عمري. لمدة سنة فقط".

"قبل عشرة أعوام تقريباً".

"ليس تماماً".

لطالمـــا كشف جايسون عن سلوك لطيف، لطيف جداً بحيث بدا وكأنـــه شمّع دماغه، لكنه بدا في الوقت نفسه أنه يعرف أسرار الكون كلها. كان الرفاق الآخرون يسمونه بريزر، وكانوا معجبين به، لا بل حسدوه. لم يكن أي شيء يدهش جايسون أو يفاجئه.

بدا متفاجئاً الآن. عين مفتوحة كثيراً، وفم مفتوح. بدا مصدوماً.

"ذهبتما إلى المدرسة معاً، وعشتما في الغرفة نفسها. لماذا لم تبقيا على اتصال؟".

فيما كان ميتش مسمّراً بالصورة، كان تاغارت يراقبه عن كثب. تحديق التحري كان ثاقباً مثل المسمار.

قال ميتش: "كانت لدينا... آراء مختلفة بشأن الأمور".

"لم يكـــن زواجاً. عشنا فقط في الغرفة نفسها. ليس ضرورياً أن نرغب في الأشياء نفسها".

"أردنـــا بعض الأشياء نفسها، لكننا امتلكنا أفكاراً مختلفة لناحية كيفية الحصول عليها".

قـــال تاغارت: "أراد جايسون الحصول على كل شيء بالطريقة السهلة".

"أعـــتقد أنه بحث عن المشاكل الكبيرة، ولم أشأ أن أكون جزءاً منها".

قال تاغارت: "أنت مباشر، تمشي مع الخط".

"لست أفضل من أي شخص آخر، لا بل أسوأ من البعض، لكنني لا أسرق".

"لم نعـــرف عنه الكثير بعد، لكننا نعرف أنه استأجر منـــزلاً في هانتينغتون هاربور مقابل سبعة آلاف دولار شهرياً".

"شهرياً؟".

"منـــزل جميل. ولغاية الآن، يبدو أنه لم يكن لديه وظيفة".

"ظن جايسون أن العمل هو فقط للوحوش القاطنين في الداخل".

رأى ميتش أن التوضيح ضروري. "الصفة المطلقة على أولئك الذين لا يعيشون على الشاطئ".

"متى عشت أنت على الشاطئ؟".

"قـــرابة نهاية الثانوية، ولبعض الوقت بعد ذلك. لكن لم يكن هذا كافياً".

"ماذا كان ينقص؟".

"الرضى عن العمل. الاستقرار. العائلة".

"لديك كل ذلك الآن. الحياة مثالية، أليس كذلك؟".

"إنها جيدة. جيدة جداً. جيدة لدرجة تجعلني متوتراً أحياناً".

"ولكن ليست مثالية. ما الذي ينقص الآن، ميتش؟".

لا يعـــرف ميتش. لقد فكّر في ذلك بين الحين والآخر، لكنه لم يحصل على جواب. لذا، قال: "لا شيء. نرغب في إنجاب أطفال. ربما هذا كل شيء".

قال التحري: "لديّ ابنتان. إحداهما في التاسعة من عمرها والثانية في الثانية عشرة. الأولاد يغيرون حياتك".

"أتطلع إلى ذلك".

أدرك ميتش أنه يجيب عن أسئلة تاغارت بحذر أقل مما سبق. ذكّر نفسه أنه لا يستطيع مجاراة هذا الرجل.

قـــال تاغـــارت: "باســـتثناء تهمة حيازة المخدرات، بقي سجل جايسون نظيفاً كل تلك السنوات".

"كان دوماً محظوظاً".

قال تاغارت وهو يشير إلى الصورة: "ليس دوماً".

لم يشأ ميتش النظر إلى الصورة مجدداً. أعادها إلى التحري.

قال تاغارت: "يداك ترتجفان".

"أظن ذلك. كان جايسون صديقي ذات مرة. ضحكنا معاً كثيراً. كل ذلك يعود إليّ الآن".

"إذاً، لم ترَه أو تتحدث إليه منذ عشرة أعوام".

"منذ عشرة أعوام على حد تقريبـــي".

أعـــاد تاغـــارت الصورة إلى المغلف وقال: "لكنك تعرفت إليه الآن".

"من دون الدم، وعند رؤية المزيد من الوجه".

"عـــندما رأيته يتنـــزه مع الكلب، قبل أن يُقتل، ألم تقل لنفسك: *هاي، ألا أعرف هذا الرجل*؟".

"كـــان في الجهة الأخرى من الشارع. ألقيت فقط نظرة سريعة عليه، ثم جاءت الطلقة النارية".

"وكنت تتحدث على الهاتف، شارد الذهن. رآك السيد بارنـــز تتحدث على الهاتف عندما تم إطلاق النار".

"هذا صحيح. لم أكن أركز على الرجل مع الكلب. ألقيت فقط نظرة سريعة عليه".

"لفتني السيد بارنـــز بعدم القدرة على الخداع. إذا كذب، أتوقع أن يحمر أنفه".

لم يكـــن ميتش واثقاً من أنه يجدر به التخمين بأنه غامض وغير موثوق، على عكس إيغي. ابتسم وقال: "إيغي رجل طيب".

نظر تاغارت إلى المغلف فيما ثبت إغلاقه بإحكام وقال: "مع من كنت تتحدث على الهاتف؟".

"هولي. زوجتي".

"تتصل بك لإبلاغك أنها تعاني من صداع الشقيقة؟".

"نعم. لتبلغني أنها ستعود إلى المنزل باكراً بسبب صداع الشقيقة".

ألقى تاغارت نظرة سريعة على المنزل وراءهما وقال: "أتمنى أن تشعر بالتحسن".

"يمكن أن تدوم النوبة أحياناً طوال اليوم".

"تبين إذاً أن الرجل المقتول كان صديقك القديم. هل ترى لماذا استغربت الأمر؟".

قال ميتش: "إنه غريب فعلاً. إنه يخيفني قليلاً".

"لم تَرَه منذ تسعة أعوام. لم تتحدث معه عبر الهاتف ولا أي شيء".

"كان يخرج مع أصدقاء جدد، مع شلة مختلفة. لم أهتم في أي منهم، ولم أعد أصادفه في أي من الأماكن القديمة".

"في بعض الأحيان، الصدف هي صدف". نهض تاغارت عن كرسيه، وانتقل نحو درج المصطبة.

شعر ميتش بالارتياح، ووضع راحتيّ يديه على سروال الجينز، ونهض عن كرسيه هو الآخر.

توقف تاغارت قرب الدرج، وأخفض رأسه، وقال: "لم يتم تفتيش منزل جايسون جيداً بعد. لقد بدأنا للتو. لكننا عثرنا على شيء غريب".

فيما ابتعدت الأرض عن الشمس الغارقة ببطء في الأفق، تغلغل ضوء بعد الظهر بين أغصان شجرة الفلفل. ثمة توهج برتقالي سطع على ميتش وجعله يطرف عينيه.

إضافة إلى الضوء المفاجئ، قال تاغارت: "في مطبخه، هناك درج يحتفظ فيه بالنقود المعدنية، والإيصالات، ومجموعة من الأقلام، والمفاتيح الاحتياطية... عثرنا على بطاقة تعريف واحدة في درجه. إنها بطاقتك".

"بطاقتي؟".

قال تاغارت: "الأخضر الكبير. تصميم وتركيب وصيانة مناظر طبيعية. ميتشال رافيرتي".

هذا ما أحضر التحري شمالاً من الشاطئ. لقد ذهب إلى إيغي، إيغي الذي لا يكذب، وعرف منه أن هناك بالفعل رابطاً بين ميتش وجايسون.

سأل تاغارت: "ألم تعطه البطاقة؟".

"لا، حسبما أذكر. ما كان لون البطاقة؟".

"أبيض".

"استخدمت الأبيض خلال الأعوام الأربعة الماضية فقط. قبل ذلك، كانت البطاقات باللون الأخضر الشاحب".

"ولم ترَه منذ تسعة أعوام".

"ربما تسعة أعوام".

"بالرغم من أنك لم تتعقب أثر جايسون، يبدو أن جايسون بقي يتعقب أثرك. هل تعرف لماذا؟".

"لا. أبداً".

بعد صمت، قال تاغارت: "أنت في ورطة هنا".

"ربما توجد ألف طريقة لكي يحصل فيها على بطاقتي، حضرة الملازم. لا يعني ذلك أنه يتعقب أثري".

أبقى التحري عينيه إلى الأسفل، وأشار إلى درابزون المصطبة وقال: "أنا أتحدث عن هذا".

www.rewity.com dodyadodo

على الدرابزون الأبيض، في السكون الدافئ، تحركت حشرتان بجناحين مع بعضهما، كما لو أنهما تتحدثان مع بعضهما.

قال تاغارت: "عث".

"قد يكون نملاً بأجنحة".

"أليست هذه هي الفترة من السنة التي يتكاثر فيها العث بكثرة؟ يجدر بك تنظيف المكان. قد يبدو المنزل جيداً، صلباً وآمناً، بالرغم من أن الأرض ربما مجوفة تحت قدميك".

أخيراً، نظر التحري إلى الأعلى والتقت عيناه عيني ميتش.

قال ميتش: "إنه نمل بأجنحة".

"هل من شيء آخر تريد قوله لي ميتش؟".

"لا. لا أظن ذلك".

"خذ وقتك. تأكد".

إذا كان تاغارت متحالفا مع الخاطفين، للعب هذه اللعبة بطريقة مختلفة. لما كان مصراً هكذا. لكان برز إحساس أنها لعبة، أحجية، بالنسبة إليه.

لو أخبرته بأي شيء ميتش، لكانت هولي ميتة الآن.

يحتمل أنه تم تسجيل حديثهما السابق عن بُعد. هذه الأيام، تستطيع الميكروفونات المتطورة، أو ما يعرف بالميكروفونات القسرية، التقاط الأصوات من مسافة مئات الأقدام. لقد رأى ذلك في فيلم سينمائي. القليل مما يراه في الأفلام مرتكز على حقائق، لكنه يعتقد أن الميكروفونات المتطورة حقيقية فعلاً. لم يعرف تاغارت ربما بأمر التسجيل تماماً مثل ميتش.

ومما لا شك فيه أن ما تم فعله مرة واحدة يمكن فعله مرتين. ثمة سيارة مقفلة لم يرَها ميتش أبداً من قبل وقفت قرب الرصيف في الجهة الأخرى من الشارع. قد يكون اختصاصي في المراقبة مختبئاً خلفها.

راقب تاغارت الشارع، باحثاً عن الشيء الذي لفت انتباه ميتش.

قد تكون المنازل مشبوهة أيضاً. لا يعرف ميتش كل الجيران. أحد المنازل فارغ ومعروض للبيع.

"لست عدوك، ميتش".

كذب قائلاً: "لم أقل يوماً إنك هكذا".

"يظن الجميع أنني هكذا".

"أود التفكير في أنني لا أملك أعداء".

"لكل واحد منا أعداؤه. حتى الصالحون الخيرون لهم أعداء".

"ولماذا يملك الصالح الخيّر أعداء؟".

"الأشرار يكرهون الطيبين، فقط لأنهم طيبون".

"كلمة أشرار تبدو...".

اقترح تاغارت: "غريبة".

"أعتقد أنه في عملك، كل شيء يبدو بالأسود والأبيض".

"تحت كل ظلال الرمادي، كل شيء هو بالفعل بالأسود والأبيض، ميتش".

"لم أنشأ على التفكير بهذه الطريقة".

"أوه، بالرغم من أنني أرى دليلاً كل يوم، أواجه بعض المشاكل في البقاء مركزاً على الحقيقة. ظلال رمادية، تناقض أقل، ثقة أقل؛ هذا مريح أكثر بكثير".

أخذ تاغارت نظاراته الشمسية من جيب قميصه ووضعها على عينيه. من الجيب نفسه، سحب إحدى بطاقاته الشخصية.

قال ميتش: "لقد أعطيتني قبلاً بطاقة. إنها في محفظتي".

"هذه البطاقة تحتوي على رقم قسم الجنايات. دوّنت رقم هاتفي الخلـــوي عليها. نادراً ما أعطي رقمي الخاص. يمكنك الاتصال بـــي على مدار النهار، سبعة أيام في الأسبوع".

أخـــذ ميـــتش البطاقة وقال: "أخبرتك بكل شيء أعرفه حضرة الملازم. إلا أن وجود جايسون في هذه القضية... يحيّرني".

حدّق إليه تاغارت من وراء العدستين اللتين عكستا صورة وجهه بظلال رمادية.

قـــرأ ميـــتش رقـــم الهاتـــف الخلوي. وضع البطاقة في جيب قميصه.

قـــال التحري، وهو يكرر كلام أحد ما على ما يبدو: "الذاكرة مـــثل الـــشبكة. يجدها الشخص مليئة بالسمك عندما يرفعها من الماء، لكن عشرات الأميال من الماء عبرت فيها من دون أن تعلق".

نـــزل تاغارت درج المصطبة.

عرف ميتش أن كل ما قاله لتاغارت علق في شبكة التحري، كل كلمة وكل تصرف، كل تشديد وكل تردد، كل تعبير في الوجه وكل ارتعـــاش من لغة الجسد، ليس فقط الكلمات التي قيلت وإنما أيضاً ما انطـــوت عليه. في تلك الشبكة، التي سيقرأها الشرطي برؤية الغجري الحقيقـــي المـــنكب فـــوق أوراق الشاي، سيعثر على دليل يعيده مع تحذيرات وأسئلة جديدة.

خرج تاغارت من البوابة الأمامية وأغلقها وراءه.

اخـــتفت الـــشمس عبر الفجوة بين أوراق شجرة الفلفل، وبقي ميـــتش في الظل، لكنه لم يشعر بالبرد لأن الضوء لم يبعث فيه الدفء أساساً.

11

في غرفة الجلوس، كان التلفزيون الكبير عياناً عمياء. حتى لو استخدم ميتش جهاز التحكم عن بعد لملء الشاشة بصور غبية، لن تستطيع هذه العين رؤيته. لكنه شعر أنه مراقب بحضور يتأمله بسرور بارد.

كانت الرسالة الوحيدة، على الآلة المجيبة الموضوعة على مكتب في الزاوية هي من إيغي:

"عـــذراً، صديقي. كان يجدر بـــي الاتصال بك ما إن غادر من هـــنا. لكـــن تاغـــارت... إنه مثل الطريق المرصوف بجذوع الأشجار والمـــؤدي إلى الأفـــق. يخـــيفك ويجعلك راغباً في الجلوس بهدوء على الشاطئ ومراقبة الأمواج وهي تتكسر".

جلـــس ميـــتش أمام المكتب وفتح الدرج الذي تحتفظ فيه هولي بدفتر الشيكات والحسابات المصرفية.

خـــلال حديـــثه مع الخاطف، أخطأ في تقدير حسابهما المصرفي، الذي هو 10,346.54 دولاراً.

يظهـــر كـــشف الحـــساب الشهري الحديث مبلغاً إضافياً قدره 27,311.40 دولاراً.

ثمـــة فواتير مستحقة. إنها موضوعة في درج آخر من المكتب. لم ينظر إليها. إنه يحسب الموجودات فقط.

القـــسط الـــشهري للمنـــــزل يتم اقتطاعه تلقائياً من حسابهما المصرفي. ذكر البيان المصرفي أن المبلغ الباقي من القرض هو 286,770 دولاراً.

في الآونـــة الأخيرة، خمّنت هولي أن المنـــزل يساوي 425 ألف دولار. إنه مبلغ جنوني بالنسبة إلى منـــزل صغير في ضاحية قديمة، لكن

الـــرقم دقيق. فالمنطقة لا تزال مرغوبة، بالرغم من أنها قديمة، والقسم الأكبر من القيمة يكمن في المساحة الكبيرة.

بالإضافة إلى المال النقدي بين أيديهما، المبلغ المدفوع في المنـــزل يساوي تقريباً 175 ألف دولار. هذا بعيد جداً عن المليونيّ دولار. ولا يبدو الخاطف كأنه شخص يملك نية المفاوضة.

على كل حال، لا يمكن تحويل المبلغ المدفوع في المنـــزل إلى مال نقـــدي إلا إذا أخـــذا قرضاً جديداً أو باعا المنـــزل. وبما أن المنـــزل مسجل باسم الاثنين، يحتاج إلى توقيع هولي في كلتا الحالتين.

مـــا كـــان بوسعهما شراء المنـــزل لو لم ترثه هولي من جدتها، دوروثـــي، التي ربّتها. كان الرهن العقاري أصغر عند موت دوروثي، لكـــن لدفع ضرائب الإرث وإنقاذ المنـــزل، توجب عليهما أخذ قرض أكبر.

هكـــذا، فـــإن المبلغ المتوافر للفدية هو سبعة وثلاثون ألف دولار تقريباً.

لغايـــة الآن، لم يعتـــبر ميتش نفسه فاشلاً. صورته الذاتية كانت صورة رجل شاب يؤسس لحياة بمسؤولية.

إنـــه في الـــسابعة والعشرين من عمره. لا يمكن لأحد أن يكون فاشلاً في السابعة والعشرين.

إلا أنه لا يمكن الجدال بهذه الحقيقة: بالرغم من أن هولي هي محور حـــياته، ولا تقدّر بثمن، عندما أجبر على دفع ثمن لها، واستطاع فقط توفير سبعة وثلاثين ألف دولار فقط.

طغت عليه مرارة الاستياء من نفسه. ليس هذا جيداً. فالمرارة قد تـــتحول إلى شـــفقة علـــى الذات، وإذا استسلم للشفقة على الذات، *سيجعل* نفسه فاشلاً. وستموت هولي.

حتى لو لم يكن هذا المنـــزل مرهوناً، حتى لو امتلكا نصف مليون دولار نقـــداً وكانا شخصين ناجحين جداً في عمرهما، لما امتلك المال الكافي لدفع فديتها.

هذه الحقيقة جعلته يدرك أن المال ليس هو ما ينقذ هولي. هو من ســـيتمكن من إنقاذها إذا كان يمكن إنقاذها: ثباته، ذكاؤه، شجاعته، حبه.

فيما أعاد الدفتر إلى الدرج، رأى مغلفاً يحمل اسمه بخط يد هولي. احتوى على بطاقة معايدة اشترتها قبل أسابيع من يوم ميلاده.

علـــى الجهـــة الأمامية للبطاقة، هناك صورة لرجل عجوز مليء بالتجاعيد. كانت الكلمات المطبوعة: *حين تصبح كبيراً في السن، أبقى بحاجة إليك عزيزي.*

فتح ميتش البطاقة وقرأها: *في ذلك الوقت، الشيء الوحيد الذي يبقى لي هو الاعتناء بالحديقة، وتصنع أنت سماداً رائعاً.*

ضـــحك. تخـــيل ضـــحكة هولي في المتجر عندما فتحت البطاقة وقرأت هذه العبارة.

ثم أصـــبحت ضحكته شيئاً مختلفاً عن الضحك. خلال الساعات الخمـــس المـــريعة الماضية، أوشك أكثر من مرة على البكاء لكنه كبت نفسه. هذه البطاقة حطمته.

تحـــت العبارة المطبوعة، كتبت بخط يدها *ميلاد سعيد حبيبـــي هولي*. كان خطها أنيقاً، ولكن ليس مزخرفاً، أو مرتباً.

رأى في عقله يدها وهي تمسك بالقلم. بدت يداها دقيقتين، وإنما كانتا قويتين جداً.

اســـتعاد في الـــنهاية رباطـــة جأشـــه عـــند تذكـــر قوة يديها الدقيقتين.

ذهـــب إلى المطبخ، ووجد مفاتيح سيارة هولي على العلاّقة فوق الباب الخلفي. إنها تقود سيارة هوندا يعود تاريخ صنعها لأربع سنوات خلت.

بعـــد سحب هاتفه الخلوي من جهاز الشحن قرب حماصة الخبز، خـــرج مـــن المنـــــزل ونقل شاحنته إلى المرأب في الجهة الخلفية من المنـــزل.

رُكـــنت الهـــوندا البيضاء في الصف الثاني، متلألئة بعدما غسلتها هولي بعد ظهر الأحد. فقام بركن الشاحنة قربها.

خـــرج من الشاحنة، وأغلق باب السائق، ووقف بين المركبتين، متأملاً المرأب. إذا كان يوجد أحد هنا، لكان سمع ورأى الشاحنة وهي تقترب، ولحصل على إنذار وهرب.

فاحت من المرأب رائحة زيت المحركات والشحم، وكذلك رائحة العشب المربوط في حزم والموضوع في صندوق الشاحنة.

حـــدق إلى السقف المنخفض، الذي هو أرض القبو الممتد فوق ثلثيّ مساحة المرأب. النوافذ في القسم العلوي مواجهة للمنـــزل، وتوفر نقطة مراقبة ممتازة.

عـــندما عاد ميتش قبلاً إلى المنـــزل، عرف شخص ما متى دخل بالضبط المطبخ. لقد رنّ الهاتف، وكانت هولي على الخط، بعد لحظات من اكتشافه الأطباق المكسورة والدم.

بالـــرغم مـــن أن المراقب ربما كان موجوداً في المرأب، وربما لا يـــزال هنا، لن تكون هولي معه. قد يعرف أين هي محتجزة، وربما لا يعرف.

إذا عـــرف المراقب، الذي يبقى وجوده نظرياً، أين يمكن العثور على هولي، سيكون طيشاً أن يطارده ميتش. فهؤلاء الأشخاص يملكون

بوضـــوح خـــبرة كـــبيرة في العنف، وهم من دون شفقة. لن يستطيع البستاني مجاراة أي منهم.

طقطـــق لوح خشبـــي فوق رأسه. في مبنى بهذا القدم، قد تكون الطقطقـــة ضـــجيجاً اعتـــيادياً، لأن المفاصل العتيقة تستجيب لقانون الجاذبية.

توجه ميتش إلى باب السائق في سيارة الهوندا وفتحه. تردد، لكنه جلس وراء المقود، وترك الباب مفتوحاً.

بهدف الإلهاء، شغل المحرك. بقي باب المرأب مفتوحاً، ما ينفي أي خطر اختناق بأحادي أوكسيد الكربون.

خرج من السيارة، وأغلق الباب وراءه. أي شخص يستمع إلى ما يحصل يفترض أنه أغلق الباب وهو لا يزال في السيارة.

إلا أن عـــدم خروجه من المرأب قد يحيّر المصغي إليه. ثمة افتراض يقول إنه ربما يجري اتصالاً هاتفياً.

علـــى حـــائط جانبـــي، اصطفت العديد من أدوات الاعتناء بالحديقـــة الـــتي يستخدمها في عملية الاهتمام بحديقة منـــزله. بدت المقصات المتنوعة غير قوية كلها.

اخـــتار بسرعة مالج حديقة مصنوعاً من قطعة فولاذ واحدة. كان المقبض مغلفاً بالمطاط.

كانت الشفرة عريضة ومجوفة، وغير حادة مثل نصل السكين. إلا أنها حادة كفاية.

أقـــنعه التفكير الوجيز أنه اختار سلاحاً قد يعطل الرجل بدلاً من قتله، بالرغم من أنه قد يتمكن من طعنه.

علـــى الحائط المقابل لمعدات الاعتناء بالحديقة، ثمة رفوف عليها أدوات أخرى. اختار مفتاح ربط وقضيباً معدنياً.

12

أدرك ميـــتش أن نوعاً من الجنون، أو نوعاً من اليأس، طغى عليه. لم يعد بوسعه تحمل التراخي. أمسك بمفتاح الربط الطويل بيده اليمنى، وانـــتقل إلى الجهة الخلفية من المرأب حيث السلالم المفتوحة في الزاوية الشمالية تفضي إلى الطابق الوحيد للعلية.

في حـــال الاســـتمرار برد الفعل بدلاً من الفعل، والانتظار بهدوء اتـــصال الـــساعة السادسة - ولا يزال هذا بعد ساعة وسبع دقائق - ســـيكون مثل الآلة التي تمناها الخاطفون. لكن حتى سيارات الفيراري تنتهي أحياناً في الخردة.

لمـــاذا ســـرق جايـــسون أوســـتين الكلب، ولماذا هو، بين كل الأشـــخاص، تم قتله كمثال لما يمكن للخاطفين القيام به؛ كانا سؤالين يشكلان لغزين لا تفسير لهما.

إلا أن حدســـه أخبره أن الخاطفين عرفوا أن جايسون مرتبط به وأن هـــذا الـــرابط سيجعل الشرطة تشك فيه. إنهم يحيكون شبكة من الأدلـــة الظـــرفية، بحـــيث إذا قتلوا هولي، سيكون ميتش متهماً بقتلها وسيحصل على الحكم بالإعدام من أي محكمة.

إنهـــم يفعلون هذا ربما فقط لكي يستحيل عليه اللجوء إلى السلطات طلباً للمساعدة. حين يكون معزولاً هكذا، تسهل أكثر السيطرة عليه.

أو، عـــندما يحصل على المليوني دولار بأي طريقة يعرضونها عليه، قـــد لا يـــنوون إطـــلاق ســـراح زوجته مقابل الفدية. إذا استطاعوا اســـتخدامه لسرقة مصرف أو مؤسسة أخرى، إذا قتلوا هولي وحصلوا علـــى المـــال، وإذا كانوا أذكياء كفاية لعدم ترك أي أثر لأنفسهم، قد يصبح ميتش - وشخص آخر ربما لم يلتقِه بعد - متهماً بكل جريمة.

وحيداً، حزيناً، منبوذاً، مسجوناً، لن يعرف أبداً من هم أعداءه. سيبقى يتساءل لماذا اختاروه هو بدلاً من بستاني أو ميكانيكي آخر، أو عامل بناء.

بالـــرغم مـــن أن اليأس الذي دفعه إلى درج القبو سلب منه كل خوف داخلي، فإنه لم يسلبه المنطق. لم يصعد مسرعاً إلى الأعلى، وإنما بحذر، وهو يحمل القضيب الفولاذي.

لا شك في أن الألواح الخشبية طقطقت أو حتى أصدرت صريراً تحـــت قدميه، لكن صوت دوران محرك الهوندا، الذي تردد صداه عبر الجدران، أخفى كل صوت آخر.

ثمـــة جدران على ثلاثة جوانب، فيما بقيت المساحة مفتوحة في الجهة الخلفية. هناك درابزون ممتد من أعلى الدرج وعبر عرض المرأب. أدخلت نوافذ الجدران الثلاث، ضوءَ بعد الظهر إلى تلك المساحة المـــرتفعة. وراء أعمدة الدرابزون- وفوقها- هناك كدسات من العلب الكرتونية والأغراض الأخرى التي لا يتسع لها المنـــزل.

الأغـــراض المخزنة كانت مرتبة في صفوف، بعلو أربع أقدام فقط في بعض الأنحاء، وبعلو سبع أقدام في أنحاء أخرى. الممرات بينها مظللة، وكل طرف يوفر منعطفاً محجوباً.

في أعلـــى الـــدرج، وقف ميتش أمام أول ممشى. ثمة نافذتان في الحائط الشمالي أدخلتا ضوءاً كافياً يضمن له عدم وجود أحد مختبئ في أي مساحة فارغة بين العلب.

كـــان الممشى الثاني أكثر دكنة من الأول، بالرغم من أن التقاطع في طـــرفه كـــان مضاءً بنوافذ غير منظورة في الحائط الغربـــي، تواجه المنـــزل. الضوء في الطرف كان ليعكس ظل أي شخص يقف بجرأة في المساحة الفارغة.

www.rewity.com dodyadodo

بمـــا أن العلب لم تكن كلها بالحجم نفسه و لم تكن مرتبة بدقة في كـــل مـــرة، وبسبب وجود فجوات هنا وهناك بين الصفوف، كانت هـــناك فراغات في كل ممشى توفر مساحات كبيرة كفاية ليختبئ فيها رجل.

صـــعد ميتش الدرج بهدوء. ربما لم يمضِ وقت طويل على دوران محـــرك الهوندا لإثارة الشبهات. لذا، فإن أي مراقب موجوداً في العلية سيكون يقظاً ومصغياً، لكنه لن يدرك على الأرجح الحاجة الفورية إلى الاختباء.

الممـــشى الـــثالث كان أكثر إشراقاً بسبب وجود نافذة في طرفه مباشرة. تحقق من الممشى الرابع، ومن ثم من الممشى الخامس والأخير، الممـــتد على الحائط الجنوبـــي في ضوء نافذتين مليئتين بالغبار. لم يعثر على أحد.

الممـــر المتقاطع الموازي للحائط الغربـــي، الذي تنتهي عنده كل الممرات الشرقية – الغربية، كان الممر الطويل الوحيد في العلية الذي لم يرَه كله. كل صف من العلب خبأ جزءاً من تلك المساحة.

رفـــع مفتاح الربط عالياً، ومشى بمحاذاة الممر الجنوبـــي، وانتقل إلى الجهة الأمامية. وجد أن كل الممشى الأخير كان مقفراً مثل الأجزاء التي رآها من الطرف البعيد للمبنى.

لكن على الأرض، بمحاذاة صف من العلب، هناك بعض المعدات التي لا يفترض وجودها هنا.

أكثـــر من نصف الأغراض الموجودة تخص دوروثي، جدة هولي. فكانت قد جمعت زينة وأغراضاً زخرفية لكل مناسبة مهمة.

في المـــيلاد، كانـــت تعـــرض خمـــسين أو ستين رجل ثلج من الـــسيراميك مـــن مختـــلف الأنواع والأحجام. تملك الكثير من غزلان

الـــسيراميك، والأشجار، وأكاليل من الزهر، وأجراس من السيراميك، ومجمـــوعات مـــن أشخاص السيراميك، ومنازل صغيرة من السيراميك يمكن ترتيبها للحصول على شكل قرية.

لا يـــستطيع المنـــــزل أن يتـــسع لمجموعة دوروثي الكاملة لأي مناسبة. كانت تفرغ وتعرض بقدر ما يتسع المكان.

لم تشأ هولي بيع أي شيء من أغراض السيراميك. تابعت التقليد. قالت إنه في يوم ما، سيحصلان على منـــزل أكبر، ويمكن الكشف عن الجمال الكامل لكل مجموعة.

في مـــئات العلب الكرتونية، كانت هناك تماثيل للفصح، وأغنام، وأشكال دينية، وأبطال الرابع من يوليو، وأشباح لذكرى التنكر وهررة سوداء، وتماثيل أشخاص لمناسبة الشكر، وزخارف الميلاد.

المعـــدات الموجـــودة على الأرض في الممشى الأخير لم تكن من الـــسيراميك ولا زخرفية، ولا احتفالية. اشتملت المعدات الإلكترونية علـــى جهـــاز استقبال وجهاز تسجيل، لكنه لم يتعرف إلى الأغراض الثلاثة الأخرى.

كانت موصولة بلوح من المقابس الكهربائية، المتصل بقابس مجاور في الجوار. كشفت أضواء المؤشر والشاشات الرقمية أن المعدات حالياً قيد العمل.

إنها معدة لمراقبة المنـــزل. ربما تمت مراقبة الغرف والهواتف.

واثقـــاً مـــن تـــسلله، لأنه لم يرَ أحداً، افترض ميتش، عند رؤية المعـــدات، أنهـــا غـــير مـــراقبة في الوقت الحاضر، وأنها تعمل بطريقة أوتوماتيكية. ربما يمكن النفاذ إليها وتحميلها من بعد.

بالتـــزامن مع هذه الفكرة، تبدل نمط المؤشرات الرقمية، وبدأت إحـــدى الـــشاشات الرقمية على الأقل تكشف عن عدّ عكسي. سمع

صـــوتاً واضحاً من سيارة الهوندا في المرأب في الأسفل، ومن ثم صوت التحري تاغارت.

"أحـــب هـــذه الـــضواحي القديمـــة. هكذا، كان يبدو جنوب كاليفورنيا في سنواته الرائعة...".

لم تتم مراقبة غرف المنـــزل فقط وإنما أيضاً المصطبة الأمامية.

عـــرف أنـــه تم التفوق عليه ببراعة قبل ثانية واحدة من إحساسه برأس مسدس مصوب على الجهة الخلفية لعنقه.

13

بالـــرغم من إجفاله، لم يحاول ميتش الاستدارة نحو الرجل المسلح أو استعمال مفتاح الربط. لن يتمكن من التحرك بسرعة كافية للنجاح.

خـــلال الساعات الخمس الماضية، أصبح مدركاً بوضوح لقيوده، التي تعتبر إنجازاً، لأنه تربى على الاعتقاد أنه لا توجد قيود أمامه.

قد يكون مهندس حياته، لكنه لم يعد يثق أبداً بأنه سيد قدره.

"... قـــبل أن يقطعوا كل بساتين البرتقال ويصنعوا أراضيَ قاحلة من المنازل الجاهزة".

وراءه، قـــال الرجل المسلح: "ارمِ مفتاح الربط. لا تنحنِ لوضعه أرضاً، وإنما فقط ارمه أرضاً".

لم يكـــن هذا الصوت صوت الرجل على الهاتف. يبدو هذا أكثر شـــباباً مـــن الآخر، وغير بارد بقدره، وإنما له نبرة مزعجة تسطح كل كلمة وتجعلها كلها متساوية.

أفلت ميتش مفتاح الربط.

"... هذا أكثر سهولة. لكن صودف وجودي في منطقتك".

بدا وكأنه يستعمل جهازاً للتحكم عن بعد، أوقف الرجل المسلح عمل جهاز التسجيل.

قال لميتش: "يبدو أنك تريدها مقطعة إلى أجزاء مثلما وعدناك".

"لا".

"ربما ارتكبنا خطأ باختيارك. يبدو أنت سعيد بالتخلص منها".

"لا تقل هذا".

كل كلمة بدهية، كلها بالقيمة العاطفية نفسها، لا تملك أي قيمة علـــى الإطـــلاق. "بوليصة تأمين كبيرة على الحياة. امرأة أخرى. ربما لديك أسبابك".

"لا شيء من هذا القبيل".

"قد تسدي لنا خدمة أفضل إذا وعدناك بقتلها لك، كتعويض".

"لا. أنا أحبها. فعلاً".

"إذا قمت بحماقة أخرى مثل هذه ستموت".

"أفهم".

"لتعد مثلما جئت".

استدار ميتش، واستدار الرجل المسلح أيضاً بحيث بقي خلفه.

فـــيما بـــدأ يعيد خطواته في الممشى الأخير، بعد أول نافذة من الـــنوافذ الجنوبـــية، سمع ميتش صوت مفتاح الربط وهو يتحرك على الألواح الخشبية بعدما أزاحه الرجل المسلح على الأرض.

كان بوسعه الاستدارة، والركل، والأمل في التقاط الرجل خلال نهوضه من انحناءة سريعة. لكنه خشي أن يتم استباق مناورته.

لغايـــة الآن، اعتـــبر هـــؤلاء الرجال مجهولي الهوية بمثابة مجرمين محتـــرفين. ربمـــا هم كذلك، لكنهم شيء آخر أيضاً. لا يعرف ما قد يكونون عليه، وإنما شيء أسوأ.

مجرمون، خاطفون، قتلة. لم يستطع تخيل ما يمكن أن يكون أسوأ مما عرفهم عليه.

لحق به في الممشى وقال الرجل المسلح: "اصعد إلى سيارة الهوندا وقم بنـــزهة".

"حسناً".

"انتظر اتصال الساعة السادسة".

"حسناً. سأفعل".

فـــيما اقتربا من نهاية الممشى، في الجهة الخلفية للعلية، حيث تبرز الحاجة إلى الاستدارة يساراً وعبور عرض المرأب نحو الدرج في الزاوية الـــشمالية الـــشرقية، تدخل شيء مثل الحظ عن طريق حبل، عقدة في الحبل، أنشوطة في الحبل.

لحظـــة حـــصول ذلـــك، لم يستوعب ميتش السبب، وإنما فقط النتـــيجة. انهار جبل من العلب الكرتونية. وقع بعضها في الممشى، فيما وقعت علبة أو علبتان على الرجل المسلح.

حسب العبارات المدونة على العلب الكرتونية، تحتوي تلك العلب علـــى قطع سيراميك خاصة بمناسبة التنكر. كانت العلب مليئة بورق الفقاقـــيع والمـــناديل الورقية أكثر مما كانت مليئة بالأغراض الزخرفية، ولـــذلك لم تكن ثقيلة، لكن انهيارها فوق بعضها أوقع الرجل المسلح وجعله يتعثر.

أزاح ميتش علبة ورفع ذراعاً لصدّ أخرى.

إلا أن الكومة الأولى المتساقطة زعزعت استقرار الكومة الثانية.

كاد ميتش يتمدد نحو الرجل المسلح لمساعدته. إلا أنه أدرك بعدها أن أي محاولـــة لتقديم الدعم قد يساء تفسيرها على أنها هجوم. لتفادي سوء الفهم- والقتل- تراجع بعيداً عن طريق عدوه.

الخشب القديم الجاف للدرابزون في الجهة الخلفية للعلية يمكن أن يـــستوعب بأمان أي شخص يتكئ بطريقة عفوية عليه، لكن تبين أنه ضـــعيف جـــداً لـــتحمل صـــدمة الرجل المسلح المتعثر. فقد طقطق الدرابزون، وخرجت المسامير من مكانها، وانفصل لوحان خشبيان من الدرابزون عند المفصل.

أطلـــق الرجل المسلح الشتائم بسبب تساقط العلب. أطلق صرخة إنذار فيما أفلت منه الدرابزون.

وقع على أرض المرأب. لم تكن المسافة كبيرة، ثماني أقدام تقريباً، لكـــنه وقع بالترافق مع صوت مريع، ووسط طقطقة درابزون مكسور وصوت إطلاق نار.

14

مـــن انهيار العلبة الأولى إلى الختام بإطلاق النار، مرّت ثوانٍ قليلة فقط. وقف ميتش مذهولاً وهو غير مصدق أن ما حصل قد حصلَ.

صدمه الصمت من الشلل. الصمت في الأسفل.

نـــزل السلالم مسرعاً، وصدر صوت قوي جداً من الألواح تحت قدمـــيه، كما لو أنها خزنت هذا الصوت من العواصف التي فتكت قبل زمن بعيد بالأشجار التي صنعت منها.

فـــيما عبر ميتش المرأب في الطابق الأرضي، مروراً أمام الشاحنة، ومن ثم أمام الهوندا، تسابق الابتهاج مع اليأس للسيطرة عليه. لا يعرف ماذا سيجد ولا يعرف بالتالي كيف يشعر.

كان الرجل المسلح مستلقياً ووجهه إلى الأسفل، رأسه وكتفاه تحت عربة يد مقلوبة. لا بد أنه سقط على إحدى حوافها، فانقلبت عليه.

لا يفتـــرض بسقوط من ارتفاع ثماني أقدام أن يتركه في مثل هذا الجمود العميق.

تنفس ميتش بصعوبة ولكن ليس من الجهد الجسدي، وقلب عربة اليد وأزاحها جانباً. كل نَفَس استنشقه أحضر له رائحة زيت المحركات ورائحة العشب، وفيما جلس القرفصاء قرب الرجل المسلح، شمّ رائحة الرصاص أيضاً، ومن ثم رائحة الدم.

قلـــب الجسم ورأى الوجه بوضوح للمرة الأولى. هذا الغريب في منتصف العقد الثاني، لكنه يملك بشرة فاتحة مثل شاب في أولى سنوات المـــراهقة، مـــع عينين خضراوين وأهداب سميكة. لا يبدو مثل رجل يستطيع التحدث عن تشويه امرأة وقتلها.

وقع أرضاً وجاءت حنجرته على الحافة المعدنية لصينية عربة اليد. يبدو أن تأثير الصدمة سحق حنجرته وقطع قصبته الهوائية.

انكـــسر ساعده الأيمن، ويده اليمنى، العالقة تحته، ضغطت على زناد المسدس بطريقة لاإرادية. بقيت السبابة عالقة وراء الزناد.

دخلت الرصاصة مباشرة تحت عظم الصدر، وارتفعت في زاوية وإلى اليسار. أوحى النـــزف الخفيف بجرح في القلب وموت فوري.

لـــو لم تقـــتله الرصاصـــة على الفور، لقتله مجرى الهواء المخنوق بسرعة.

هذا حظ كثير ليكون حظاً فقط.

أيـــاً كان - حظاً أو شيئاً أفضل، حظاً أو شيئاً أسوأ - لم يعرف ميتش في البداية ما إذا كان هذا التطور مفيداً أو غير مرحب به.

تـــضاءل عـــدد أعدائه واحد. أحسّ بمرح بال، مترافق مع نشوة الـــثأر، وكاد أن يطلق ضحكة كبيرة لو لم يدرك أيضاً أن هذا الموت عقّد وضعه.

حـــين لن يبلغ هذا الرجل التطورات إلى شركائه، سيتصلون به. وعـــندما لن يتمكنوا من التقاطه عبر الهاتف، قد يأتون للبحث عنه. إذا وجـــدوه ميتاً، سيفترضون أن ميتش قتله، وبعد فترة قصيرة سيتم قطع أصـــابع هولي الواحد تلو الآخر، وكيّ كل قاعدة إصبع من دون أي مخدر.

أســـرع ميـــتش إلى سيارة الهوندا وأوقف عمل المحرك. استخدم جهاز التحكم عن بعد لإغلاق باب المرأب.

فيما أغلق الباب، أشعل الأضواء.

لا يمكن سماع دوي الطلقة النارية. وحتى لو تم سماعها، كان واثقاً من أنه لن يتم التعرف إلى حقيقتها.

في هـــذه الساعة، لم يعد الجيران من العمل إلى المنـــزل. ربما عاد بعـــض الأولاد من المدرسة، لكنهم يستمعون إلى الأقراص الموسيقية أو أنهـــم غارقـــون في عالم الإكس بوكس، وسيتم اعتبار صوت الطلقة المخنوق على أنه صوت موسيقى أو صوت لعبة.

عاد ميتش إلى الجثة ووقف ينظر إليها.

للحظات، لم يستطع فعل أي شيء. عرف ما يجب فعله، لكنه لم يستطع التصرف.

لقـــد عـــاش ثمانية وعشرين عاماً تقريباً من دون رؤية ميت. لقد رأى الآن رجلين مقتولين في اليوم نفسه.

تـــراءت إلـــيه أفكار حول موته، وعندما حاول قمعها، لم يستطع. الهمـــس في أذنيه كان صوت دمه المتدفق بسرعة، بالترافق مع قلب يدوي بقوة، لكن خياله منحه أجنحة داكنة خفقت عند جانب عين عقله.

بالرغم من أنه اشمأز من تفتيش الجثة، جعلته الضرورة يركع على ركبتيه قربها.

من يد ساخنة جداً بحيث بدا الموت وكأنه ادعاء، نزع المسدس. وضعه في عربة اليد المجاورة.

لو لم ترتفع الساق اليمنى لسروال الرجل الميت أثناء السقوط، لما استطاع ميتش رؤية السلاح الثاني. حمل الرجل المسلح مسدساً كاتماً للصوت في قراب عند الكاحل.

بعد وضع المسدس الأول مع الثاني، تأمل ميتش القراب. فك ربطات الفيلكرو، ووضع القراب مع المسدسين.

فتش في جيوب السترة الرياضية وقلب جيوب السروال.

اكتشف مجموعة من المفاتيح - واحد لسيارة، وثلاثة مفاتيح أخرى - تأملها ثم أعادها إلى الجيب حيث وجدها. بعد تردد وجيز، سحبها وأضافها إلى عربة اليد.

لم يجد أي شيء مهم باستثناء محفظة نقود وهاتف خلوي. ربما تحتوي الأولى على بطاقة تعريف، فيما الثاني مبرمج ربما لطلب أرقام كل واحد من شركائه.

إذا رنّ الهاتف، لن يجرؤ ميتش على الردّ عليه. حتى لو تحدث بكلمات مختصرة وظن الرجل في الطرف الآخر للحظات أنه صوت الرجل الميت، سيوقع نفسه في زلة أو أخرى.

أوقف عمل الهاتف. سيساورهم الشك عندما يسمعون البريد الصوتي، لكنهم لن يتصرفوا بسرعة استناداً إلى الشك.

كبت حشريته، ووضع ميتش محفظة النقود والهاتف الخلوي جانباً في عربة اليد. ثمة مهام أخرى أكثر إلحاحاً تنتظره.

15

من الجهة الخلفية للشاحنة، سحب ميتش بساطاً قماشياً يستخدم لربط قصاصات شجيرات الورد. لا تستطيع الأشواك التغلغل فيه بسهولة، مثلما تفعل مع نسيج الخيش.

إذا جاء أحد الخاطفين الآخرين يبحث عن الرجل الميت، لا يستطيع ميتش ترك الجثة هنا.

فكرة القيادة مع جثة في صندوق سيارته جعلته يشعر بالغثيان. عليه شراء بعض مضادات الحموضة.

أصبح البساط القماشي طرياً نتيجة الاستعمال، وكان متشققاً مثل الزجاج لإناء قديم. وبالرغم من أنه ليس مقاوماً للماء، بقي مقاوماً نسبياً له.

لأن قلب الرجل المسلح توقف على الفور، سال القليل من الدم من الجرح. لم يقلق ميتش بشأن بقع الدم.

لا يعرف كم عليه إبقاء الجثة في الصندوق. لساعات قليلة، ليوم، ليومين؟ عاجلاً أم آجلاً، سترشح منها سوائل أخرى غير الدم.

بسط البساط القماش على الأرض، ودحرج الجثة عليه. أحس بموجة اشمئزاز تطغى عليه، نتيجة طريقة تمايل ذراعيّ الرجل الميت، وطريقة انحناء الرأس.

فكر في الخطر المحدق في هولي، الذي يلزمه عدم التراجع حتى عن أكثر المهام إزعاجاً، أغمض عينيه وتنفس ببطء وعمق مرات عدة متتالية. كبت اشمئزازه.

أوحى الرأس المتمايل أن عنق الرجل المسلح مكسور. في هذه الحالة، ثمة ثلاث طرق لموته: عنق مكسور، قصبة هوائية مسحوقة، قلب ممزق برصاصة.

لا يمكن أن يكون هذا حظاً. فمثل هذه الأمور المريعة لا يمكن أن تكون مجرد حظ جيد. اعتبارها هكذا يكون كريهاً.

استثنائي، نعم. حادث استثنائي. وغريب. ولكن ليس سعيداً.

بالإضافة إلى ذلك، لا يستطيع القول إن هذا الحادث كان لصالحه. قد يتبين بسهولة أنه لغير صالحه.

بعد لف الجثة بالبساط القماشي، لم يأخذ الوقت لحياكة الحبل عبر الحلقات المعدنية وربط الرزمة. فالقلق كان مثل الساعة المتكتكة، مثل الساعة الزجاجية، وخشي حصول انقطاع من نوع أو آخر قبل إتمام عملية التنظيف هذه.

سحب الجثة الملفوفة بالبساط إلى الجهة الخلفية لسيارة الهوندا. فيما فتح صندوق السيارة، طغت عليه موجة من الرعب، فكرة العثور على رجل آخر ميت في المكان، لكن الصندوق كان فارغاً من دون شك.

لم يكن خياله يوماً بهذه الخصوبة، ولم يكن قبلاً كئيباً. تساءل إذا كان توقع العثور على جثة ثانية ضرباً من الوهم، لكنه كان في الواقع إحساساً باطنياً بعثوره على رجال آخرين أموات في المستقبل الوشيك.

تبين أن وضع الجثة في صندوق السيارة عمل مضنٍ. صحيح أن وزن الرجل المسلح أقل من ميتش، لكنه في النهاية وزن رجل ميت.

لو لم يكن ميتش قوياً ولو لم يكن عمله من النوع الذي أبقاه في لياقة بدنية جيدة، لربما خذلته لياقته أمام الجثة. تصبب عرقاً عندما أغلق الصندوق وأقفله.

لم يكشف الفحص الدقيق عن أي دم في عربة اليد. ولا على الأرض أيضاً.

جمع قطع الدرابزون المكسورة والقسم الواقع من الدرابزون، فتح باب المرأب، وأخفاها في كومة نصف بالية من الخشب تم استخدامها لموقد غرفة الجلوس في الشتاء المنصرم خارج المرأب.

عاد إلى الداخل مرة جديدة، وصعد السلالم وعاد إلى النقطة المميتة في طرف الممشى الجنوبي. كشف سبب الحادث عن نفسه.

كانت العديد من العلب المكدسة مختومة بشريط لاصق، لكن عدداً من العلب الأخرى مربوط بحبل. لا يزال مخل مفتاح الربط عالقاً في أنشوطة عقدة.

حاملاً مفتاح الربط على جانبه، بعيداً نوعاً ما عن جسمه، لا بد أن الرجل المسلح علق بالأنشوطة المتدلية من الحبل، وأوقع العلب الكرتونية على نفسه.

أعاد ميتش تكديس العلب المتساقطة مثلما كانت قبلاً. ابتكر صفاً جديداً من الكدسات القصيرة أمام الفراغ في الدرابزون لإخفاء الضرر الحاصل.

إذا جاء رفاق الرجل المسلح للبحث عنه، سيوحي لهم الدرابزون المكسور والقسم الناقص من الدرابزون بأن عراكاً قد حصل.

الفجوة في الدرابزون ستبقى مرئية لهم من الزاوية الجنوبية الشرقية في الطابق السفلي. إلا أن السلالم موجودة في الزاوية الشمالية الشرقية، وقد لا يكون أصدقاء الرجل المسلح في وضعية أبداً لرؤية الضرر.

بالـــرغم مـــن أن ميتش أحب تنفيس بعض الغضب عبر سحق المعدات الإلكترونية الموضوعة في الممر بمحاذاة الحائط الغربـــي، إلا أنه تركها من دون المساس بها.

عـــندما رفـــع مفـــتاح الـــربط الطـــويل، شـــعر أنه أثقل مما يذكر.

في الـــصمت، في السكون، أحس بخيبة الأمل. شعر أنه مراقب. شعر أنه تتم السخرية منه.

في الجـــوار، ثمـــة عـــناكب في شباكها تحلم بصبر لنهش الفتات المتناثر. لا بد أن ذبابة أو اثنتين تتوجهان نحو الشرك الحريري.

أكثـــر مـــن الذباب، أسوأ من العناكب، لاح شيء ما. استدار ميتش، لكنه بدا وحيداً.

ثمـــة حقـــيقة مهمة مخبأة عنه، غير مخبأة في ظلال، غير مخبأة وراء علـــب أغـــراض المناســـبات، وإنما مخبأة عنه أمام عينيه. إنه يرى لكنه أعمى. يسمع لكنه أصمّ.

أصبح هذا الإدراك الاستثنائي أقوى، وتضخم إلى أن أصبح قامعاً، إلى أن اتخـــذ بعـــداً مادياً بحيث لم يعد باستطاعته التنفس. إلا أن هذا الإحساس اختفى بسرعة.

أنـــــزل مفـــتاح الربط إلى الأسفل، وعلّقه على محمل الأدوات حيث كان.

مـــن عـــربة الـــيد، سحب الهاتف، ومحفظة النقود، والمفاتيح، والمـــسدسين، وقـــراب الكاحل. وضع كل شيء على مقعد الراكب الأمامي في سيارة الهوندا.

أخـــرج الـــسيارة مـــن المرأب، وركنها قرب المنـــزل، ثم دخل المنـــزل بسرعة لإحضار سترة. كان يرتدي قميصاً قطنياً، وبالرغم من

أن الليل الآتي لن يكون بارداً كفاية لتبرز الحاجة إلى سترة، كان بحاجة إلى واحدة.

عـــندما خرج من المنـــزل، توقع العثور على تاغارت في انتظاره قرب الهوندا. إلا أن التحري لم يظهر.

دخـــل السيارة مجدداً، ووضع السترة الرياضية خفيفة الوزن على مقعد الراكب، بحيث أخفى الأغراض التي أخذها من الجثة.

تناغمت ساعة لوحة القيادة مع ساعة معصمه: 5:11.

توجه إلى الشارع وانعطف إلى اليمين، مع رجل ميت في صندوق السيرة ومخاوف مريعة في عقله.

16

على مسافة مبنيين من منـــزله، توقف ميتش قرب الرصيف. ترك المحرك قيد العمل، وأبقى النوافذ مغلقة والأبواب مقفلة.

لا يذكر أنه أقفل الأبواب سابقاً فيما كان في السيارة.

ألقـــى نظرة سريعة على مرآة الرؤية الخلفية، وهو واثق فجأة من أنه لم فتح قفل الصندوق، ورفع غطاء الصندوق، بحيث باتت الجثة على مرأى للعيان. إلا أن الصندوق بقي مقفلاً.

في محفظة نقود الرجل الميت هناك بطاقات اعتماد ورخصة قيادة مـــن كاليفورنيا باسم جون كنوكس. في الصورة على رخصة القيادة، كشف الرجل المسلح الشاب عن ابتسامة جذابة.

كان كنوكس يحمل 585 دولاراً، بينها خمس أوراق من فئة المئة. عدّ ميتش المال من دون إخراجه من المحفظة.

مـــا مـــن شيء في المحفظة كشف عن مهنة الرجل، أو اهتماماته

الشخـــصية، أو ارتباطاته. لا بطاقة تعريف، لا بطاقة مكتبة، لا بطاقة تـــأمين صـــحي. لا صور لأحباب. لا رسائل تذكير أو بطاقة ضمان اجتماعي أو إيصالات.

حـــسب الرخصة، عاش كنوكس في لاغونا بيتش. يمكن معرفة شيء مفيد ربما عند تفتيش مكان سكنه.

احـــتاج ميتش إلى الوقت للتفكير في مخاطر الذهاب إلى منـــزل كـــنوكس. بالإضـــافة إلى ذلـــك، ثمة مكان آخر يجدر به زيارته قبل الاتصال المحدد في الساعة السادسة.

وضـــع محفظـــة النقود والهاتف الخلوي الخاص بالرجل ومجموعة المفاتـــيح في الصندوق الأمامي للسيارة. أقحم المسدس وقراب الكاحل تحت مقعد السائق.

بقي المسدس الآخر على المقعد قربه، تحت سترته الرياضية.

عـــبر حـــركة سير خفيفة في الشوارع السكنية، متجاهلاً حدود السرعة وحتى بعض إشارات التوقف، وصل ميتش إلى منـــزل أهله في شـــرق أورانـــج عـــند الساعة 5:35. ركن السيارة في الممشى وأقفل الهوندا.

يقـــع المنـــــزل الجميل على ثاني تلة من مجموعة تلال، مع تلال أخـــرى فـــوقه. لم يكشف الشارع، ذو الاتجاهين، والمنحني نحو أرض أكثر تسطيحاً، عن أي سيارة مشبوهة لحقت به.

هـــبّت نسمة خفيفة من الشرق. تهامست شجرات الأوكالبتوس الطويلة لبعضها بعضاً ألف مرة بألف لسان أخضر فضي.

نظر إلى النافذة الوحيدة في غرفة الدرس. عندما كان عمره ثمانية أعـــوام، أمضى عشرين يوماً متتالياً هناك، مع ستارة داخلية مغلقة فوق تلك النافذة.

الحـــرمان الحسي يركز التفكير ويصفي العقل. تلك هي النظرية وراء غرفة الدرس المظلمة، الصامتة، الفارغة.

أجاب دانيال، والد ميتش على رنين الجرس. في الواحدة والستين، بقي رجلاً وسيماً على نحو لافت، ولا يزال يحتفظ بكل شعره، بالرغم من أنه أصبح أبيض.

بـــدت أســـنانه صـــغيرة جداً لأن قسمات وجهه كانت بارزة؛ قـــسمات مثالية لو أراد أن يكون ممثلاً. إنها أسنانه الطبيعية، كلها. إنه حريص على نظافة أسنانه. قام بتبييضها باللايزر، فتلألأت، لكنها بدت صغيرة، مثل صفوف من الحبات البيضاء في عرنوس الذرة.

كـــشف عـــن مفاجأة كبيرة لدرجة التمثيل، وقال: "ميتش. لم تخبرني كاترين أبداً أنك اتصلت".

كاترين هي والدة ميتش.

اعتـــرف ميـــتش: "لم أتصل. تمنيت ألا تكون هناك مشكلة إذا مررت".

"في أغلب الأحيان، أكون مشغولاً بواجب أو آخر، وتكون عاثر الحظ. لكنني حرّ الليلة".

"جيد".

"بالرغم من أنني أتوقع تمضية بضع ساعات في المطالعة".

طمأنه ميتش: "لا أستطيع البقاء طويلاً".

أولاد دانـــيال وكاتـــرين رافيرتي، أصبحوا جميعاً راشدين الآن، وفهمـــوا، أنه احتراماً لخصوصية أهلهم، عليهم تحديد مواعيد لزياراتهم وتفادي الزيارات المفاجئة.

تـــراجع والـــده إلى الخلف بعيداً عن الباب وقال: "هيا، ادخل إذاً".

في الـــردهة ذات الأرضية الرخامية البيضاء، نظر ميتش إلى اليسار واليمين إلى مجموعة لامتناهية من ميتش، وهي انعكاسات له في مرآتين كبيرتين متواجهتين ذواتي إطارين فولاذيين.

سأل: "هل كاتي هنا؟".

قال والده: "إنها ليلة خروج السيدات. تذهب هي ودونا واتسون وتلك المرأة من آل روبنسون إلى عرض مسرحي أو ما شابه".

"كنت أود رؤيتها".

قـــال والـــده وهو يغلق الباب: "سيتأخرن. إنهن يتأخرن دوماً. يـــتحدثن مع بعضهن بعضاً طوال السهرة، وعندما يصلن إلى الممشى، يتحدثن أيضاً. هل تعرف السيدة روبنسون؟".

"لا. هذه أول مرة أسمع بها".

قال والده: "إنها مزعجة. لا أفهم لماذا تستمتع كاترين بصحبتها. إنها متخصصة بالرياضيات".

"لم أكن أعرف أن المتخصصين في الرياضيات يزعجونك".

"هذه تزعجني".

والـــدا ميتش يحملان شهادة دكتوراه في علم النفس السلوكي، وهما أستاذان في جامعة كاليفورنيا. كل المنتمين إلى دائرتهما الاجتماعية أو معظمهـــم هـــم مما بدأ يسميه الأكاديميون أخيراً العلوم الإنسانية، لتفادي عبارة *العلوم الناعمة*. بين تلك المجموعة، قد تكون الاختصاصية في الرياضيات مزعجة مثل الحصاة في حذاء.

قال والده: "حضرت للتو كأس شراب اسكتلندي مع صودا. هل تريد شيئاً ما؟".

"لا، شكراً سيدي".

"هل قلت لي سيدي؟".

"أنا آسف دانيال".

"مجرد علاقة بيولوجية...".

أكمل ميتش: "... لا يفترض أن تمنح الوضع الاجتماعي".

أولاد رافـــيرتي الخمسة، في ذكرى ميلادهم الثالثة عشرة، طُلب مـــنهم الـــتوقف عن مناداة والديهم ماما وبابا، وبدء استعمال الأسماء. والـــدة ميتش، كاترين، تفضل أن ينادوها كاتي، لكن والده لا يستبدل دانيال بداني.

حـــين كان شاباً، امتلك الدكتور دانيال رافيرتي آراء قوية بشأن التـــربية الملائمـــة للأولاد. لم تكن لكاترين آراء صارمة في الموضوع، لكنها تأثرت بنظريات دانيال غير التقليدية، وأرادت أن ترى إذا كانت ناجحة.

للحظـــات، وقف ميتش ودانيال في الردهة، وبدا دانيال غير واثق مما يجب فعله، لكنه قال بعدها: "تعالَ لرؤية ما اشتريته للتو".

اجـــتازا غرفة جلوس كبيرة مليئة بطاولات مصنوعة من الزجاج والفـــولاذ الـــصامد، وأرائـــك من الجلد الرمادي، وكراسي سوداء. الأعمـــال الفنـــية كانت بالأسود والأبيض، بعضها مع تفصيل ملون واحد: هنا مستطيل من الأزرق، وهنا مربع من الأزرق المخضر، وهناك شارتان بالأصفر المخضر.

أصـــدر حـــذاء دانيال رافيرتي أصواتاً قوية على أرضية الماهوغاني الخشبية. لحق به ميتش بهدوء مثل الشبح.

في المكـــتب، مـــشيراً إلى غرض على المكتب، قال دانيال: "هذه أجمل قطعة في مجموعتي".

17

تطابــق ديكــور المكــتب مع غرفة الجلوس، مع رفوف مضاءة عرضت مجموعة من الكرات الحجرية المصقولة.

وحــدها على المكتب، موضوعة على منصة برونــزية زخرفية، كشفت الكرة الجديدة عن قطر أكبر من قطر كرة البايسبول. تلألأت أوردة قرمزية ملطخة بالأصفر عبر لون بني نحاسي غني.

بالنــسبة إلى الــشخص غير المطلع، قد تبدو مثل قطعة غرانيت غــريبة، مصقولة بطريقة تبرز جمالها. لكنها في الواقع بيضة ديناصور، حوّلها الوقت والضغط إلى حجر.

قــال والــد ميــتش: "يؤكد التحليل المعدني أنها آتية من حيوان لاحم".

"تيرانوصور؟".

"حجم البيضة كلها يوحي بشيء أصغر من تي ريكس".

"غورغوصور؟".

"لــو تم العــثور علــيها في كــندا، في مرحلة تعود إلى المرحلة الطباشــيرية، لأمكن القول إنها لغورغوصور. لكن تم العثور عليها في كولورادو".

سأل ميتش: "العصر الجوراسي؟".

"نعم. لذا، يحتمل أن تكون بيضة سيراطوصور".

فيما رفع والده كأس الشراب الاسكتلندي والصودا عن المكتب، ذهب ميتش إلى رفوف العرض.

قال: "اتصلت بكوني قبل بضع ليالٍ".

كوني هي أخته الكبرى، في الحادية والثلاثين. تعيش في شيكاغو.

سأل والده: "هل لا تزال تعمل في ذلك المخبز؟".

"نعم، لكنها باتت تملكه الآن".

"هــل أنــت جاد؟ نعم، طبعاً. هذا رائع. إذا وضعت قدمها في مكان ما، لا تتراجع أبداً وإنما تتقدم".

"تقول إنها تمضي وقتاً جيداً".

"هذا ما تقوله دوماً، أياً كانت الحال".

حــصلت كوني على شهادة ماجستير في العلوم السياسية قبل أن تنــتقل إلى عــالم المقاولات. ذهل البعض بحجم هذا التغيير فيها، لكن ميتش فهمه.

ازدادت مجمــوعة كريات بيوض الديناصورات المصقولة منذ أن رآها آخر مرة. "كم تملك الآن منها، دانيال؟".

"أملك ثلاثاً وسبعين بيضة. حصلت على أربع عينات مذهلة".

بعض الكرات قطرها إنشان فقط. لكن الكرات الكبرى ضخمة بقدر كرات البولينغ.

مالــت الألوان نحو البني، والذهبــي، والنحاسي، لسبب جلي. لكــن كــل ظــل، حتى الأزرق، تلألأ تحت أضواء العرض. كشفت بمعظمها عن أنماط مرقطة. الأوردة الفعلية كانت نادرة.

قال ميتش: "تحدثت إلى ميغان في الليلة نفسها".

مــيغان، في التاسعة والعشرين، تملك أعلى معدل ذكاء في عائلة من أصحاب معدل الذكاء العالي. تم اختبار كل واحد من أولاد رافيرتي ثلاث مرات: أسبوع ذكرى الميلاد التاسعة، والثالثة عشرة، والسابعة عشرة.

بعــد سنتها الجامعية الأولى، انسحبت ميغان من الجامعة. عاشت في أتلانتا، وأسست شركة للاهتمام بالكلاب، عبارة عن متجر وخدمة جوالة.

www.rewity.com dodyadodo

قـــال والـــد ميتش: "اتصلت في الفصح وسألت عن عدد البيض الذي قمنا بتلوينه. أعتقد أنها تظن نفسها مضحكة. ارتحنا أنا وكاترين لأنها لم تعلن أنها حامل".

تـــزوجت مـــيغان بكارمين مافوتشي، عامل بناء له يدين بحجم أطـــباق العـــشاء. شـــعر دانيال وكاتي أنها تزوجت بشخص أدنى من مـــستواها، فكرياً. توقعا أن تدرك فداحة خطئها وتطلقه، إذا لم يأتِ الأولاد أولاً لتعقيد الوضع.

اســـتلطف ميـــتش كارمين. يملك الرجل طبيعة طيبة، وضحكة معدية، ووشماً لعصفور تويتي على ساعده الأيمن.

قـــال: "يـــبدو هذا مثل الحجر السماقي"، وهو يشير إلى عينة عـــبارة عن كتلة أرجوانية حمراء ونقاط من شيء ما يشبه سيليكات الألمنيوم.

تحـــدث مؤخراً أيضاً إلى أخته الصغرى، بورشا، لكنه لم يذكرها لأنه لم يشأ الدخول في جدال.

أعـــاد دانيال ملء كأسه بالشراب الاسكتلندي والصودا في زاوية المشرب، وقال: "دعانا أنسون إلى العشاء قبل ليلتين".

أنسون، الأخ الوحيد لميتش، وهو في الثالثة والثلاثين والأكبر بين الإخوة، وهو الأكثر إطاعة لدانيال وكاتي. مقارنة مع ميتش وأخواته، لطالما كان أنسون المفضل عند والديه، ولم يتم صدّه أبداً. من الأسهل أن تكـــون ولداً مطيعاً عندما لا يتم تحليل حماسك على أنه دليل على مشكلة نفسية، وعندما لا تتم مقابلة دعواتك بالشك أو قلة الصبر.

اكتسب أنسون عن جدارة مكانته عبر تلبية توقعات والديه. فقد أثـــبت، مـــثلما لم يفعل أحد آخر، أن نظريات دانيال في تربية الأولاد يمكن أن تثمر.

كـــان الأول في صفه في الثانوية، ونجم كرة القدم، ورفض المنح المدرسية من كرة القدم. إلا أنه قبل المنح التي أعطيت له احتراماً لتميزه العقلي.

العالم الأكاديمي أشبه بحظيرة دجاج وأنسون هو الثعلب. لم يمتص فقط التعليم وإنما التهمه بشهية حيوان لاحم الذي لا يشبع. حصل على شـــهادة الـــبكالوريوس خلال عامين، وعلى شهادة الماجستير في عام واحد، ونال شهادة دكتوراه في الثالثة والعشرين.

لم يلقَ أنسون الاستياء من إخوته، ولم يكن أبداً غريباً عنهم. على العكـــس، إذا قام ميتش وأخواته بتصويت سرّي للشخص المفضل في عائلتهم، لاختاروا هم الأربعة أخاهم الأكبر.

استطاع أنسون عبر قلبه الطيب ولياقته الطبيعية، إرضاء أهله من دون أن يـــصبح مثلهما. لا يبدو هذا الإنجاز أقل أهمية مما لو قام علماء القرن التاسع عشر، بواسطة القوة البخارية والخلايا الفلطائية البدائية ولا شيء آخر، إرسال رواد الفضاء إلى القمر.

قـــال دانـــيال: "وقـــع أنـــسون للتو عقد استشارة مهماً مع الصين".

تم حفـــر أسمـــاء البرونتوصـــوروس، والديـــبلودوكوس، والبراكيوســـوروس، والإيغوانودون، والموسكوب، والستيغوسوروس، والتريـــسيراتوبس، وأشـــياء أخـــرى على المنصات البرونـــزية الحاملة للكريات.

قال دانيال: "سيعمل مع وزير التجارة".

لا يعـــرف ميـــتش ما إذا كان يمكن تحليل البيضة المتحجرة بدقة كبيرة للتعرف إلى نوع الديناصور أو جنسه. توصل والده ربما إلى هذه الأسماء عبر تطبيق نظريات لا يدعمها أي علم.

في بعـــض مجالات الاستقصاء الفكري حيث لا يمكن الدفاع عن الأجوبة المطلقة، اعتنقها دانيال على كل حال.

قال دانيال: "ومباشرة مع وزير الاقتصاد".

لطالما استخدم نجاح أنسون لحث ميتش على التفكير في مهنة أكثر طمـــوحاً من عمله الحالي، لكن تلك الوخزات لم تؤثر أبداً في نفسيته. كان معجباً بأنسون، لكنه لم يحسده.

فيما تباهى دانيال بإنجاز آخر من إنجازات أنسون، تحقق ميتش من ســـاعة يده، وهو واثق من أن عليه المغادرة قريباً لتلقي اتصال الخاطف وأن يكون وحيداً. إلا أن الساعة لا تزال فقط 5:42.

شـــعر كما لو أنه مضى على وجوده في المنـــزل عشرون دقيقة، لكن الحقيقة هي سبع دقائق فقط.

سأل دانيال: "هل لديك ارتباط؟".

كـــشف ميتش نبرة تفاؤل في صوت والده، لكنه لم يمتعض منها. أدرك قبل زمن طويل أن العاطفة المرة والقوية بقدر الاستياء غير ملائمة في هذه العلاقة.

ألّـــف دانـــيال ثلاثة عشر كتاباً مهماً، وظن أنه عملاق في علم النفس، رجل صاحب مبادئ حديدية وقناعات صارمة بحيث كان أشبه بالصخرة في نهر التيار الفكري الأميركي المعاصر، تحيط به عقول معتمة بالظلمة.

عـــرف ميـــتش مـــن دون أي شك أن هذا الرجل العجوز ليس صخرة. دانيال هو ظل طاف على ذلك النهر، يركب على السطح، من دون أن يحرك أو يهدئ التيارات.

لـــو شـــعر ميتش بالاستياء تجاه مثل هذا الرجل سريع الزوال، لكان أصبح أكثر جنوناً من الكابتن أهاب في المطاردة الدائمة للحوت الأبيض.

خلال الطفولة، علّم أنسون ميتش وأخواته محاربة الغضب، والتحلي بالـــصبر، وتعلم قيمة المرح كدفاع عن لاإنسانية والدهم اللاواعية. والآن، لا يوحي دانيال في ميتش أي شيء سوى اللامبالاة وقلة الصبر.

يـــوم غـــادر ميتش المنـــزل ليتشارك شقة مع جايسون أوستين، أخبره أنسون أنه بوضع الغضب خلفه، سيتوصل في النهاية إلى الشفقة علـــى الرجل العجوز. لم يصدق ذلك، ولغاية الآن لم يشعر بأكثر من الصبر الحقود.

قال: "نعم، لديّ ارتباط. يجدر بـــي الذهاب".

نظر إلى ابنه بالاهتمام الذي كان يرعب ميتش قبل عشرين عاماً، وقال دانيال: "ما كان سبب الزيارة؟".

مهمـــا كانت نية خاطفي هولي من ميتش، قد لا تكون فرص نجاته منها كبيرة. خطرت في باله فكرة أنها قد تكون آخر مرة يرى فيها والده.

قـــال ميتش، وهو عاجز عن كشف الحقيقة: "جئت لرؤية كاتي. قد أعود غداً".

"جئت لرؤيتها بسبب ماذا؟".

يمكـــن أن يحب الولد أماً لا تملك قدرة على حبه في المقابل، لكنه يدرك مع الوقت أنه لا يصب عاطفته فقط على أرض غير خصبة، وإنما علـــى صخرة، حيث لا يمكن أن ينمو أي شيء. قد يمضي الولد حياته بعدها وهو محاصر بالغضب أو الشفقة على الذات.

إذا لم تكـــن الأم وحـــشاً، إذا كانت في المقابل منفصلة عاطفياً ومهتمة في نفسها فقط، وإذا لم تكن معذبة نشطة وإنما مراقبة سلبية في المنـــــزل، يملـــك ولدها خياراً ثالثاً. يستطيع اختيار منحها الرحمة من دون عفـــو، والعـــثور على عاطفة لها لأن تطورها العاطفي المشوه يمنع عليها الاستمتاع الكامل بالحياة.

بالرغم من كل إنجازاتها الأكاديمية، لم تتعرف كاتي إلى احتياجات الأولاد وروابط الأمومة. اعتقدت في مبدأ السبب والنتيجة في التفاعل البشري، لكن المكافآت كانت دوماً مادية.

اعـــتقدت في كمال البشرية. شعرت أنه يجب تربية الأولاد وفق نظام يجب عدم الحياد عنه ومعه يمكن ضمان تحضّرهم.

لم تتخصص في ذلك المجال من علم النفس. نتيجة ذلك، لم تكن لتـــصبح أماً لو لم تلتقِ برجل يملك نظريات صارمة بشأن تربية الأولاد وكيفية تطبيقها.

وبمـــا أن ميتش ما كان ليأتي للحياة لولا أمه، وبما أن تجاهلها لم يكن ينطوي على الخبث، أوحت له بعاطفة ليست حباً ولا حناناً. إنها بدلاً من ذلك نظرة حزينة على عدم قدرتها على الإحساس. وقد تحول هذا الإحساس مع الوقت إلى الشفقة التي يكنّها لوالده.

قال ميتش: "لا شيء مهم. سأحتفظ به لنفسي".

قـــال دانيال، وهو يتبع ميتش في غرفة الجلوس: "أستطيع إبلاغها الرسالة".

"لا رسالة. كنت في الجوار، فمررت لأقول مرحباً".

بما أن هذا الخرق للبروتوكول العائلي لم يحصل أبداً من قبل، بقي دانيال غير مقتنع. "ثمة شيء في بالك".

أراد ميـــتش القـــول يمكن *لأسبوع من الحرمان الحسي في غرفة التعلم أن يخرجه مني.*

إلا أنه ابتسم بدلاً من ذلك وقال: "أنا بخير. كل شيء بخير".

بالـــرغم من أنه لا يعرف الكثير عن القلب البشري، يملك دانيال إحـــساساً قـــوياً تجاه المخاطر ذات الطبيعة المالية. "إذا كانت مشاكل مادية، تعرف موقفنا من هذا".

طمأنه ميتش: "لم آتِ للحصول على قرض".

"في كل نوع من أنواع الحيوان، يتمثل الواجب الأساسي للأهل بتعلـــيم الاكتفاء الذاتي لأولادهم. يجدر بالفريسة تعلم الهروب، ويجدر بالمفترس تعلم الانقضاض".

فتح ميتش الباب وقال: "أنا مفترس مكتفٍ ذاتياً، دانيال".

"جيد. أنا مسرور لسماع ذلك".

أعطـــى ميتش ابتسامة بدت فيه أسنانه الصغيرة البيضاء بشكل غـــير طبيعـــي وكأنها أصبحت حادة أكثر منذ أن كشف عنها آخر مرة.

إلا أن ميـــتش لم يستطع رسم ابتسامة هذه المرة، حتى لو لتبديد شكوك والده.

قـــال دانيال: "التطفل ليس طبيعياً عند البشر أو عند أي نوع من أنواع الثدييات".

لا يمكن أن يسمع بيفر كليفر هذه العبارة من والده.

خرج ميتش من المنـــزل وقال: "أبلغ كاتي تحياتي".

"ســـتتأخر. إنهن يتأخرن دوماً عندما تنضم السيدة روبنسون إلى المجموعة".

قال ميتش: "اختصاصيات الرياضيات".

"خصوصاً هذه المرأة".

أغلق ميتش الباب خلفه. بعد خطوات قليلة من المنـــزل، توقف، واستدار، وتأمل المكان ربما للمرة الأخيرة.

لم يعش هنا فقط وإنما أيضاً تلقى دروسه هنا من الصف الأول إلى الصف الثاني عشر. أمضى معظم ساعات حياته في هذا المنـــزل وليس معارجه.

كما هي الحال دوماً، انتقل نظره إلى تلك النافذة في الطابق الثاني. غرفة التعلم.

بعد خلو المنـــزل من الأولاد، لأي غرض تستخدم هذه الغرفة؟

بما أن الممشى الأمامي ملتوٍ عن المنـــزل بدل أن يؤدي مباشرة إلى الـــشارع، عـــندما أخفض ميتش نظره من الطابق الثاني، رأى الضوء الجانبـــي وليس الباب. عبر تلك النوافذ الفرنسية، رأى والده.

وقـــف دانيال أمام إحدى المرايا الكبيرة المؤطرة بالفولاذ في غرفة الجلوس، وكان يتأمل مظهره على ما يبدو. مشط شعره الأبيض بيده. مسح زاويتيّ أنفه.

لم يـــستطع ميـــتش النظـــر بعيداً، بالرغم من شعوره كأنه طوم المختلس للنظر.

عـــندما كـــان ولداً، اعتقد بشدة أن هناك أسراراً في أهله تحرره مـــنهما إذا اســـتطاع معرفتها. إلا أن دانيال وكاتي كانا ثنائياً حذراً، وكتومين جداً.

أصـــبح الآن في الـــردهة، فقرص دانيال وجنته اليسرى بين الإبهام والسبابة، ومن ثم وجنته اليمنى، كما لو أنه أراد إضافة بعض اللون إليهما.

شك ميتش في أن أكثر من نصف زيارته اختفى من عقل والده، بعد أن انتفى الآن خطر طلب القرض.

في الـــردهة، استدار دانيال للوقوف جانبياً أمام المرآة، كما لو أنه يفخر بعمق صدره ونحافة خصره.

كـــم يسهل التخيل أنه بين المرايا المتواجهة، لا يكشف والده عن عـــدد لامتناهٍ من الانعكاسات، مثلما فعل ميتش، وأن مظهره الخارجي الوحـــيد يملكُ القليل من المادة، بحيث يبدو شفافاً بقدر صورة الشبح، لأي عين غير عينه.

18

عـــند الساعة 5:50، بعد خمس عشرة دقيقة فقط من وصوله إلى منـــزل دانيال وكاتي، انطلق ميتش بعيداً. انعطف واجتاز مسافة مبنى ونصف المبنى.

ربما لا تزال هناك ساعتان من ضوء النهار. يستطيع بسهولة رؤية إذا كان أحد يتعقبه.

أوقف سيارة الهوندا في مرأب السيارات الفارغ أمام دار العبادة.

ثمة واجهة بشعة من القرميد، ونوافذ زجاجية متعددة الألوان من دون ضوء داخلي خلفها، ارتفعت شاهقة في السماء وألقت بظل كبير على الإسفلت الأسود.

كان خوف والده من دون أساس. لم يشأ ميتش طلب المال.

وضع والداه المادي جيد. يستطيعان من دون شك الإسهام في مئة ألـــف دولار معه من دون أن يتأثرا. حتى لو أعطياه ضعف هذا المبلغ، ونظـــراً لمـــوارده الشحيحة، يصبح بين يديه أقل من عشرة في المئة من الفدية.

بالإضـــافة إلى ذلـــك، مـــا كان ليطلب منهما لأنه عرف أنهما سيرفضان، استناداً إلى نظرياتهما في تربية الأولاد.

كما شك في أن الخاطفين يسعون في شيء أكثر من المال. لا يعرف مـــاذا يريدون إضافة إلى المال النقدي، لكن خطف زوجة بستاني يجني مالاً محدوداً هو أمر غير منطقي إلا إذا أرادوا شيئاً آخر يستطيع توفيره.

كـــان واثقـــاً تمامـــاً من أنهم ينوون إجراء عملية سلب كبيرة، باســـتعماله كما لو أنه الرجل الآلي الذي يتم التحكم فيه عن بعد. لا يستطيع إلغاء هذا السيناريو، لكنه لم يعد يقنعه.

سحب المسدس الكاتم للصوت وقراب الكاحل من تحت مقعد السائق.

تأمل السلاح بحذر. حسبما لاحظ، لا يوجد صمام أمان.

عندما فتح الأسطوانة، اكتشف أنها تحتوي على خمس دوائر. تفاجأ لأنه توقع ستاً.

كل ما يعرفه عن الأسلحة هو ما تعلمه من الكتب والأفلام السينمائية.

بالرغم من حديث دانيال بشأن تعليم الأولاد ليكونوا مكتفين ذاتياً، لم يحضر ميتش لأمثال جون كنوكس.

يجدر بالفريسة تعلم الهروب، ويجدر بالمفترس تعلم الانقضاض.

لقد ربّاه والداه ليكون فريسة. لكن مع وجود هولي بين أيدي مجرمين، لا يملك ميتش مكاناً للهروب إليه. يفضل الموت بدل الاختفاء وتركها تحت رحمتهم.

أتاح له الفيلكرو في القراب تثبيته في نقطة عالية كفاية فوق كاحله لتفادي كشفه إذا ارتفع السروال حين يجلس. لا يحب السراويل الضيقة، واستطاع هذا السروال الاتساع للمسدس.

ارتدى السترة الرياضية. قبل أن يخرج من السيارة، سيضع المسدس الآخر تحت حزامه، في الجهة الخلفية لظهره، حيث تخفيه السترة.

تأمل ذلك السلاح. لم يعثر هذه المرة أيضاً على صمام أمان.

ببعض التعثر، فتح السلاح. احتوى على ثماني خراطيش. عندما أزاح المنزلق إلى الخلف، رأى خرطوشة تاسعة في الثغرة (بيت النار).

بعد إعادة إغلاق السلاح والتأكد من تثبيته بإحكام، وضع المسدس على المقعد قربه.

رنّ هاتفه الخلوي. إنها الساعة 5:59.

قال الخاطف: "هل استمتعت بزيارتك لماما وبابا؟".

لم يتبعه أحد إلى منزل أهله ولا حتى بعد ذلك، بالرغم من ذلك عرفوا أين كان.

قال: "لم أخبرهما أي شيء".

"ماذا أردت: الحليب والبسكويت؟".

"إذا ظننتم أنني أستطيع الحصول على المال منهما، فإنكم مخطئون. ليسا غنيين إلى هذه الدرجة".

"نعرف ميتش. نعرف".

"دعني أتحدث إلى هولي".

"هذه المرة لا".

أصرّ: "دعني أتحدث إليها".

"استرخِ. إنها بخير. سأجعلك تتحدث معها في الاتصال التالي. هل هذه هي دار العبادة التي كنت تذهب إليها أنت وأهلك؟".

سيارته هي السيارة الوحيدة في مرأب السيارات، وما من سيارة أخرى تمر في الوقت الحاضر. في الجهة الأخرى من الشارع مقابل دار العبادة، السيارات الوحيدة هي تلك الموجودة أمام المنازل، ولا توجد أي سيارة قرب الرصيف.

سأل الخاطف مجدداً: "هل كنت تأتي إلى دار العبادة هذه؟".

"لا".

بالرغم من أنه داخل سيارة مغلقة الأبواب، شعر أنه مكشوف مثل فأرة في حقل مفتوح يحلق فوقها فجأة نسر كبير.

"هل كنت تخدم في دار العبادة، ميتش؟".

"لا".

www.rewity.com dodyadodo

"هل يمكن أن يكون هذا صحيحاً؟".

"يبدو أنك تعرف كل شيء. تعرف أنه صحيح".

"بالنسبة إلى رجل لم يخدم أبداً في دار عبادة، ميتش، أنت تشبه كثيراً الولد الذي يخدم في دار العبادة".

عندما لم يستجب في البداية، معتبراً العبارة استنتاجاً خلقياً، وعندما انتظر الخاطف بصمت، قال ميتش أخيراً: "لا أعرف ماذا يعني هذا".

"حسناً، لا أقصد أنك كاذب، هذا أكيد. ولا أقصد أنك صادق تماماً. مع التحري تاغارت، أثبت أنك كاذب بارع".

في حديثهما السابقين، كان الرجل على الهاتف محترفاً، بطريقة باردة جداً. تبدو هذه السخرية غير متناسقة مع أدائه السابق.

إلا أنه أسمى نفسه المراوغ. قال بفظاظة إن ميتش هو أداة للتلاعب بها.

هذه السخريات المهينة لها هدف، بالرغم من أنها ضللت ميتش. أراد الخاطف دخول رأسه وإحداث الفوضى فيه، لسبب دقيق، للحصول على نتيجة معينة.

"من دون إهانة، ميتش، لأن الوصف لطيف، أنت ساذج مثل الصبي الذي يخدم في دار العبادة".

"إذا شئت".

"نعم. فعلاً".

قد تكون هذه محاولة لجعله يغضب، يغضب من قمع التفكير الواضح، أو ربما الهدف هو بعث الشك فيه بشأن كفاءته بحيث يبقى خائفاً ومطيعاً.

لقد اعترف لنفسه بعجزه المطلق في هذه المسألة. لا يمكنهم شحذ إذلاله أكثر من الآن.

"عيناك مفتوحتان، ميتش، لكنك لا ترى".

أزعجته هذه العبارة أكثر من أي شيء آخر قاله الخاطف. قبل أقل من ساعة، في قبو مرأبه، خطرت له هذه الفكرة نفسها، بكلمات مماثلة.

بعد أن وضع جون كنوكس في صندوق السيارة، عاد إلى العلية لمعرفة كيف حصل الحادث. عند رؤية عنق مفتاح الربط عالقاً في أنشوطة العقدة، فهم اللغز.

لكنه شعر حينها بخيبة الأمل وأنه تحت المراقبة وموضع سخرية. طغى عليه الإحساس أن حقيقة أكبر تنتظره في تلك العلية، وهي مختبئة عن مرأى عينيه.

أرعبته الفكرة أنه يرى لكنه أعمى، أنه يسمع لكنه أصم.

وما قاله الرجل الساخر الآن عبر الهاتف: "*عيناك مفتوحتان، ميتش، لكنك لا ترى*".

خارق للطبيعة لا تبدو عبارة قوية جداً. شعر أن الخاطفين لا يستطيعون فقط مراقبته والإصغاء إليه أينما كان، في أي وقت، وإنما يستطيعون أيضاً التغلغل في أفكاره.

تمدد للإمساك بالمسدس على المقعد قربه. لا يبدو أن هناك خطراً فورياً، لكنه شعر بأمان أكبر عند الإمساك بالسلاح.

"هل أنت معي، ميتش؟".

"أنا أصغي إليك".

"سأتصل بك مجدداً في السابعة والنصف...".

"المزيد من الانتظار؟ *لماذا؟*" نفد منه الصبر، ولم يعد بوسعه الانتظار، بالرغم من معرفته أن الخطر ينتقل إلى مرحلة التهور. "فلنمضِ قدماً الآن".

"هون عليك ميتش. كنت على وشك إبلاغك بما يجب فعله تالياً حين قاطعتني".

"اللعنة إذاً. أخبرني".

"يعـــرف الـــصبـــي الـــذي يخدم في دار العبادة الطقوس جيداً. والصبـــي الذي يخدم في دار العبادة يطيع، لكنه لا يقاطع. إذا قاطعت مجدداً، سأجعلك تنتظر حتى الثامنة والنصف".

نفد صبر ميتش نهائياً. أخذ نفساً عميقاً، وزفره ببطء، وقال: "أفهم".

"جـــيد. إذاً عـــندما أقفل الخط، تتوجه إلى نيوبورت بيتش، إلى منـــزل أخيك".

قال متفاجئاً: "إلى منـــزل أنسون؟".

"ستنتظر معه اتصال السابعة والنصف".

"ولماذا يجب أن يتورط أخي في هذا؟".

قال الخاطف: "لا يمكنك أن تفعل وحدك ما يجب فعله".

"لكن ما الذي يجب فعله. لم تخبرني".

"ستعرف. قريباً".

"إذا بـــرزت الحاجـــة إلى رجلين، لا حاجة إلى أن يكون الرجل الآخر هو. لا أريد أن يتورط أنسون في هذا".

"فكر في الأمر ميتش. من أفضل من أخيك؟ إنه يحبك، صح؟ لا يريد أن يتم تقطيع زوجتك إلى أجزاء مثل الخروف في المسلخ".

خـــلال طفولتهما المحاصرة، كان أنسون حبل الأمان الذي أبقى ميـــتش معلقاً بالأمل. كان أنسون دوماً هو من يرفع بيرق الأمل عندما ينتفي أمام ميتش أي أمل.

إنه يدين لأخيه براحة البال والسعادة اللتين وجدهما أخيراً عندما تحرر من والديه، خفة الروح هي التي سمحت له الفوز بهولي كزوجة.

قال ميتش: "لقد حاصرتني. إذا حصل خطب ما تريدني أن أفعله، تكون أعددت كل شيء ليبدو كأنني قتلت زوجتي".

"الخناق أضيق مما تتصور ميتش".

ربمـــا أنهم يتساءلون بشأن جون كنوكس، لكنهم لا يعرفون أنه مـــيت في صندوق الهوندا. متآمر ميت هو *نوع* من الدليل على الرواية التي يستطيع ميتش إخبارها للسلطات.

أو حقـــاً؟ لم يفكـــر في كل السبل التي قد تفسر خلالها الشرطة موت كنوكس، بحيث تكون بمعظمها مدينة أكثر مما هي مبرئة.

قال ميتش: "رأيي أنكم ستفعلون الشيء نفسه بأنسون. ستقيدونه بسلاسل من الأدلة الظرفية لإبقائه متعاوناً. هكذا تعملون".

"لـــن يهم أي من هذا إذا فعلتما أنتما الاثنان ما نريده، ويمكنك استعادتها".

احـــتج ميتش: "لكن هذا ليس عدلاً"، ثم أدرك أنه يبدو بالفعل ساذجاً وبسيطاً مثل الصبـــي الذي يخدم في دار العبادة.

ضحك الخاطف. "وفي المقابل، هل تشعر أننا تعاملنا معك بعدل؟ هل هذا هو رأيك؟".

أصبحت يده المطبقة حول المسدس باردة ورطبة.

"هل كنت تفضل أن نعفي أخاك ونورطك مع إيغي بارنـــز؟".

قـــال ميـــتش: "نعم"، وشعر فجأة بالإحراج لأنه كان سريعاً في التضحية بصديق بريء لإنقاذ شخص محبوب.

"وهل يكون هذا منصفاً للسيد بارنـــز؟".

اعـــتقد والد ميتش أن العار لا يملك فائدة اجتماعية، وأنه توقيع العقل المشكك، وأن الشخص المنطقي، الذي يعيش حياة عقلانية، يجب أن يكون حراً منه. اعتقد أيضاً بأنه يمكن قهر قدرة العار عبر التعليم.

في حالـــة ميتش، أخفق الرجل العجوز كثيراً، على الأقل في هذا الـــسياق. بالرغم من أن السفاح على الهاتف هو الشاهد الوحيد على هـــذه الإرادة في إنقاذ أخ على حساب صديق، شعر ميتش أن وجهه يتورد خجلاً.

قال الخاطف: "سيد بارنـــز ليس السكين الأقوى في الدرج. إذا لم يـــوجد سبب آخر، فلا يمكن استبدال أخيك بصديقك. اذهب الآن إلى منـــزل أنسون وانتظر اتصالنا".

قـــال ميتش وهو مستسلم لهذا التطور ومليء باليأس لأن أخاه قد يكون في خطر: "ماذا أقول له؟".

"لا شـــيء علـــى الإطلاق. *أطلب* منك ألا تخبره أي شيء على الإطلاق. أنا المراوغ الخبير، وليس أنت. عندما أتصل، سأجعله يسمع صراخ هولي، ومن ثم أشرح الوقائع".

قال: "ليس ضرورياً أن تجعلها تصرخ. وعدتني بعدم إيذائها".

"وعـــدتك بعـــدم اغتصابها، ميتش. ما من شيء تقوله لأخيك ســـيكون مقـــنعاً بقـــدر صـــراخها. أعرف أكثر منك كيفية فعل ذلك".

قبـــضته الـــباردة والمتعرقة على المسدس كانت غير ثابتة. عندما بدأت يده ترتجف، وضع السلاح مجدداً على المقعد قربه.

"ماذا لو لم يكن أنسون في المنـــزل؟".

"إنـــه في المنـــــزل. تحرك، ميتش. إنها ساعة الزحمة. لا تريد أن تتأخر في الوصول إلى نيوبورت بيتش".

أنهى الخاطف الاتصال.

عـــندما ضـــغط ميـــتش على زر الإقفال في هاتفه الخلوي، بدا التصرف توقعياً جداً.

أغمـــض عينيه للحظات، محاولاً ضبط أعصابه التالفة، لكنه عاد وفتحهما لأنه شعر بالضعف عندما أغمضهما.

حـــين شغل المحرك، طار سرب من الغربان عن الرصيف، من ظل برج دار العبادة إلى برج دار العبادة الآخر.

19

تـــشتهر مـــنطقة نيوبورت بيتش بمرفأ يخوتها، ومنازلها الفخمة، ومساحاتها الرائعة من المتاجر الفخمة، لكنها ليست حكراً على الأغنياء جداً. عاش أنسون في منطقة كورونا ديل مار، في النصف الأمامي من مجمع مؤلف من وحدتين.

تظلله شجرة مغنوليا ضخمة، وأمامه ممشى من الآجر القديم، مع هندســـة نيو إنغلند بالطريقة الرومنسية، لم يكن المنـــزل مذهلاً، لكنه جميل.

جرس الباب يعزف بضعة ألحان من مقطوعة بيتهوفين ***تحية للفرح***.

وصل أنسون قبل أن يضغط ميتش على الجرس مرة أخرى.

بالـــرغم مـــن أنه رياضي مثل البطل، امتلك أنسون بنية جسدية مختلفة عن ميتش: ضخم، مكتنـــز الصدر وممتلئ العنق. تشهد سرعته ورشـــاقته علـــى أنه كان نجم كرة القدم أيام الثانوية، لأنه يبدو أشبه بلاعب خط الوسط.

وجهـــه الوســـيم والعـــريض والمفتوح بدا أنه يستبق دوماً سبباً للابتسامة. عند رؤية ميتش، ابتسم ابتسامة عريضة.

قـــال أنسون متعجباً باللغة الإيطالية، وهو يعانق أخاه ويجرّه إلى المنـــزل: "أخي! ادخل! ادخل!".

فاحت رائحة الثوم والبصل واللحم المقدد في الهواء.

سأل ميتش: "هل تطهو الطعام الإيطالي؟".

"بـــرافو، يا أخي العزيز! من مجرد الرائحة ولغتي الإيطالية السيئة، استنتجت استنتاجاً صحيحاً. دعني أعلق لك سترتك".

لم يـــشأ ميـــتش تـــرك المسدس في السيارة. أقحم السلاح تحت حزامه، في الجهة الخلفية لظهره.

قال: "لا. أنا بخير. سأحتفظ بها".

"تعـــالَ إلى المطبخ. كنت مذعوراً من فكرة تناولي عشاء جديداً وحدي".

قال ميتش: "لديك مناعة تجاه الذعر".

"لا يوجد شيء اسمه مضادات للذعر أخي العزيز".

كـــشف المنـــزل عن ديكور ذكوري وإنما أنيق، مع التشديد على الأغـــراض الزخـــرفية البحـــرية. لوحات لسفن شراعية صوّرت أساطيل فخورة وسط العواصف وأساطيل أخرى تشق طريقها تحت سماء مشرقة.

منذ الطفولة، اعتقد أنسون أن الحرية المثالية لا يمكن العثور عليها على الأرض، وإنما فقط في البحر، تحت الشراع.

كـــان مـــولعاً جـــداً بقصص القراصنة، قصص المعارك البحرية، وقـــصص المغامرة. قرأ العديد منها بصوت عالٍ أمام ميتش الذي جلس متسمراً لساعات.

عانى دانيال وكاتي من دوار البحر خلال ركوب مركب تجذيف في بحـــيرة. عداؤهما للبحر كان أول شيء أوحى لأنسون بالاهتمام في الحياة البحرية.

في المطـــبخ الحميم، الذي فاحت منه رائحة عطرة، أشار إلى قدر تغلي على النار. "حساء مسايا".

"أي نوع من الحساء هو حساء مسايا؟".

"حـــساء مدبرة المنـــزل الكلاسيكي. وبما أنني أفتقد إلى زوجة، عليّ اللجوء إلى جانبـــي الأنثوي كلما أردت إعداده".

يجـــد ميتش صعوبة أحياناً في التصديق أن ثنائياً كئيباً مثل والداه نجبا ابناً مرحاً مثل أنسون.

أشـــارت ســـاعة المطبخ إلى 7:24. أخّرته زحمة سير ناجمة عن حادث.

على الطاولة، هناك قنينة شراب وكأس نصف ممتلئة. فتح أنسون خزانة، وأخرج كأساً أخرى منها.

كـــاد ميـــتش أن يرفض الشراب. لكن كأساً واحدة لن تؤثر في ذكائه وقد تعيد بعض المرونة إلى أعصابه المهترئة.

فيما سكب أنسون الشراب، حاول تقليد صوت والدهما: "نعم، أنـــا مـــسرور لرؤيتك ميتش، بالرغم من أنني لم أرَ اسمك على جدول مواعـــيد الـــزيارات، وقـــررت تمضية هذه الأمسية وأنا أعذب فئران الاختبار في شبكة كهربائية".

أخذ ميتش الشراب وقال: "جئت للتو من هناك".

"يـــبرر ذلـــك تصرفك المكبوت وبشرتك الشاحبة. نخب الحياة الجميلة". رفع أنسون كأسه لشرب النخب.

قال ميتش: "نخب صفقتك الجديدة مع الصين".

"هل تم استخدامي مجدداً بمثابة إبرة؟".

"دومـــاً. لكـــنه لا يستطيع الغرز كفاية لوخزي. تبدو أنها فرصة كبيرة".

"مـــع الـــصين؟ لا بـــد أنه ضخّم ما أخبرته به. لن يحلوا الحزب الشيوعي ولن يعطوني عرش الإمبراطور".

العمل الاستشاري لأنسون كان سرياً جداً بحيث لم يتمكن ميتش أبداً من فهمه. لقد حصل على شهادة دكتوراه في علم اللغة، لكنه يملك أيضاً معرفة عميقة في لغات الكمبيوتر، وفي النظرية الرقمية أياً كانت.

قال ميتش: "كلما غادرتهما، أشعر بالحاجة إلى الحفر في التراب، العمل بيديّ، فعل شيء ما".

"يجعلانك ترغب في الهروب إلى شيء حقيقي".

"بالضبط. هذا الشراب جيد".

"بعد الحساء، سنتناول طبق اللحم والعسل والكستناء"، قالها باللغة الإيطالية.

"لا أستطيع هضم ما لا أستطيع لفظه".

قال أنسون: "لحم هبر مشوي مع الكستناء".

"يبدو جيداً. لكنني لا أريد العشاء".

"هناك الكثير. الوصفة تكفي لستة أشخاص. لا أعرف كيفية اختصارها، ولذلك أحضّرها دوماً لستة أشخاص".

ألقى ميتش نظرة سريعة على النوافذ. جيد. الستائر مغلقة.

من على الرف قرب هاتف المطبخ، أخذ قلماً ودفتراً صغيراً. "هل أبحرت في الآونة الأخيرة؟".

حلم أنسون يوماً ما باقتناء يخت خاص به. يجب أن يكون كبيراً كفاية كي لا يبدو صغيراً على الشاطئ، أو ربما حتى للسفر إلى هاواي، وإنما ليكون صغيراً كفاية للسيطرة عليه مع شريك آخر ومجموعة من المحركات.

استخدم كلمة *شريك* للإشارة إلى رفيقه في الإبحار، وإنما أيضاً رفيقته في السرير. بصرف النظر عن مظهره الفظ وإحساس الدعابة

الفظ أحياناً، كان أنسون رومنسياً ليس تجاه البحر، وإنما أيضاً تجاه الجنس الآخر.

فالجاذبية التي تدفع النساء إليه لا يمكن القول عنها إنها مغنطيسية صرف. إنه يجذبهن مثلما تشد جاذبية القمر حركة المدّ.

إلا أنه ليس دونجواناً. بلباقة كبيرة، يصد معظم اللواتي يطاردنه. وكل واحدة أمل في أن تكون امرأته المثالية حطمت قلبه على الدوام، بالرغم من أنه لا يضع المسألة في هذا السياق الدرامي.

المركب الصغير - مركب شراعي أميركي طوله ثماني عشرة قدماً - الذي يملكه حالياً يرسو في المرفأ لكنه ليس شبيهاً أبداً باليخت. لكن نظراً لحظه في الحب، قد يملك يوماً ما يخت أحلامه قبل أن يعثر على امرأة يبحر معها.

إجابة عن سؤال ميتش، قال: "لم يتسنَّ لي الوقت لفعل شيء أكثر من التجول في المرفأ مثل البطة".

جلس ميتش أمام طاولة المطبخ، وكتب بأحرف كبيرة على الدفتر، وقال: "كان يجدر بي امتلاك هواية. أنت تملك هواية الإبحار، ويملك الرجل العجوز هواية اقتناء بيض الديناصورات".

انتزع الصفحة الأولى من الدفتر ودفعها عبر الطاولة بحيث يستطيع أنسون قراءتها وهو لا يزال واقفاً: ربما منزلك مراقب.

نظرة الذهول عند أخيه كشفت عن نوعية تساؤل مماثلة للتعبير الذي سيطر على ميتش عندما سمع بصوت عالٍ قصص القراصنة وقصص المعارك البحرية البطولية التي بعثت فيه الحماس عندما كان صغيراً. ردّ فعله الأول بدا وكأن مغامرة غريبة قد بدأت، وبدا أنه لم يستوعب الخطر الداهم.

لتغطية صمت أنسون المذهل، قال ميتش: "اشترى للتو عينة جديدة. يقول إنها بيضة سيراطوروس. من كولورادو، من المرحلة الجوراسية".

www.rewity.com dodyadodo

قـــدّم ورقـــة أخرى كتب عليها: إنهم جادون. رأيتهم يقتلون رجلاً.

فـــيما قرأ أنسون العبارة، سحب ميتش هاتفه الخلوي من الجيب الداخلـــي لسترته ووضعه على الطاولة. "نظراً لتاريخنا العائلي، سيكون ملائماً جداً أن نرث مجموعة من الهراء المصقول".

فيما سحب أنسون كرسياً، وجلس أمام الطاولة، تلبد تعبير التوقع الـــصبياني لديـــه بالقلق. ساعد في الادعاء بمتابعة حديث عادي: "كم أصبحنا نملك الآن؟".

"قال لي. لا أذكر. يمكنك القول إن الخمّ أصبح ممتلئاً".

"بعض الكرات جميلة فعلاً".

قـــال ميـــتش: "جميلة جداً"، فيما كتب: سيتصلون عند الساعة 7:30.

مذهولاً، تمتم أنسون *من؟ ماذا؟*

هزّ ميتش رأسه. أشار إلى ساعة الحائط؛ 7:27.

أجـــريا محادثـــة باطنية وواعية إلى أن رنّ الهاتف في تمام الساعة الـــسابعة والنصف. لم يكن هاتف ميتش الخلوي الذي رنّ وإنما هاتف المطبخ.

نظر إليه أنسون طلباً للنصيحة.

في حـــال كان توقيت هذا الاتصال مصادفة فيما الاتصال المتوقع سيأتي على الهاتف الخلوي، أشار ميتش إلى أنه يجدر بأخيه الرد عليه.

أجـــاب أنـــسون على الاتصال بعد الرنة الثالثة وذعر حين سمع صوت المتصل. "هولي!".

أغمض ميتش عينيه، وأحنى رأسه، وغطى وجهه بيديه، ومن ردّ فعل أنسون، عرف عندما صرخت هولي.

20

توقع ميتش أن يتم استدعاؤه للاتصال، لكن الخاطف تحدث فقط إلى أنسون، ولأكثر من ثلاث دقائق.

فحوى القسم الأول من الحديث كان بدهياً، وأمكن استنتاجه من سمـــاع ما قاله أخوه. إلا أن محتوى الدقيقتين الأخيرتين كان صعباً على لفهم، لأن إجابات أنسون باتت وجيرة ونبرة صوته أكثر حزناً.

عـــندما أقفـــل أنـــسون الخط، قال ميتش: "ماذا يريدون منا أن نفعل؟".

بدلاً من الإجابة، جاء أنسون إلى الطاولة ورفع زجاجة الشراب. ملأ كأسه.

تفاجـــأ ميتش لرؤية كأسه فارغة. يذكر أنه ارتشف الكأس مرة واحدة فقط أو مرتين. رفض إعادة ملء كأسه.

ســـكب أنسون الشراب بالرغم من اعتراض ميتش، وقال: "إذا كان قلبك يحترق مثل قلبـــي، ستحرق كأسين من هذا المشروب فيما أنت تبتلعه".

كانت يدا ميتش ترتجفان، ولكن ليس من تأثير الشراب، لا بل إن الشراب ساعد على تثبيتهما ربما.

قال أنسون: "وميكي؟".

ميكي هو اسم التودد الذي أطلقه أنسون على أخيه الصغير خلال مرحلة صعبة من طفولتهما.

عـــندما رفـــع ميتش نظره عن يديه المرتجفتين، قال أنسون: "لن يحصل شيء لها. أعدك ميكي. أقسم لك لن يحصل أي شيء لهولي. لا شيء".

خلال السنوات التقويمية من حياة ميتش، كان أخوه بمثابة المرشد الموثوق، الذي حملهم عبر العواصف، أو بمثابة الرجل الطائر الذي يوفر المساعدة عند الحاجة. إلا أنه بدا الآن مبالغاً بشدة، حين وعد بهبوط آمن، لأن خاطفي هولي هم الذين يتحكمون بهذه الرحلة.

سأل مجدداً: "ماذا يريدون منا أن نفعل؟ هل يمكن أو بالأحرى هل هناك شيء يمكن فعله، أو أن الأمر جنوني مثلما بدا لي لحظة سمعته للمرة الأولى وهو يطلب المليونين؟".

بدل الإجابة، جلس أنسون. انحنى إلى الأمام، مع كتفين محدّبتين، وذراعين غليظتين على الطاولة، واختفت كأس الشراب وراء يديه الكبيرتين. فرض حضوراً قوياً.

لا يزال يبدو فظاً ولكنه لم يعد مغرياً. تنجذب إليه النساء عادة مثلما ينجذب المدّ للقمر، لكن عند رؤيته في هذا المزاج، يبتعدن عنه كثيراً.

تشجع ميتش عند رؤية هذه الوضعية المحددة في فكّ أنسون، الانتفاخ في منخريه، التبدل الملحوظ في عينيه من الأخضر المائي الناعم إلى الزمردي القاسي. يعرف تماماً هذه الطلة. هذا هو موقف أنسون تجاه الظلم، بحيث تولد فيه دوماً مقاومة عنيدة وفعالة.

بالرغم من ارتياحه بالحصول على مساعدة أخيه، شعر ميتش بالذنب أيضاً. "أنا آسف بشأن هذا يا رجل. لم أتوقع أبداً أن يتم جرّك إليه. غفل عن بالي هذا. أنا آسف".

"لا حاجة إلى أن تأسف بشأن أي شيء. اسكت واخرس".

"لو فعلت شيئاً مختلفاً...".

"لو فعلت شيئاً مختلفاً، لكانت هولي ربما ميتة الآن. لذا، فإن ما فعلته لغاية الآن هو الشيء الصحيح".

أومأ ميتش برأسه. احتاج إلى تصديق ما قاله أخوه. إلا أنه شعر بالعجز. سأل مجدداً: "ماذا يريدون منا أن نفعل؟".

"في البداية، ميكي، أريد أن أسمع كل ما حصل. ما أخبرني به الحقير عبر الهاتف ليس سوى جزء صغير. أريد سماع القصة من البداية إلى أن قمت برنّ جرس منزلي".

راقب ميتش الغرفة وتساءل أين تم إخفاء جهاز التنصت.

قال أنسون: "إنهم ربما يستمعون الآن إلينا، أو ربما لا يستمعون. لا يهم، ميكي. إنهم يعرفون أصلاً كل ما ستخبرني به *لأنهم فعلوه بك*".

أومأ ميتش برأسه. قوّى نفسه ببعض الشراب. ثم أخبر أنسون بما حصل معه خلال اليوم المريع.

في حال كانا تحت المراقبة، حذف فقط رواية لقائه مع جون كنوكس في قبو المرأب.

أصغى أنسون جيداً وقاطع مرات قليلة فقط لطرح أسئلة توضيحية. عندما انتهى ميتش، جلس أخوه مع عينين مغمضتين، لاستيعاب ما تم قوله له.

تملك ميغان أعلى معدل ذكاء بين أولاد رافيرتي، لكن لطالما حلّ أنسون في المرتبة الثانية بمعدل قريب جداً منها. لا يزال وضع هولي أليماً الآن مثلما كان قبل نصف ساعة، لكن ميتش ارتاح لانضمام أخيه إلى المعركة.

لقد كان جيداً هو أيضاً مثل أنسون في اختبارات معدل الذكاء. شعر نوعاً ما بالفرح، ليس لأن معدل ذكاء أعلى انكبّ على معالجة المشكلة، وإنما لأنه لم يعد وحيداً.

لم يكن أبداً وحيداً.

نهض أنسون عن كرسيه وقال: "ابقَ مكانك ميكي. سأعود على الفور" ثم غادر المطبخ.

حدّق ميتش إلى الهاتف. تساءل إذا كان بوسعه التعرف إلى جهاز التنصت إذا قام بتفكيك الهاتف.

ألقى نظرة سريعة على الساعة: 7:48. تم منحه ستين ساعة لجمع المال، وبقيت أمامه اثنتان وخمسون ساعة.

لا يبدو هذا صحيحاً. الأحداث التي أحضرته إلى هنا منحته الإحساس كأنه معصور، مسحوق. شعر كأنه اجتاز الستين ساعة كلها.

بما أنه لم يشعر بعد بأي تأثير مما شربه لغاية الآن، أنهى الشراب الباقي في كأسه.

عاد أنسون وهو يرتدي سترة رياضية. "هناك بعض الأماكن التي يجدر بنا الذهاب إليها. سأخبرك كل شيء في السيارة. أفضل أن تقود أنت".

قال ميتش: "أعطني ثانية لأنهي هذا الشراب" بالرغم من أن كأسه كانت فارغة.

على الدفتر الصغير، كتب رسالة أخرى: يستطيعون تعقب سيارتي.

بالرغم من أن أحداً لم يلحق به في طريقه إلى منزل أهله، عرف الخاطفون أنه ذهب إلى هناك. ولاحقاً، عندما ركن السيارة أمام دار العبادة لتلقي اتصال الساعة السادسة، عرفوا موقعه بالتحديد.

هل هذه هي دار العبادة التي كنت تذهب إليها أنت وأهلك؟

إذا وضعوا أجهزة تعقب في شاحنته وفي سيارة الهوندا، يستطيعون اللحاق به من بعد، بعيداً عن نظره، ومراقبة أمكنة وجوده إلكترونياً.

بالرغم من أن ميتش لا يعرف التفاصيل العملية لكيفية عمل مثل هذه التكنولوجيا، عرف أن استخدامها يعني أن خاطفي هولي أكثر تعقيداً مما ظن في البداية. ضخامة مواردهم- أي معرفتهم وخبرتهم الجرمية- توضح أكثر فأكثر أن أي محاولة للمقاومة لن تنجح على الأرجح.

في الجانب الإيجابي، أوحت مهنية الخاطفين أن أي عمل يطلبونه من ميتش وأنسون يكون مدروساً ملياً وناجحاً على الأرجح، سواء أتمثل ذلك بالسرقة أو بجريمة أخرى. وإذا حالفه الحظ، سيتم جمع الفدية.

استجابة إلى التحذير الأخير، أطفأ أنسون النار تحت قدر الحساء، وحمل مفاتيح سيارته رباعية الدفع. "فلنأخذ سيارة الإكسبديشون خاصتي. أنت تقود".

التقط ميتش المفاتيح عندما تم رميها له، ثم جمع بسرعة أوراق الملاحظات التي كتبها، ورماها في سلة المهملات.

غادر مع أخيه عبر باب المطبخ. لم يطفئ أنسون الأنوار، ولم يقفل الباب، مدركاً ربما أنه في هذه العاصفة، لا يستطيع أن يصدّ من يريد الدخول، وإنما فقط من لا يريد الدخول.

ثمة فناء كبير يفصل بين المبنيين الأمامي والخلفي، محاط بالنباتات والشجيرات. المبنى الخلفي الأصغر حجماً كان فوق طابق من المرائب.

احتوى مرأب أنسون المؤلف من طابقين على سيارة الإكسبديشون وعلى سيارة بويك سوبر وودي واغون موديل 1947، أعاد ترميمها بنفسه.

جلس ميتش وراء عجلة القيادة. "ماذا لو وضعوا أجهزة التعقب في سيارتك أيضاً؟".

فيما أغلق باب المقعد قرب السائق، قال أنسون: "لا يهم. سأفعل بالضبط ما يريدونه. إذا استطاعوا تعقبنا، سيكونون مطمئنين".

أرجع ميتش السيارة خارج المرأب، نحو الممشى، وقال: "ما الذي يريدونه؟ ماذا علينا أن نفعل؟ أخبرني".

"يريدون تحويل مليونيّ دولار إلى رقم حساب في جزر غراند كايمان".

"نعـــم، حسناً، أظن أن هذا أفضل من توفيرها لهم نقداً، مليونيّ دولار نقداً، لكن لمن علينا أن نسرق ماله؟".

طغى ضوء الغروب الأحمر العنيف على الممشى. ضغط أنسون على جهـــاز التحكم عن بعد لإغلاق باب المرأب. قال: "لن نسرق مال أحد. إنه مالي، ميكي. يريدون مالي، ولهذا السبب يستطيعون الحصول عليه".

21

الـــسماء المحتـــرقة جعلـــت الممـــشى مـــشعاً، وامتلأت سيارة الإكسبديشون بالنور.

تورد وجه ميتش احمراراً بالانعكاس القوي لغروب الشمس، وبدا قاســياً، مــع لمعــان ذهبــي في نظرته، لكن حقيقته برزت في صوته الناعم: "كل ما أملكه هو لك، ميكي".

كما لو أنه عبر شارعاً مزدحماً، ألقى نظرة سريعة إلى الخلف، ورأى غابة بدائية حيث انتصبت مدينة، جلس ميتش للحظات بصمت مذهول، ثم قال: "تملك مليونيّ دولار؟ من أين حصلت على المليونيّ دولار؟".

"أنا جيد في ما أفعله، وعملت بكدّ".

"أنـــا واثـــق من أنك جيد في ما تفعله، وأنت جيد في كل شيء تفعله، لكنك لا تعيش مثل رجل غني".

"لا أريد ذلك. المظاهر لا تهمني".

"أعـــرف بعـــض الأشخاص الذين يملكون المال ويعيشون حياة عادية، لكن...".

قال أنسون: "ما يهمني هو الأفكار والحصول على الحرية الحقيقية يوماً ما، ولكن ليس وضع صورتي على صفحات المجتمع".

بقي ميتش تائهاً في غابة هذه الحقيقة الجديدة. "تقصد أنك تملك، فعلاً تملك، مليونيّ دولار في المصرف؟".

"علـــيّ تـــصفية بعض الاستثمارات. يمكن فعل ذلك بواسطة الهاتـــف أو الكمبيوتـــر حـــين تفـــتح البورصة غداً. ثلاث ساعات تكفي".

انتفخت بذور الأمل الجافة نتيجة الرّيّ الذي وفرته هذه الأخبار المذهلة.

قال ميتش: "كم... كم تملك؟ أقصد، كل شيء؟".

قال أنسون: "سيسلبني ذلك كل السيولة المتوافرة لديّ، لكن يبقى لديّ المنـــزل".

"سلبك كل شيء. لن أسمح بحصول هذا لك".

"إذا جمعته مرة، أستطيع جمعه مجدداً".

"ليس بهذا القدر. ليس بسهولة".

"مـــا أفعلـــه في مالي هو من شأني أنا، ميكي. وما أريد فعله هو إعادة هولي إلى المنـــزل آمنة".

عـــبر ضوء الغروب الخفيف، عبر ظلال الغسق الخفيفة التي مالت أكثر نحو الظلمة، جاءت هرة بنية إلى الممشى.

كـــان ميتش تحت تأثير قدر كبير من العواطف، فلم يثق في نفسه للتكلم، ولذلك راقب الهرّة وأخذ نفساً عميقاً.

قـــال أنسون: "بما أنني غير متزوج، ولا أملك أولاداً، جاء هؤلاء الأوغاد إليك أنت وهولي كطريقة للوصول إليّ".

الكـــشف عن ثروة أنسون فاجأ ميتش كثيراً بحيث لم يستوعب فوراً هذا الشرح البدهي للخطف غير المبرر لغاية الآن.

تابع أنسون قائلاً: "لو كان هناك أحد آخر أقرب إليّ، لو كنت أكثر ضعفاً بتلك الطريقة، لتم خطف زوجتي أو ابني، ولتم إعفاء هولي".

توقفت الهرة البنية أمام سيارة الإكسبديشون وحدّقت إلى ميتش. في شـــارع ملـــيء بانعكاسات النور، وحدهما عينا الهرّة أعطتا ضوءاً طبيعياً باللون الأخضر الساطع.

"كان يمكن خطف أي واحدة من أخواتنا، أليس كذلك؟ ميغان، كوني، بورشا؟ وليس هذا مختلفاً عن ذلك".

تـــساءل ميتش: "الطريقة التي تعيش فيها، متوسط الحال، كيف عرفوا؟".

"شـــخص يعمل في مصرف، سمسار بورصة، مخبر سري حيث لا يفترض أن يوجد أحد".

"هل لديك فكرة من هو؟".

"لم يتسنَّ لي الوقت للتفكير في ذلك، ميكي. اسألني غداً".

كـــسرت الهرّة الجمود، وتقدمت إلى الأمام، ومرّت بالقرب من السيارة رباعية الدفع، واختفت عن الأنظار.

في تلك اللحظة، طار عصفور، وبقيت حمامة لوقت متأخر تأكل فـــتات الخبز المتناثر، فصفقت بجناحيها فوق نافذة السائق كما لو أنها تريد أخذه إلى مكان أكثر أماناً.

ذُهل ميتش بالصوت وبالإدراك الشبيه للحلم، بحيث تحولت الهرة إلى الطائر، عند اختفائها..

نظـــر ميـــتش إلى أخيه مجدداً وقال: "لم أجد طريقة للذهاب إلى الشرطة. لكن كل شيء تغير الآن. تملك هذا الخيار".

هـــزّ أنـــسون رأســـه. "قـــتلوا رجـــلاً أمامـــك ليثبـــتوا لك رأيهم".

"صحيح".

"وفهمت".

"صحيح".

"حـــسناً، وأنا أيضاً. إذا لم يحصلوا على ما يريدونه، سيقتلون من دون شفقة، وسيلقون التهمة عليك أو علينا معاً. نستعيد أولاً هولي ثم نذهب إلى الشرطة".

"المليونا دولار!".

قال أنسون: "إنه مجرد مال".

تذكـــر ميـــتش ما قاله أخوه عن عدم اكتراثه برؤية صورته على صفحات المجتمع، وإنما اهتمامه بدلاً من ذلك في الأفكار وفي "الحصول على الحرية الحقيقية يوماً ما".

كـــرر الآن تلـــك العـــبارة وقال: "أعرف ماذا يعني ذلك. يخت الإبحار. حياة في البحر".

"لا يهم، ميكي".

"طـــبعاً يهم. مع هذا القدر من المال، كنت على وشك الحصول على اليخت والحياة من دون قيود".

جـــاء دور أنسون للبحث عن الهرة أو عن شيء آخر في الضوء الأحمر والظلال المتقدة.

قـــال ميتش: "أعرف أنك مخطط كبير. لطالما كنت كذلك. متى تنوي التقاعد للمضي في مشروعك؟".

www.rewity.com dodyadodo

"إنـــه حلم ولد على كل حال، ميكي. قصص القراصنة والمعارك البحرية".

أصرّ ميتش: "متى؟".

"بعـــد عامين. حين أصبح في الخامسة والثلاثين. سيكون إذاً بعد أعوام قليلة. وقد أجني المال مجدداً أسرع مما أظن. عملي ينمو بسرعة".

"الصفقة مع الصين".

"الصفقة مع الصين وأشياء أخرى. أنا جيد في ما أفعله".

قال ميتش: "لا مجال لأن أرفض مساعدتك. أنا مستعد للموت لإنقاذ هولي، ولذلك أنا واثق تماماً من أنني سأسمح لك بالإفلاس من أجلها. لكنني لن أسمح لك بالتقليل من أهمية التضحية. إنها تضحية مهمة جداً".

تمـــدد أنسون، ووضع يده حول الجهة الخلفية لعنق ميتش، وشده إلـــيه، وضغط برفق جبينه على جبين أخيه، بحيث لم يكونا ينظران إلى بعضهما وإنما إلى الأسفل بينهما. "أريد أن أخبرك شيئاً أخي".

"أخبرني".

"عـــادة، لا أذكر هذا أبداً. لكن كي لا تحمّل نفسك الكثير من الـــذنب، مثلما تفعل حالياً... يجب أن تعرف أنك لست الوحيد الذي احتاج إلى المساعدة".

"ماذا تقصد؟".

"كيف اشترت كوني برأيك المخبز؟".

"أنت؟".

"تدبّـــرت قرضاً بحيث يتحول قسم إلى هدية معفية من الضرائب كـــل ســـنة. لا أريد أن تسدد لي أموالي. من الممتع فعل ذلك. وعمل ميغان في الاهتمام بالكلاب".

قال ميتش: "المطعم الذي تفتحه بورشا وفرانك".

"هذا أيضاً".

فيما لا يزالان يضعان رأسيهما على بعضهما، قال ميتش: "كيف عرفوا أنك تملك هذا القدر من المال؟".

"لم يعرفوا. أنا رأيت ما يحتاجون إليه. كنت أحاول التفكير في ما تحتاج إليه، لكن بدوت دوماً... مكتفياً ذاتياً".

"هذا مختلف كثيراً عن قرض لشراء مخبز أو فتح مطعم صغير".

"لا، شيرلوك".

ضحك ميتش وهو يرتجف.

قال أنسون: "تربينا في قوقعة دانيال، والشيء الوحيد الذي يملكه أي مـــنا هو بعضنا بعضاً. الشيء الوحيد الذي يهم. هذه هي الحقيقة أخي العزيز. وستكون هكذا دوماً".

قال ميتش: "لن أنسى هذا أبداً".

"صحيح. أنت تدين لي إلى الأبد".

ضحك ميتش مجدداً، بارتجاف أقل. "اعتناء مجاني بالحديقة طوال الحياة".

"هاي، أخي؟".

"نعم؟".

"هل ستضع السماد على مبدّل السرعة؟".

وعد ميتش: "لا".

"جيد. ما أحبه هو سيارة نظيفة. هل أنت مستعد للقيادة؟".

"نعم".

"أكيد؟".

"نعم".

"فلننطلق إذاً".

22

بقـــي شق ضئيل فقط من النهار في الأفق البعيد، وباتت السماء لولا ذلك مظلمة، والبحر مظلماً. ولم يظهر القمر بعد ليلقي بظله على الشواطئ المقفرة.

قـــال أنـــسون إنه يحتاج إلى التفكير، وفكر جيداً ومليّاً وهو في سيارة تسير وليست متوقفة، لأن هذا شبيه بالمركب المبحر. اقترح على ميتش التوجه جنوباً.

في تلك الساعة، ثمة سيارات قليلة تعبر الطريق السريع لباسيفيك كوست، وبقي ميتش على خط اليمين، يسير ببطء.

قـــال أنسون: "سيتصلون غداً بالمنـــزل عند الظهر لرؤية التقدم الذي أحرزته في الأمور المالية".

"لم تعجبني مسألة تحويل الأموال إلى جزر الكايمان".

"ولا أنا أيضاً. سيصبح لديهم المال وهولي".

قال ميتش: "من الأفضل أن نتقابل وجهاً لوجه. يحضرون هولي، ونحن نحضر حقائب من المال النقدي".

"هـــذا خطـــر أيـــضاً. يأخـــذون المـــال ويطلقون النار علينا جميعاً".

"ليس إذا جعلنا أنفسنا مسلحين".

كـــان أنسون متردداً. "هل سيخيفهم ذلك؟ هل سيصدقون فعلاً أننا نفهم في الأسلحة؟".

"ربما لا. لذا، نأخذ الأسلحة التي لا تتطلب منا أن نكون قناصين ماهرين. مثل البنادق".

سأل أنسون: "ومن أين نحصل على البنادق؟".

"نشتريها من متجر أسلحة، في وال مارت، أو أي مكان آخر".

"ألا توجد فترة انتظار؟".

"لا أظن ذلك. فقط مع المسدسات".

"علينا التمرّن عليها".

قال ميتش: "ليس كثيراً. فقط للشعور بالارتياح".

"ربمـــا نستطيع الذهاب إلى طريق أورتيغا السريع. أقصد، بعدما نحصل على الأسلحة. لا تزال هناك بعض المناطق غير الممتلئة بالمنازل. نستطيع العثور على مكان مقفر، وإطلاق بعض الرصاص".

قـــاد ميـــتش السيارة بصمت، وبقي أنسون صامتاً، فيما تلألأت الهـــضاب الـــشرقية بأنوار المنازل الباهظة، والبحر الأسود إلى الغرب، والسماء سوداء، ولم يعد خط الأفق مرئياً، بحيث اندمج البحر والسماء في فراغ أسود عظيم.

ثم قال ميتش: "لا يبدو لي أمر الأسلحة حقيقياً".

وافقه أنسون الرأي: "مثل الأفلام السينمائية".

"أنا بستاني. وأنت خبير في اللغات".

قال أنسون: "على كل حال، لا أظن أن الخاطفين سيسمحون لنا بفرض الشروط. فمن يملك القوة هو من يفرض الشروط".

تـــوجها جـــنوباً. التوى الطريق السريع، وارتفع، ثم انخفض إلى وسط منطقة لاغونا بيتش.

في منتـــصف شهر مايو، بدأ الموسم السياحي. تنـــزه الناس على الأرصـــفة، دخلـــوا وخرجوا من المطاعم، نظروا إلى واجهات المتاجر والمعارض المغلقة.

عندما اقترح أخوه شراء شي لأكله، قال ميتش إنه ليس جائعاً. ألح أنسون: "عليك أن تأكل".

قاوم ميتش وقال: "عمّ سنتحدث خلال العشاء؟ الرياضة؟ لا أريد أن يسمعنا أحد ونحن نتحدث عن *هذا*".

"سنأكل إذاً في السيارة".

أوقف ميتش السيارة أمام مطعم صيني. تم رسم تنين على كل من النوافذ.

فـــيما انتظر أنسون في السيارة رباعية الدفع، دخل ميتش المطعم. وعدته الفتاة الموجودة وراء الصندوق بأن يتم تحضير طلبه خلال عشر دقائق.

لفـــته الحديث الحيوي بين الأشخاص على الطاولات. استاء من ضحكاتهم اللامبالية.

روائـــح الأرز بجـــوز الهند، الأرز بالفليفلة الحلوة، كرات الذرة المقلـــية، البصل الأخضر، الثوم، الكاجو المقلي فتحت الشهية. إلا أن الهـــواء العطـــر أصـــبح فجأة خانقاً ومزعجاً. أصبح فمه جافاً وشعر بحموضة معدته في حلقه.

لا تزال هولي بين أيدي المجرمين.

لقد ضربوها.

جعلوها تصرخ أمامه، وأمام أنسون.

طلـــب الطعـــام الصيني، تناول العشاء، إنجاز *أي* من مهام الحياة العادية بدا مثل خيانة لهولي، بدا أنه يخفف من تعاسة وضعها.

إذا سمعـــت الـــتهديدات التي وجهت إلى ميتش عبر الهاتف- أنه ســـيتم قطـــع أصابعها، وقطع لسانها- لا شك في أن خوفها كبير ولا يحتمل.

عندما تخيل خوفها الكبير، فكرة وجودها مسجونة في الظلم، بدأ الخـــنوع الناجم عن عجزه يفسح المجال أخيراً أمام غضب أكبر. كان

وجهـــه ساخناً، وعيناه حارقتين، وحنجرته متورمة بالغضب بحيث لم يستطع البلع.

حسد الأشخاص السعداء الذين يتناولون العشاء بحيث شعر برغبة في نـــزعهم عن كراسيهم وسحق وجوههم.

أزعجه الديكور المرتب. تحولت حياته إلى فوضى، واحترق برغبة تحويل يأسه إلى عنف كبير.

ثمـــة جانـــب وحـــشي سري في طبيعته، خامد منذ زمن طويل، احتـــرق الآن بقوة وملأه برغبة تمزيق المصابيح الورقية الملونة، وتحطيم الـــشاشات المـــصنوعة من ورق الأرز، وتعرية الجدران من الأحرف الخـــشبية الحمـــراء للغة الصينية وبرمها، كما لو أنها نجوم فنون قتالية، مستعدة لتحطيم أي شيء يقع في طريقها، لتحطيم النوافذ.

قـــدّمت لـــه فتاة الصندوق كيسين باللون الأبيض يحتويان على طلبه، وأحست بالعاصفة المستترة داخله. اتسعت عيناها وتوترت.

قبل أسبوع واحد، دخل زبون محل بيتزا وأطلق النار وقتل موظف الصندوق ونادلين قبل أن يرديه زبون آخر بالنار، وقد تبين أنه شرطي سابق. ربما تذكرت الفتاة مشاهد تلك المذبحة التي رأتها عبر التلفزيون.

الإدراك أنـــه قد يخيفها كان حبل السلامة الذي أعاد ميتش من الغيظ إلى الغضب، ومن ثم إلى التعاسة السلبية التي خفضت ضغط دمه، وهدأت قلبه النابض بقوة.

ترك المطعم، وخرج وسط الليل الربيعي، ورأى أن أخاه، الجالس في سيارة الإكسبديشون، يتحدث على الهاتف الخلوي.

عـــندما جلـــس ميتش وراء عجلة القيادة، أنهى أنسون الاتصال، وقال ميتش: "هل كانوا هم؟".

"لا. إنه الرجل الذي أظن أنه يجدر بنا التحدث إليه".

أعطى ميتش الكيس الكبير لأنسون وقال: "أي رجل؟".

"نحـــن في ورطة كبيرة مع مجرمين. لا نستطيع مجاراتهم. نحتاج إلى النصيحة من شخص يستطيع منعهم من أكلنا مثل السمك المفروم".

بالرغم من أنه أعطى أخاه سابقاً خيار الذهاب إلى السلطات، قال ميتش: "سيقتلوهما إذا أخبرنا أياً كان".

"قالوا لا لرجال الشرطة. لن نذهب إلى الشرطة".

"ما زلت أشعر بالتوتر".

"ميكي. أنا أرى المخاطر. نحن نعزف على أسلاك كهربائية بعود كمنجة. لكن إذا لم نحاول إصدار بعض الموسيقى، سيقضى علينا".

ســـئم ميـــتش مـــن الـــشعور بالعجز، واقتنع أن الإطاعة التامة للخاطفين ستتم مقابلتها بالوحشية، فقال: "حسناً. لكن ماذا لو كانوا يستمعون إلينا الآن؟".

"لا يستمعون. للتنصت على سيارة والإصغاء في الوقت الحقيقي، ألا يجـــدر بهـــم زرع أكثـــر من ميكروفون؟ ألا يجدر بهم ربطه بناقل للموجات الصوتية وبمصدر للطاقة الكهربائية؟".

"حقاً؟ لا أعرف. وكيف لي أن أعرف؟".

"أظن ذلك. يتطلب الأمر الكثير من المعدات، الكثير من الحجم، والكثير من التعقيدات لإخفاء الجهاز بسهولة أو تركيبه بسرعة".

بواســـطة العـــيدان الخـــشبية التي طلبها، تناول أنسون لحم بقر سيشوان من وعاء، والأرز مع الفطر من وعاء آخر.

"ماذا عن الميكروفونات التوجيهية؟".

قال أنسون: "رأيت الأفلام السينمائية مثلك أنت. الميكروفونات التوجيهـــية تعمـــل جيداً حين يكون الهواء ساكناً. انظر إلى الأشجار. هناك نسيم خفيف الليلة".

تـــناول ميتش طبق مو غو غاي بواسطة شوكة بلاستيكية. استاء من الطعم اللذيذ للطعام، كما لو أنه سيكون وفياً أكثر لهولي إذا تناول وجبة من دون نكهة.

قال أنسون: "بالإضافة إلى ذلك، لا تعمل الميكروفونات التوجيهية بين سيارة متحركة وأخرى".

"دعنا لا نتحدث إذاً عن الأمر قبل أن ننطلق".

"ميكي، ثمة خيط رفيع جداً بين الحذر الشديد والرهاب".

قـــال ميتش: "لقد تجاوزت ذلك الخط قبل ساعات، وبالنسبة إليّ لا مجال للعودة إلى الخلف".

23

تـــرك طبق مو غو غاي مذاقا غير لذيذ حاول ميتش عبثا إخفاءه بواسطة دايت بيبسي خلال قيادة السيارة.

تـــوجه جـــنوباً علـــى الطريق السريع الساحلي. حجبت المباني والأشجار منظر البحر باستثناء بعض اللمحات لسواد حالك.

ارتشف أنسون شاي الليمون من كوب ورقي طويل وقال: "اسمه كامبل. إنه عميل سابق في مكتب التحقيقات الفدرالي".

قال ميتش بحذر: "إنه بالضبط من لا نستطيع اللجوء إليه".

"ركّـــز علـــى كلمة سابق ميتش. إنه عميل سابق في مكتب التحقـــيقات الفـــدرالي. تم إطـــلاق الـــنار عليه، وتعرض لإصابة كـــبيرة، عـــندما كان في الثامنة والعشرين. الرجال الآخرون كانوا ليعيـــشوا مـــع الإعاقـــة، لكـــنه أســـس لنفسه إمبراطورية أعماله الخاصة".

"مـــاذا لو كانوا يضعون جهاز تعقب في الإكسبديشون، وعرفوا أننا ذهبنا إلى عميل سابق في مكتب التحقيقات الفدرالي؟".

"لـــن يعرفوا أنه هكذا كان. إذا عرفوا أي شيء عنه أساساً، قد يعـــرفون أنـــني أنجزت عملاً كبيراً معه قبل بضعة أعوام. سيبدو ذلك وكـــأنني أجمع الفدية". تحركت الدواليب على الإسفلت الأسود، لكن ميـــتش شعر أن الطريق السريع تحتهما ليس أقوى من سطح بركة ماء، تتزلج عليه البعوضة بثقة إلى أن تخرج سمكة وتأكلها.

"أعـــرف ما تحتاج إليه التربة، وما يحتاج إليه دوار الشمس. لكن هذه الأمور هي عالم آخر بالنسبة إليّ".

"أنا أيضاً، ميكي. لهذا السبب، نحتاج إلى المساعدة. لا يملك أحد معـــرفة في العالم الحقيقي ومعرفة في رجال الشوارع أكثر من جوليان كامبل".

بـــدأ ميـــتش يشعر أن كل قرار نعم أو لا هو بمثابة زر في مفجر قنبلة، وأن الخيار الخطأ سيقضي على زوجته.

إذا استمر هذا، سيدفع بنفسه قريباً إلى الشلل. فعدم التصرف لن ينقذ هولي. عدم اتخاذ القرار سيكون الموت بالنسبة إليها.

قال ممتعضاً: "حسناً. أين يعيش كامبل هذا؟".

"اذهب إلى الطريق الداخلي. سنذهب جنوباً إلى رانشو سانتا في".

شمـــال شـــرق ســـان دييغو، كانت منطقة رانشو سانتا في مليئة بالمجمعات السياحية من فئة الأربع نجوم، وملاعب الغولف، والعقارات التي تساوي ملايين الدولارات.

قال أنسون: "أسرع وسنصل إلى هناك خلال تسعين دقيقة".

عـــندما يكونان معاً، يشعران بالارتياح مع الصمت، لأن كلاً مـــنهما ربما، عندما كان ولداً، أمضى على نحو منفصل ووحده وقتاً

كـــبيراً في غـــرفة الـــتعلم. كانت تلك الغرفة كتيمة للصوت أفضل مـــن ســـتوديو محطـــة إذاعية. لا يدخل أي ضجيج إليها من العالم الخارجي.

خـــلال الـــرحلة، كان صمت ميتش وصمت أخيه مختلفين عن بعـــضهما. صـــمته كـــان صمت التافه الداخل في خواء، صوت رائد الفضاء المتقلب في جاذبية الصفر.

أمـــا صـــمت أنسون فكان صمت التفكير المحموم وإنما المنظم. تـــسابقت في عقلـــه سلاسل من التفكير المعقد على نحو أسرع من أي كمبيوتر، من دون طنين الحساب الإلكتروني.

مـــضت عشرون دقيقة على وجودهما على الطريق السريع عندما قـــال أنـــسون: "هـــل تـــشعر أحياناً أننا احتجزنا مقابل فدية طوال طفولتنا؟".

قال ميتش: "لولاك، لكرهتهما".

قـــال أنسون: "أكرههما أحياناً. بشدة وإنما لفترة وجيزة. إنهما مريـــضان جـــداً لكرههما لأكثر من لحظة. يكون الأمر أشبه بتبديد حياتك وأنت تكره سانتا لأنه غير موجود".

"هـــل تذكـــر عندما تم التقاطي مع نسخة من كتاب **عنكبوت شارلوت؟**".

"كنت في التاسعة تقريباً. أمضيت عشرين يوماً في غرفة التعلم".

كرر أنسون عبارة دانيال: "الوهم هو ممهد للخرافات".

"حـــيوانات تـــتكلم، حـــيوان مقـــزز متواضـــع، عنكـــبوت ذكي...".

قـــال أنسون: "تأثير فاسد. الخطوة الأولى في حياة من المعتقدات غير المنطقية وغير العقلانية".

www.rewity.com dodyadodo

لم يـــرَ والـــدهما أي غمـــوض في الطبـــيعة، وإنمـــا فقط آلة خضراء.

قال ميتش: "كان من الأفضل لو ضربانا".

"أفـــضل بكثير. رضوض، عظام مكسورة؛ هذه هي الأمور التي تلفت انتباه جمعيات رعاية الطفل".

بعـــد صـــمت آخر، قال ميتش: "كوني في شيكاغو، ميغان في أتلانتا، بورشا في بريمنغهام. لماذا بقينا هنا أنا وأنت؟".

قـــال أنسون: "ربما أحببنا المناخ. ربما لا نثق في أن البُعد يشفي. ربما نشعر أن هناك عملاً غير منجز بعد".

لقـــي الشرح الأخير صدى عند ميتش. لطالما فكّر في ما سيقوله لوالديه إذا أتيحت الفرصة للتساؤل عن الفرق بين نواياهما وطرائقهما، أو فظاظة محاولة سلب إحساس التعجب من أولادهما.

عـــندما ترك الطريق الفرعي وتوغل نحو الطرق السريعة الداخلية، طـــارت حـــشرات صـــحراء بيضاء مثل كرات الثلج أمام المصباحين الأمامين للسيارة وارتطمت بالزجاج الأمامي.

عـــاش جوليان كامبل وراء جدران حجرية، وراء بوابة حديدية كـــبيرة لهـــا إطار من حجر الكلس المهيب. القسم العلوي من الإطار كـــشف عن منحوتات غنية على شكل أوراق كرمة عنب مرتفعة إلى الأعلى لتلتقي في الوسط على شكل إكليل عملاق.

قـــال ميـــتش: "لا بـــد أن هـــذه الـــبوابة كلّفـــت بقـــدر منـــزلي".

أكد له أنسون: "ضعف ذلك".

24

إلى يـــسار الـــبوابة الرئيسة، كشف العقار الضخم عن منـــزل للحـــراس. فيما توقفت سيارة الإكسبديشون، فتح الباب، وظهر رجل شاب طويل يرتدي بذلة سوداء.

عيـــناه الداكنتان الصافيتان قرأتا ميتش بصورة فورية تماماً مثلما تقـــرأ ماسحة الأسعار لصيقة الرمز على المنتج. "مساء الخير سيدي". نظر إلى أنسون للحظات. "سررت برؤيتك سيد رافيرتي".

بـــصوت لم يـــستطع ميـــتش سماعه، فتحت البوابات الحديدية المزخرفة نحو الداخل. امتد وراءها ممشى ثنائي الاتجاه مرصوف بالحصى الكـــبيرة، ومحاط بأشجار النخيل العملاقة، وكانت كل شجرة مضاءة من الأسفل، فيما الأوراق المهيبة شكلت ظلالاً فوق الرصيف.

كـــان طول الممشى ربع ميل. ثمة حدائق ومروج فسيحة ومضاءة بطريقة فاتنة امتدت على كلا الجانبين.

قال أنسون: "ستة عشر أكراً كاملاً".

"لا بد أنه يوجد عشرة عمال للاهتمام بالمناظر الطبيعية فقط".

"أنا واثق من ذلك".

مـــن الأســـقف المغطـــاة بالقرميد الأحمر، والجدران المغطاة بالحجارة الكلسية، والنوافذ المتألقة بنور ذهبـــي، والأعمدة والقناطر والمصطبات، نجح المهـــندس المعماري في الجمع بين الجمال والعظمة. فمنـــزل بهذه الضخامة يفترض أن يبدو مخيفاً، لكن المنـــزل الإيطالي بدا عوضاً عن ذلك جميلاً.

انتهـــى الممـــشى ببركة عاكسة مع نافورة وسطية انطلقت منها نـــوافير مـــاء مـــتقاطعة، مثل رذاذ النقود المعدنية الفضية التي رقصت وتلألأت في الليل. ركن ميتش السيارة قربها.

"هل يملك هذا الرجل رخصة لطبع الأوراق المالية؟".

"إنه يعمل في مجال التسلية. أفلام سينمائية، كازينوهات، تحديداً".

هذه العظمة أخافت ميتش لكنها رفعت في الوقت نفسه آماله بأن يتمكن جوليان كامبل من مساعدتهما. فجمع مثل هذه الثروة بعد التعرض لإصابة بالغة والخروج من مكتب التحقيقات الفدرالي بإعاقة دائمة، وتحمل يد مصابة بشكل وخيم وإنما استعمالها للفوز، تؤكد من دون شك أن كامبل في غاية الذكاء مثلما وعد أنسون.

جاء رجل أشيب الشعر، يرتدي ثياب رئيس الخدم، وألقى التحية عليهما على المصطبة، وقال إن اسمه وينسلو، ثم رافقهما إلى الداخل.

لحقا بوينسلو عبر ردهة استقبال عملاقة مغطاة بالرخام الأبيض ولها سقف من الجص المزخرف بأشكال أوراق ذهبية. بعد المرور في غرفة جلوس حجمها على الأقل ستون بثمانين قدماً، وصلوا أخيراً إلى مكتبة مليئة برفوف الماهوغاني.

إجابة عن سؤال ميتش، كشف وينسلو أن مجموعة الكتب تضم أكثر من ستين ألف كتاب. قال: "سيكون السيد كامبل معكما في غضون ثوانٍ". ثم غادر.

المكتبة، التي تتجاوز مساحتها الجغرافية مساحة منزل ميتش، احتوت على نصف دزينة من مساحات الجلوس مع أرائك وكراسي.

جلسا على كرسيين كبيرين، أمام بعضهما، بحيث فصلت بينهما طاولة صغيرة، وتنهد أنسون. "هذا هو الشيء الصحيح".

"إذا كان مهيباً بقدر نصف المنزل...".

"جوليان هو الأفضل، ميكي. إنه السند الحقيقي".

"لا بد أنه يقدرك كثيراً حتى يقبل بلقائك في هذا الوقت القصير، بعد العاشرة ليلاً".

ابتسم أنسون ابتسامة حزينة. "ماذا سيقول دانيال وكاتي إذا أجبت على إطرائك ببضع كلمات متواضعة؟".

قال ميتش وهو يتذكر كلام والده: "التواضع مرتبط بالحياء. الحياء مرتبط بالخجل. الخجل رديف الجبن. الجبن هو ميزة الضعفاء. الضعفاء لا يرثون الأرض، بل يخدمون من هم واثقين في أنفسهم وفي قدراتهم".

"أحبك، أخي الصغير. أنت مذهل".

"أنا واثق من أنك تتذكرها أيضاً حرفاً حرفاً".

"ليس هذا ما أقصده. لقد تربيت في صندوق مقفل، في متاهة، ولا تزال بالرغم من ذلك الرجل الأكثر تواضعاً الذي أعرفه".

طمأنه ميتش: "لديّ أسبابي. الكثير منها".

"هل ترى؟ استجابتك لوصفك بالمتواضع هي انتقاد ذاتي".

ابتسم ميتش. "أظن أنني لم أتعلم كثيراً في غرفة التعلم".

قال أنسون: "بالنسبة إليّ، لم تكن غرفة التعلم الأسوأ على الإطلاق. ما لا يغيب عن بالي هو لعبة الحياء".

تورد وجه ميتش عند العودة في الذاكرة. "الحياء لا يملك فائدة اجتماعية. إنه توقيع العقل المشكك".

"متى جعلاك تلعب لعبة الحياء لأول مرة، ميكي؟".

"أظن أنني كنت في الخامسة".

"كم مرة أجبرت على لعبها؟".

"أظن أكثر من ست مرات على مرّ السنوات".

"أجبراني على لعبها إحدى عشرة مرة، وآخر مرة كان عمري ثلاثة عشر عاماً".

كشّر ميتش وجهه. "يا رجل، أذكر تلك المرة. أمضيت أسبوعاً كاملاً فيها".

"العيش عارياً أربع وعشرين ساعة/سبعة أيام في الأسبوع فيما كان كل الآخرين في المنـــزل قد بقوا مرتدين ملابسهم. الحاجة إلى الإجابة أمام الجميع عن الأسئلة الأكثر إحراجاً والأكثر حميمية حول أفكـــارك وعاداتـــك ورغباتك الخاصة. الخضوع لمراقبة فردين من العائلـــة في كـــل حمـــام، واحدة منهما على الأقل أخت، من دون الـــسماح لـــك بـــأدنى لحظة خاصة... هل شفاك ذلك من الحياء، ميكي؟".

قال ميتش: "انظر إلى وجهي".

ضـــحك أنسون بهدوء ضحكة هادئة وقال: "أستطيع إشعال شمعـــة مـــن هذا الاحمرار. اللعنة إذا كنا نحضر له شيئاً يوم ذكرى الأب".

سأل ميتش: "ولا حتى ماء عطر؟".

إنه روتين منذ أيام الطفولة.

قال أنسون: "ولا حتى وعاء ليبوّل فيه".

"ماذا عن التبويل من دون الوعاء؟".

"وكيف ألفه؟".

قال ميتش: "*مع كل الحب*" وابتسما لبعضهما بعضاً.

"أنـــا فخور بك، ميكي. لقد تغلبت عليهما. لم يحصل معك ما حصل معي".

"حصل؟".

"لقد كسراني، ميتش. لا أملك حياء، ولا قدرة على الذنب". من تحت سترته الرياضية، سحب أنسون مسدساً.

25

أوقـــف ميتش ابتسامته استباقاً لما سيحصل، كما لو أن المسدس ليس سلاحاً وإنما ولاعة سجائر أو شيء جديد يصدر الفقاعات.

لو استطاع البحر المالح التجمد والاحتفاظ بلونه، لكان بلون عينيّ أنـــسون. كانتا صافيتين أكثر من أي وقت مضى، صريحتين كما هي الحال دوماً، لكنهما تلونتا بميزة لم يرَها ميتش أبداً من قبل، ولم يستطع التعرف إليها.

قـــال أنـــسون بحزن تقريباً من دون أي ندم أو حق: "مليونان. الحقـــيقة هي أنني لن أدفع مليونين كفدية لك، ولذلك فإن هولي ماتت لحظة تم خطفها".

تجمـــد وجـــه ميتش مثل الرخام، وبدت حنجرته مليئة بالحجارة المكسورة التي تعيق الكلام.

"بعض الأشخاص - الذين أنجزت لهم عملاً استشارياً- يصادفون بعض الأحيان فرصة تكون فاشلة بالنسبة إليهم وإنما مربحة بالنسبة إليّ. ليس في عملي الاعتيادي، وإنما في الأمور الإجرامية أكثر".

توجب على ميتش الكفاح لتركيز انتباهه، لسماع ما تم قوله، لأن رأســـه امتلأ بهدير أحلام الحياة التي انهارت مثل برج من أوراق تآكلها العث.

"الأشـــخاص الـــذين خطفوا هولي هم الفريق الذي أعددت له واحـــدة مـــن تلك المهام. حققوا ربحاً كبيراً منها، لكنهم وجدوا أن حصتي أكبر مما قلت لهم، وأصبحوا الآن جشعين".

تم إذاً خطف هولي ليس فقط لأن أنسون يملك المال لدفع فديتها، وإنما أيضاً- وخصوصاً- لأن أنسون خدع خاطفيها.

"يخشون خطفي مباشرة. أنا مصدر مهم بالنسبة إلى بعض الأشخاص أصحاب النفوذ الذين يقضون على أي أحد يقضي عليّ".

افترض ميتش أنه سيلتقي قريباً أحد هؤلاء *الأشخاص أصحاب النفوذ*، لكن مهما كان التهديد الذي يفرضونه عليه، لا يمكن أن يساوي فداحة هذه الخيبة.

كشف أنسون: "قالوا عبر الهاتف إنه إذا لم أدفع فدية هولي، سيقتلونها، ثم يطلقون النار عليك في الشارع يوماً ما، تماماً مثلما قتلوا جايسون أوستين. المساكين. يظنون أنهم يعرفونني، لكنهم لا يعرفون من أكون فعلاً. لا أحد يعرف".

ارتجف ميتش، لأن المنظر الطبيعي في عقله أصبح مليئاً بالأشواك، وتحولت أفكاره إلى عاصفة من القضبان الجليدية المتجمدة.

"بالمناسبة، كان جايسون واحداً منهم. المسكين الصغير. ظن أن رفاقه سيطلقون النار على الكلب لإثبات رأيهم أمامك. لكن عند قتله هو بدل ذلك، أثبتوا رأيهم بقوة أكبر وحسنوا التزام بقية الشركاء".

من دون شك، عرف أنسون جايسون مثلما عرفه ميتش. لكن يبدو جلياً أن أنسون بقي على اتصال مع جايسون بعد وقت طويل من انقطاع الاتصال بين ميتش وصديقه القديم.

"هل من شيء تريد قوله لي، ميتش؟".

أي رجل آخر مكانه كان ليطرح ربما ألف سؤال بغضب، ويطلق عبارات مريرة، لكن ميتش جلس متجمداً، وقد عانى للتو من تحول عاطفي وتحول فكري جذري، بحيث انقلبت فجأة نظرته المتفائلة إلى الحياة إلى أخرى متشائمة. شكل هذه الحقيقة الجديدة مجهول بالنسبة

إليه، وهذا الرجل الذي يشبه كثيراً أخاه ليس الأخ الذي عرفه، وإنما هو شخص غريب. كانا غريبين عن بعضهما بعضاً، من دون لغة مشتركة، هنا في صحراء قاحلة.

بدا أنسون أنه اعتبر صمت ميتش بمثابة تحدٍّ أو حتى مواجهة. انحنى إلى الأمام في كرسيه، وبحث عن رد فعل، بالرغم من أنه تحدث بالنبرة الأخوية التي استخدمها دوماً من قبل، كما لو أن لسانه معتاد على نبرات الكذب الناعمة بحيث لا يستطيع أن يصبح أكثر خشونة في الوقت الحاضر.

"كي لا تشعر أنك تعني لي أقل من ميغان أو كوني أو بورشا، يجدر بي توضيح شيء ما. لم أعطِهن المال لبدء مشروعات. كان هذا هراء، أخي. لقد ضحكت عليك".

بما أنه برزت الحاجة إلى إجابة، لم يعطِ ميتش واحدة.

الرجل المصاب بحمى يمكن أن يعاني من نوبات برد، وبقيت نظرة أنسون جليدية بالرغم من أن عمقها كشف عن عقل مضطرب بقوة. "مليونا دولار لن يفلساني أخي. الحقيقة هي... أنني اقتربت من الثمانية ملايين".

من وراء الجاذبية الفاتنة، ثمة شخص آخر راقب، وأحس ميتش، من دون أن يفهم تماماً ما عناه، أنه هو وأخوه، الوحيدان في الغرفة، لم يكونا في الواقع وحدهما.

قال أنسون: "اشتريت يختاً في شهر مارس. وفي شهر سبتمبر المقبل، سأدير خدماتي الاستشارية من البحر، بواسطة الأقمار الاصطناعية. الحرية. لقد حصلت عليها، ولن يسلبها أحد مني".

أغلق باب المكتبة. وصل شخص ما؛ وأراد الخصوصية لما سيأتي لاحقاً.

نهض عن كرسيه، والمسدس جاهز في يده، حاول أنسون أكثر من مـــرة كـــشف رد فعل ميتش. "يمكنك الشعور بالارتياح لأن القصة ستنتهي مع هولي قبل منتصف ليل الأربعاء".

وصـــل رجل طويل، مليء بالثقة واللياقة بحيث أوحى بتمازج مع فهـــد في مكـــان ما في إرثه، وأشرقت عيناه الرماديتان بالفضول، فيما ارتفع أنفه كما لو أنه يبحث عن رائحة ما.

قـــال أنسون لميتش: "حين لا أكون في المنـــزل لتلقي اتصالهم عـــند الظهـــر، وحـــين لـــن يتمكنوا من الاتصال بك على هاتفك الخلـــوي، سيعرفون أنه لا يمكن الضغط عليّ. سيقتلونها، ويطمرونها، ويهربون".

ارتـــدى الرجل الواثق وانتعل سروالاً من الحرير الأسود، وقميصاً من الحرير الرمادي بلون عينيه. لمعت ساعة رولكس ذهبية في معصمه الأيسر، وتلألأت أظفار يديه المرتبة.

تابع أنسون: "لن يعذبوها. كان ذلك هراء. لن يغتصبوها ربما قبل قتلها، بالرغم من أنني كنت لأفعل لو كنت مكانهم".

وقـــف رجـــلان ضخمان وراء كرسي ميتش، وحاصراه. حملا مسدسات كاتمة للصوت، وكانت عيونهما مثل تلك التي تراها عادة من الجانب الطليق من قفص.

قـــال لهما أنسون: "إنه يحمل سلاحاً في الجهة الخلفية لظهره"، ثم قال لميتش: "أحسست به عندما عانقتك، أخي".

في المقابل، تساءل ميتش لماذا لم يذكر المسدس أمام أنسون حين كانا في سيارة الإكسبديشون، قيد الحركة، بحيث لا يمكن مراقبتهما. ربمـــا في أعمـــاق عقله، كانت هناك قلة ثقة في أخيه لم يتمكن من فهمها.

كـــشف أحـــد الرجلين المسلحين عن بشرة سيئة. لقد نقّر حب الـــشباب وجهـــه مـــثلما يفعل المنّ في ورقة النبات. طلب من ميتش الوقوف، فنهض عن الكرسي.

رفـــع الـــرجل المـــسلح الآخـــر ســـترته الرياضـــية وأخذ منه المسدس.

عندما طُلب منه الجلوس، أطاع ميتش.

في النهاية، تحدث إلى أنسون وإنما فقط للقول: "أشفق عليك". وهـــذا صـــحيح، بالرغم من أنه نوع حقير من الشفقة، مع بعض العاطفـــة ولكـــن من دون حنان، مستنـــزف بالرحمة وإنما مشبع بالنفور.

أيـــاً كانـــت صفة تلك الشفقة، لم يشأ أنسون أياً منها. لقد قـــال إنـــه فخور بميكي لأنه لم تتم قولبته في قالب والديهما، فيما بـــات هـــو مكسوراً. كانت تلك أكاذيب، الزيت الملين للمراوغ المحتال.

فخـــره كان محصوراً بريائه ونفاقه. عند إعلان ميتش للشفقة، ضـــاقت عيـــنا أنسون نتيجة الاستياء، وظهرت قساوة واضحة في قسماته.

كمـــا لـــو أنه أحس أن أنسون تعرض لإهانة كافية للقيام بشيء وحـــشي، رفـــع الرجل الذي يرتدي الحرير يده لصدّ الرصاصة، فيما تلألأت ساعة الرولكس، وقال: "ليس هنا".

بعـــد تـــردد، أعاد أنسون مسدسه إلى قراب الكتف تحت سترته الرياضية.

مـــن دون قـــصد، عادت إلى عقل ميتش الكلمات التي قالها له التحري تاغارت قبل ثماني ساعات، وبالرغم من أنه لم يعرف مصدرها

ولم يفهم تماماً ملاءمتها حتى الوقت الحاضر، شعر بنفسه مجبراً على تكرارها: "الدم يصرخ لي من تحت الأرض".

للحظة، أصبح أنسون وشركاؤه متجمدين مثل الأشكال في لوحة فنية، وصمتت المكتبة، وسكت الهواء، وتوقف الليل عند الأبواب الفرنسية، ثم خرج أنسون من الغرفة، وتراجع الرجلان المسلحان خطوات قليلة، وبقيا يقظين، فيما اتكأ الرجل الذي يرتدي الحرير على ذراع الكرسي الذي جلس عليه أنسون.

قال: "ميتش، كنت خيبة أمل كبيرة بالنسبة إلى أخيك".

26

كشف جوليان كامبل عن التألق الذهبي الذي لا يمكن الحصول عليه إلا بواسطة آلة اسمرار خاصة به، وعن بنية جسدية منحوتة تؤكد على وجود نادٍ رياضي منزلي ومدرّب شخصي، ووجه ناعم يوحي بعمليات تجميل متكررة، بالنسبة إلى رجل في الخمسينيات.

الإصابة التي أنهت مهنته في مكتب التحقيقات الفدرالي لم تكن جلية، ولم يظهر أي دليل على إعاقة. انتصاره على إصاباته الجسدية يوازي بلا شك نجاحه الاقتصادي.

"ميتش، أشعر بالفضول".

"بشأن ماذا؟".

بدلاً من الإجابة، قال كامبل: "أنا رجل عملي. في عملي، أفعل ما يجب فعله، ولا أندم لاحقاً عليه".

فسّر ميتش هذه الكلمات أن كامبل لا يسمح لنفسه بالشعور بالذنب.

"أعرف الكثير من الرجال الذين يفعلون ما يجب فعله. رجال عمليون".

بعد ثلاث عشرة ساعة ونصف، سيتصل الخاطفون بمنزل أنسون. إذا لم يكن ميتش هناك لتلقي الاتصال، ستقتل هولي.

"لكن هذه المرة الأولى التي أرى فيها رجلاً يتخلى عن أخيه لمجرد الإثبات أنه الأقوى".

صحح ميتش: "من أجل المال".

هزّ كامبل رأسه. "لا. كان باستطاعة أنسون أن يطلب مني تلقين أولئك الأوغاد درساً. ليسوا أقوياء مثلما يظنون".

تحت هذا المستوى الأكثر دكنة من نهاية اليوم ثمة شيء أكثر دكنة.

"خلال اثنتي عشرة ساعة، يمكننا جعلهم يتوسلون *للدفع* لنا لكي نستعيد زوجتك من دون أذى".

انتظر ميتش. في الوقت الحاضر، لا يمكن فعل أي شيء سوى الانتظار.

"هؤلاء الرجال يملكون أمهات. نحرق منزل أم أحدهم، وربما نحطم وجه امرأة عجوز أخرى بحيث تحتاج إلى سنة من العمليات الجراحية التجميلية".

كان كامبل بدهياً كما لو أنه يشرح شروط صفقة عقارية.

"أحدهم يملك ابنة من زوجة سابقة. تعني شيئاً بالنسبة إليه. نوقف الفتاة في طريقها من المدرسة إلى المنزل، ونعرّيها، ونحرق ملابسها. نخبر والدها؛ في المرة المقبلة سنحرق سوزي مع ملابسها".

قـــبلاً، بسذاجته، أراد ميتش توريط إيغي في هذه المعمعة لإنقاذ أنسون.

تـــساءل الآن إذا كان يرغب في تحطيم حياة أناس آخرين أبرياء، وحرقهم وتعذيبهم لإنقاذ هولي. ربما يجدر به الامتنان لأن ذلك الخيار لم يعرض عليه.

"إذا لقـــنّا الـــدرس لاثني عشر شخصاً قريباً منهم في اثنتي عشرة ســـاعة، سيرســـل أولئك الأوغاد زوجتك إلى المنـــزل مع اعتذارات وشيكاً لشراء ملابس جديدة".

لم يرفع الرجلان المسلحان عيونهما عن ميتش.

تابـــع كامـــبل قائلاً: "لكن أنسون، يريد أن يوضح رأيه كي لا يـــستخف به أحد مجدداً. بطريقة غير مباشرة، هذا الإيضاح هو أيضاً لصالحي. وعليّ القول... إنني متأثر".

لم يسمح لهما ميتش برؤية الكثافة الحقيقية لرعبه. سيفترضان أن الخوف الكبير يجعله عاجزاً، وسيراقبانه عن كثب أكبر مما يفعلان الآن.

يجب أن يبدو خائفاً، لكن أكثر من خائف، يائساً. رجل في قبضة اليأس، يملك أملاً مهجوراً، ليس رجلاً يملك رغبة القتال.

كرر كامبل، وهو يعود أخيراً إلى حيث انطلق: "أشعر بالفضول. لكي يتمكن أخوك من فعل ذلك بك... ماذا فعلت له؟".

أجاب ميتش: "أحببته".

نظـــر كامـــبل إلى ميتش مثلما ينظر طائر مالك الحزين إلى سمكة تـــسبح، ثم ابتسم. "نعم، هذا يكفي. ماذا لو وجد نفسه يوماً ما يقابل بالشيء نفسه؟".

"لطالما أراد الذهاب بعيداً، والوصول إلى هناك بسرعة".

قال كامبل: "الإحساس إزعاج".

بـــصوت مـــنخفض ملـــيء باليأس، قال ميتش: "أوه، إنها الحبل والمرساة".

عـــن طاولة القهوة حيث وضعه أحد الرجلين المسلحين، رفع كامـــبل المـــسدس الـــذي تم أخذه من ميتش. "هل استعملت هذا يوماً؟".

كـــاد ميتش أن يقول لا، لكنه أدرك بعدها أن المسدس يفتقد إلى رصاصـــة، الرصاصة التي قتل بها كنوكس نفسه عن غير قصد. "مـــرة واحـــدة. أطلقـــت الـــنار مرة واحدة. لمعرفة كيف يكون الأمر".

قال كامبل، مسروراً: "وهل كان الأمر مخيفاً؟".

"جداً".

"يقول أخوك إنك لست رجل أسلحة".

"يعرفني أفضل مما أعرفه".

"لماذا حصلت إذاً على هذا؟".

"رأت زوجتي أنه يجدر بنا الاحتفاظ بواحد في المنـــزل".

"كم كانت محقة".

كـــذب ميـــتش قـــائلاً: "بقـــي في درج المنضدة الليلية منذ أن اشتريناه".

وقـــف كامبل على قدميه. مدّ ذراعه اليمنى كلها ووجه المسدس نحو وجه ميتش. "قف".

27

نهض ميتش عن الكرسي وحدّق إلى المسدس.

انـــتقل الـــرجلان المسلحان إلى وضعيتين جديدتين، كما لو أن نيتهما هي محاصرة ميتش في مثلث من النار.

قال كامبل: "انـــزع معطفك وضعه على الطاولة".

فعـــل ميتش مثلما طلب منه، ثم لبى تعليمات أخرى قضت بقلب جـــيوب ســـروال الجينـــــز. وضع مجموعة مفاتيحه، ومحفظة نقوده، وورقتين مطويتين من المناديل الورقية على طاولة القهوة.

تذكر عندما كان ولداً في الظلمة والصمت. بدل التركيز على الـــدرس البـــسيط الذي يفترض به تعلمه نتيجة الاحتجاز، أجرى محادثـــات خيالية مع عنكبوت اسمها شارلوت، وحيوان مقزز اسمه ويلـــبور، وجرذ اسمه تمبلتون. كانت تلك أقرب نقطة يصل فيها إلى التحدي.

شـــك في أن يطلـــق هؤلاء الرجال النار عليه وهو في المنـــزل. فحـــتى لـــو تم إخفاؤه و لم يعد منظوراً للعيان، يترك الدم توقيع بروتين تستطيع المواد الكيميائية الخاصة كشفه.

رفـــع أحـــد الرجلين المسلحين معطف ميتش، وفتش في جيوبه، وعثر فقط على الهاتف الخلوي.

قـــال ميـــتش لمضيفه المراقب: "كيف انتقلت من بطل في مكتب التحقيقات الفدرالي إلى هذا؟".

كانـــت دهـــشة كامبل وجيزة. "هل هذه الحجة التي أقنعك بها أنـــسون للمجيء إلى هنا؟ جوليان كامبل؛ بطل في مكتب التحقيقات الفدرالي؟".

بالـــرغم مـــن أن الـــرجلين المسلحين بدوَا غير مرحين بقدر الخـــنافس الصغيرة، ضحك الرجل صاحب البشرة الناعمة وابتسم الآخر.

قال ميتش: "ربما لم تجنِ مالك من التسلية أيضاً".

قـــال كامبل: "التسلية؟ قد يكون هذا صحيحاً كفاية إذا وضعت تعريفاً مرناً لكلمة *تسلية*".

أخـــرج الرجل المسلح صاحب الوجه المندب بحب الشباب كيس نايلون كبيراً من جيب وركه. هزه لفتحه.

قـــال كامـــبل: "وميـــتش، إذا أخـــبرك أنـــسون أن هذين الـــرجلين مرشـــحان للكهنوت، يجدر بـــي تحذيرك أن هذا ليس صحيحاً".

استمتع الخنفسان أكثر فأكثر.

مـــلأ الـــرجل المسلح كيس النايلون بالسترة الرياضية، والهاتف الخلوي، والأغراض الأخرى التي تم أخذها من ميتش. قبل رمي محفظة النقود، أخذ منها المال النقدي ورماها إلى كامبل.

بقي ميتش واقفاً، منتظراً.

كـــان الـــرجال الثلاثة مسترخين معه أكثر مما كانوا أولاً. باتوا يعرفونه الآن.

إنـــه أخ أنسون، وإنما بالدم فقط. إنه هارب، وليس مطارِد. إنه يطـــيع. عـــرفوا أنه لن يقاوم بفاعلية. سينطوي على نفسه. في النهاية، سيذعن.

عـــرفوه، عـــرفوا نـــوعه، وبعدما انتهى الرجل المسلح من وضع الأغراض في الكيس، أخرج زوجاً من الأغلال.

قبل أن يطلب من ميتش مد يديه، قدمهما.

تردد الرجل الحامل للأغلال، وهزّ كامبل كتفه، فوضعهما الرجل المسلح حول معصميّ ميتش.

قال كامبل: "تبدو متعباً جداً".

وافقه ميتش الرأي: "من المضحك كم أنا متعب".

وضع كامبل المسدس الذي صادروه، وقال: "هكذا هي الأمور أحياناً".

لم يزعج ميتش نفسه في اختبار الأغلال. إنها محكمة، والسلسلة الفاصلة بين اليدين قصيرة.

فيما عدّ كامبل الأربعين دولاراً التي تم أخذها من محفظة ميتش، كشف صوته عن نوعية هادئة: "ستنام على الطريق".

"إلى أين سنذهب؟".

"أعرف رجلاً نام ذات ليلة، في رحلة مثل تلك التي ستقوم بها. كان مخجلا إيقاظه عندما وصلنا إلى هناك".

سأل ميتش: "هل أنت آت؟".

"أوه، لم أذهب منذ أعوام. سأبقى مع كتبي. أنت لا تحتاج إليّ. ستكون على ما يرام. كل شيء سيكون على ما يرام في النهاية".

نظر ميتش حوله إلى رفوف الكتب. "هل قرأت أياً منها؟".

"كتب التاريخ. أنا مفتون بالتاريخ، وكم أن المرء لا يتعلم أبداً كفاية منه".

"هل تعلمت منه؟".

"أنا تاريخ. أنا الشيء الذي لا يريد أحد تعلمه".

طوت يدا كامبل البارعتان، مثل يديّ لاعب خفة، مال ميتش لوضعه في محفظة نقوده بحركة مسرحية نوعاً ما.

"سيصطحبك هذان الرجلان إلى جناح السيارات. ليس عبر المنزل، وإنما عبر الحدائق".

افترض ميتش أن موظفي المنزل- الخدم الليليين ورئيس الخدم- غير مدركين للجانب المظلم من عمل كامبل أو أنهم متعاونون معه بادعاء الجهل.

"وداعاً، ميتش. ستكون على ما يرام. لم يعد الوقت طويلاً الآن. قد تنام على الطريق".

أحاط الرجلان المسلحان بميتش، وأمسكه كل منهما بذراعه، ورافقاه عبر المكتبة إلى الأبواب الفرنسية. الرجل صاحب الوجه المنقّر، على يمينه، ضغط بفوهة المسدس على جانبه، ليس بطريقة وحشية، وإنما فقط للتذكير.

مباشرة قبل عبور العتبة، ألقى ميتش نظرة سريعة إلى الخلف ورأى كامبل يراجع عناوين الكتب على الرفوف. وقف برشاقة راقص الباليه.

بدا أنه يختار كتاباً لأخذه معه إلى السرير. أو ربما ليس إلى السرير. فالعنكبوت لا ينام؛ ولا التاريخ.

من المصطبة إلى الدرج، وصولاً إلى مصطبة أخرى، رافق الرجلان المسلحان ميتش ببراعة.

ألقى القمر بضوئه على بركة السباحة، وكان شاحباً ومتموجاً.

على طول ممرات الحديقة، سُمع نقيق الضفادع المختبئة، عبر مرج عريض، فوق غيضة من الأوراق الفضية الطويلة المتلألئة مثل حراشف السمكة، إلى أن وصلوا إلى بناء كبير وإنما أنيق، محاط بردهة مسقوفة، مضاءة بطريقة رومنسية.

لم يتضاءل حذر الرجلين المسلحين أبداً خلال الجولة.

الـــتف الـــياسمين المتفتح ليلاً حول أعمدة الردهة المسقوفة وزيّن الإفريز.

تـــنفس ميتش ببطء وعمق. كان العطر القوي جميلاً جداً بحيث يكاد يكون مخدراً.

ثمـــة خنفساء سوداء بطيئة الحركة عبرت أرض الردهة المسقوفة. وجّه الرجلان المسلحان ميتش حول الحشرة.

احتوت الردهة المسقوفة على سيارات مرممة بطريقة رائعة من الثلاثينـــيات والأربعينـــيات؛ بويك، لينكولن، باكارد، كاديلاك، بونتياك، فورد، شفروليه، كايزر، ستودبايكر، وحتى تاكر توربيدو. كانـــت معروضة مثل المجوهرات تحت أشعة ضوئية مركزة بطريقة محددة.

السيارات المخصصة للاستعمال اليومي لا توضع هنا. لا شك في أنهمـــا لـــو أخـــذاه إلى المرأب الرئيس، لجازفا بلقاء أفراد من موظفي المنـــزل.

أخـــرج الرجل المسلح صاحب الوجه المندّب مجموعة مفاتيح من جيبه وفتح صندوق سيارة كريزلر ويندسور كحلية موديلها من أواخر الأربعينيات. "ادخل".

للـــسبب نفـــسه الذي دفعهما إلى عدم قتله في المكتبة، لن يقتلاه هنا. بالإضافة إلى ذلك، لن يجازفا بإلحاق ضرر بالسيارة.

كـــان الـــصندوق أوسع من صندوق السيارات الحديثة. استلقى ميتش على جانبه، في وضعية الجنين.

قال الرجل المندّب: "لا يمكنك فتح القفل من الداخل. لم يكونوا مدركين لمبدأ سلامة الطفل في تلك الأيام".

قال شريكه: "سنكون في طرقات فرعية حيث لن يسمعك أحد. فإذا أصدرت الكثير من الضجيج، لن يجديك ذلك نفعاً".

لم يقل ميتش أي شيء.

قـــال الرجل المندّب: "سيزعجنا ذلك فقط. سنكون حينها أكثر قساوة عليك مما يفترض بنا".

"لا أريد هذا".

"لا. لا تريد هذا".

قال ميتش: "أتمنى لو أننا نستطيع عدم فعل هذا".

قال الرجل صاحب الوجه الناعم: "حسناً، هكذا هي الحال".

كـــان وجهاهمـــا مضاءين من الخلف بالأنوار الفوقية، فحدقا إلى ميتش مثل قمرين مظللين، الأول بتعبير اللامبالاة، والثاني مليء بالازدراء.

أغلقا الصندوق، وكانت الظلمة مطلقة.

28

استلقت هولي في الظلمة، وهي تدعو أن يبقى ميتش على قيد الحياة.

خافـــت على نفسها أقل مما خافت عليه. وضع خاطفوها طوال الوقت أقنعة تزلج في حضورها، وافترضت أنهم لن يزعجوا أنفسهم في إخفاء وجوههم لو أرادوا قتلها.

لا يضعون هذه الأقنعة بمثابة أكسسوار موضة. لا يبدو أحد جميلاً في قناع التزلج.

إذا كـــنت مشوهاً كثيراً، مثل شبح الأوبرا، لربما رغبت في وضع قناع تزلج. لكن من غير المنطقي أن يكون هؤلاء الرجال الأربعة كلهم مشوهين كثيراً.

www.rewity.com dodyadodo

طـبعاً، حـتى لو كانوا يأملون في عدم إيذائها، يمكن أن يحدث خطب ما في خططهم. في لحظة محنة، قد يتم قتلها عن غير قصد. أو أن الأحداث قد تغير نوايا الخاطفين تجاهها.

مـتفائلة علـى الدوام، اعتقدت منذ الطفولة في أن الحياة لها معـنى وأن حـياتها لـن تنتهي قبل أن تجد هدفها. لا تفكر هولي كـثيراً في الخطب الذي قد يحصل، وإنما تتصور نفسها محررة، غير متأذية.

تـثق في أن تـصور المستقبل قد يساعد على صياغته. لا يعني ذلـك أنهـا ستصبح ممثلة مشهورة بمجرد تصور نفسها وهي تتلقى جائـزة أوسـكار. فالعمـل الكـاد هو من يصنع المهن، وليست الأمنيات.

علـى كل حال، لا تريد أن تكون ممثلة مشهورة. سيكون عليها تمضية الكثير من الوقت مع الممثلين المشهورين، ومعظم الوجوه الحالية لا تحبها.

حين تصبح حرة مجدداً، ستتناول المرصبان، والشوكولاته، وزبدة الفول السوداني، والبوظة، ورقاقات البطاطا المقلية إلى أن تحرج نفسها أو تـصاب بالغثيان. لم تتقيأ منذ الطفولة، لكن حتى التقيؤ هو توكيد على الحياة.

حـين تصبح حرة، ستحتفل بالذهاب إلى بايبـي ستايل، ذلك المتجـر في المخـزن الكبير، وتشتري الدب المحشو الكبير الذي رأته في نافـذة العرض عندما مرّت أمامها في الآونة الأخيرة. إنه أبيض وزغب وظريف جداً.

حـتى كفتاة مراهقة، أحبت الدببة المحشوة. تحتاج الآن إلى واحد على كل حال.

حـين تصبح حرة، ستمارس الحب مع ميتش. وحين تشبع منه، سيشعر كأن قطاراً صدمه.

حسناً، ليست هذه صورة رومنسية جداً. ليست من النوع الذي يبيع ملايين النسخ من روايات نيكولاس سبارك.

مارسـت الحـب معه بكل جزء من كيانها، وجسمها وروحها، وعـندما انتهى شغفهما في النهاية، تطاير في كل أرجاء الغرفة كما لو أنه رمى نفسه من مقطورة.

تخيل نفسها كروائية تبيع القصص الأكثر مبيعاً هو مضيعة للجهد. لحسن الحظ، إن هدفها هو أن تكون وكيلة عقارات.

لـذا، دعت أن ينجو زوجها الجميل من هذا الرعب. إنه *بالفعل* جميل جسدياً، لكن أجمل شيء فيه هو قلبه الرقيق.

تحـبه هـولي لقلـبه الـرقيق، لحنانه، لكنها تخشى أن تؤدي بعـض جـوانب لطافته، مثل ميله إلى القبول الإيجابـي، لتعرضه للقتل.

يملـك أيـضاً قوة عميقة وهادئة، قوة فولاذية، تتكشف بطرائق رقيقة. لولا ذلك، لانكسر بسبب أهله المستبدين. لولا ذلك، لما كانت هولي أوصلته إلى مذبح دار العبادة.

إنها تدعو له لكي يبقى قوياً، لكي يبقى على قيد الحياة.

في أثـناء دعـواها، في أثناء تفكيرها في مظهر الخاطفين والأكل الـنهم والتقيؤ والدببة الكبيرة المحشوة، كانت تعمل بكدّ على المسمار المثـبت في الأرضية الخشبية. لطالما كانت ممتازة في إنجاز المهام المتعددة في الوقت نفسه.

الأرضـية الخشبية خشنة. تعتقد أن الألواح الخشبية سميكة كفاية بحيث استلزمت مسامير أكبر من مسامير الأرضية العادية.

المسمار الذي يهمها يملك رأساً مسطحاً كبيراً. حجم الرأس يوحي بأن هذا المسمار قد يكون كبيراً كفاية ليكون بمثابة مسمار كبير.

في المحنة، يمكن للمسمار الكبير أن يستخدم سلاحاً.

الرأس المسطح للمسمار غير منغرز تماماً في الخشب. إنه مرتفع مسافة ستة أعشار إنش تقريباً. هذه المساحة منحتها قوة قليلة، قبضة تتيح لها تحريك المسمار ذهاباً وإياباً.

صحيح أن المسمار ليس متخلخلاً، لكن المثابرة هي إحدى فضائلها. ستستمر في العمل على المسمار، *وستتخيله* متخلخلاً، لتقتلعه في النهاية من اللوح الخشبي.

تمنت لو أنها تملك أظفار أكريليك. تبدو جميلة. وحين تصبح وكيلة عقارات، ستحتاج حتماً إليها. أظفار الأكريليك الجيدة ربما كانت قد منحتها ميزة مع المسمار.

من جهة أخرى، قد تنكسر وتتشقق بسهولة أكبر من أظفارها الحقيقية. لو كانت تضعها، ربما تبين أنها سلبية جداً.

حين تم خطفها، تمنت لو أنها تملك أظفار أكريليك في يدها اليسرى ولا شيء أبداً في يدها اليمنى، وسنين فولاذيتين مع فجوة في الجهة الأمامية لفمها.

ثمة أغلال حول رسغيها مع سلسلة تربط ساقها اليمنى بحلقة في الأرض. يترك ذلك يديها طليقتين للعمل على المسمار غير المتخلخل بعد.

اتخذ الخاطفون بعض الترتيبات لراحتها. أعطوها فراشاً اسفنجياً لتنام عليه، وست قناني من الماء، ومبولة للسرير. أعطوها قبلاً نصف بيتزا.

ليس هذا للإيحاء أنهم أشخاص لطفاء. ليسوا أشخاصاً لطفاء البتة.

عندما أرادوها أن تصرخ لميتش، ضربوها. وعندما أرادوها أن تصرخ لأنسون، شدوا شعرها فجأة، وبقوة كبيرة بحيث ظنت أن فروة رأسها ستقتلع.

بالرغم من أن هؤلاء الأشخاص لا تلتقيهم أبداً في دار العبادة، ليسوا وحوشاً فقط لمجرد المتعة. إنهم أشرار، لكنهم يملكون هدفاً عملياً، إذا صح القول، بقوا مركزين عليه.

أحدهم شرير ومجنون؛ إنه الشخص الذي يقلقها.

لم يطلعوها على خطتهم، لكن هولي فهمت أنهم يسجنونها لاستخدام ميتش للضغط على أنسون.

لا تعرف لماذا أو كيف يظنون أن أنسون يستطيع دفع ثروة عن ميتش مقابل فديتها، لكنها لم تتاجأ أن يكون واقفاً وسط هذه المعمعة. لطالما شعرت أن أنسون ليس فقط ما يدعيه.

بين الحين والآخر، رأته وهو يحدق إليها بطريقة لا يجدر بالأخ المحب لزوجها أن يحدقها أبداً. وحين يدرك أنه تم كشفه، كانت الشهوة المفترسة في عينيه والجوع القوي في وجهه يختفيان تحت سحره الاعتيادي بطريقة فورية بحيث يسهل التصديق أنك تخيلت الشهوة لديه.

في بعض الأحيان، حين يضحك، تبدو ضحكته مصطنعة لها. تبدو أنها الوحيدة التي تدرك ذلك. كل الآخرين يجدون ضحكة أنسون معدية.

لم تخبر أحداً عن شكوكها بشأن أنسون. قبل أن تلتقي ميتش، لم يكن لديه إلا أخواته - اللواتي هربن إلى أماكن بعيدة - وأخوه، وحبه

للعمل في الأرض الخصبة، لجعل الأشياء الخضراء تنمو. لطالما كان أملها أن تغني حياته، لا أن تحذف أي شيء منها.

تستطيع وضع حياتها بين يديّ ميتش القويتين والغوص دفعة واحدة في نوم من دون أحلام. هذا هو الزواج، هذا ما يعنيه الزواج – الزواج الجيد – ثقة كاملة في القلب والعقل والحياة.

لكن بما أن قدرها مرتبط بأنسون أيضاً، قد لا تنام أبداً، وإذا نامت، ستكون هناك كوابيس.

حركت وحركت وحركت المسمار إلى أن آلمتها أصابعها. استخدمت من ثم إصبعين مختلفين.

فيما مرّت الدقائق الصامتة المظلمة، حاولت ألا تفكر كيف أن نهاراً بدأ بفرحة كبيرة يمكن أن يتحول إلى هذه الظروف المأساوية. بعدما ذهب ميتش إلى العمل وقبل أن يدخل الرجال المقنعون مطبخها، استخدمت الجهاز الذي اشترته في اليوم السابق وكانت متوترة جداً لاستعماله حتى هذا الصباح. مرّت تسعة أيام على موعد دورتها الشهرية، وحسب اختبار الحمل، ستنجب طفلاً.

طوال عام كامل، أملت وميتش ذلك. وها قد حصل الآن، في هذا اليوم من بين كل الأيام.

لا يدرك الخاطفون أن *حياتين* تحت رحمتهم، ولا يدرك ميتش أن زوجته ليست الوحيدة في خطر، وإنما يعتمد أيضاً طفله على براعته وشجاعته، لكن *هولي* تعرف. هذه المعرفة هي في الوقت نفسه فرحة وألم.

تتصور طفلاً عمره ثلاثة أعوام- أحياناً فتاة، أحياناً صبي- يلعب ويضحك في الفناء الخلفي لمنزلهما. تتصوره بحيوية أكبر مما تصورت أي شيء قبلاً، على أمل أن تنجح في تحقيق ذلك.

أخبرت نفسها أنها ستكون قوية، لن تبكي. لا تبكي بصوت عالٍ وإلا تكسر الصمت، لكن الدموع تنهمر أحياناً.

للتخفيف من ذلك الدفق الساخن، تعمل بقوة أكبر على المسمار، ذلك المسمار العنيد اللعين، في الظلمة الحالكة.

بعد فترة طويلة من الصمت، سمعت صوتاً مكتوماً مع نوعية معدنية مجوفة: *كا تشانك*.

حذرة، خائفة، انتظرت، لكن الصوت المكتوم لم يتكرر. لم يلحق به ضجيج آخر.

الصوت مألوف بطريقة مغرية. ضجيج عادي؛ لكن فطرتها أخبرتها أن قدرها معلق بصوت *كا تشانك*.

تستطيع تكرار الصوت في ذاكرتها، لكنها لم تستطع أولاً ربطه بسبب.

بعد لحظات، بدأت هولي تشك في أن الصوت كان خيالاً وليس حقيقة. بتحديد أكبر، أُصدر الصوت في رأسها، وليس من وراء جدران هذه الغرفة. إنه مفهوم غريب، لكنه استمر.

ثم عرفت المصدر، إنه شيء سمعته قبلاً ربما مئات المرات، وشعرت بالقشعريرة بالرغم من أنه لا توجد ارتباطات مشؤومة لها. *الكا تشانك* هو صوت صندوق سيارة تم إغلاقه.

مجرد إغلاق صندوق سيارة، سواء أتمّ تخيله أو سماعه حقيقة، لا يفترض أن يجعل عظامها ترتجف من الداخل. جلست منتصبة تماماً، ونسيت أمر المسمار للحظة، من دون أي تنفس على الإطلاق، ثم تنفست بخفة وهدوء.

القسم الثاني

هل تموت من أجل الحب؟
هل تقتل؟

29

في أواخر العقد الرابع، إذا اقتنيت سيارة مثل كرايزلر ويندسور، تعرف أن المحرك كبير لأنه يصدر صوتاً كبيراً. يخفق مثل قلب الثور، مع شخير وحشي منخفض وخبطات ثقيلة.

انتهت الحرب، ونجوت منها، وباتت مساحات كبيرة من أوروبا مدمرة، لكن الوطن بقي غير متأثر، وأردت الإحساس أنك حيّ. لا تريد حجرة محرك كتيمة للأصوات. لا تريد تكنولوجيا للسيطرة على الضجيج. تريد قوة، ووزناً متوازناً، وسرعة.

ارتجّ الصندوق المظلم للسيارة نتيجة خفقان المحرك، وانتقل الصوت الناجم عن تبديل علبة السرعة عبر الهيكل. ارتفع ضجيج الطريق وانخفض حسب وضع الدواليب المتحركة.

شمّ ميتش آثار رائحة خفيفة من غازات العوادم، ربما نتيجة تسرب في كاتم الصوت، لكنه لم يكن معرضاً لخطر الاختناق بأحادي أوكسيد الكربون. الرائحة الأقوى كانت رائحة المطاط من الحصيرة التي استلقى عليها وحموضة عرق خوفه.

بالرغم من أنها مظلمة مثل الغرفة في منزل أهله، أخفقت غرفة التعلم المتحركة هذه في فرض الحرمان الحسي. إلا أن أحد أبرز دروس حياته هو إيصاله إلى المنزل ميلاً وراء ميل.

يقول والده إن مبدأ الطاو غير موجود، وما من قانون طبيعي نولد لنفهمه. في نظره المادي، لا يجدر بنا إلزام أنفسنا بأي قانون، وإنما العمل فقط وفق المصلحة الذاتية.

يقول دانيال إن العقلانية موجودة دوماً في المصلحة الذاتية للرجل. لذا، فإن أي عمل عقلاني صحيح وجيد ومصدر إعجاب.

الشر غير موجود في فلسفة دانيال. السرقة، الاغتصاب، قتل الأبرياء؛ هذه الجرائم وجرائم أخرى *غير عقلانية* محض لأنها تضع حرية من يرتكبها في خطر.

يعرف دانيال أن درجة غير العقلانية ترتبط بفرص المجرم في الهروب من العقاب. لذا، فإن التصرفات غير العقلانية التي تنجح وتفضي فقط إلى نتائج إيجابية لمرتكبها قد تكون صحيحة ومصدر إعجاب، إن لم تكن جيدة للمجتمع.

السارقون، المغتصبون، المجرمون وأمثالهم قد يستفيدون من العلاج وإعادة التأهيل، وقد لا يستفيدون. يقول دانيال إنهم ليسوا أشراراً. إنهم غير عقلانيين يتعافون- أو لا يتعافون- ولا شيء أكثر.

ظن ميتش أن هذه التعاليم لم تتغلغل فيه، وأنه لم يتأثر بنيران تعليم دانيال رافيرتي. لكن النيران تبعث الدخان، وقد تنشق تعصب والده لوقت طويل جداً بحيث إن ما دخل إليه بقي فيه.

استطاع أن يرى، لكنه كان أعمى. استطاع أن يسمع، لكنه كان أصم.

هذا اليوم، هذه الليلة، وقف ميتش وجهاً لوجه مع الشر. إنه حقيقي مثل الصخر.

بالرغم من أن الرجل غير العقلاني يجب أن يقابل بالعطف والعلاج، لا يحق للرجل الشرير بأي شيء سوى المقاومة والعقاب، وغضب العدالة المحقة.

في مكتبة جوليان كامبل، عندما أخرج الرجل المسلح الأغلال، مدّ ميتش يديه فوراً. لم ينتظر التعليمات.

لو لم يكن يبدو منهكاً، وضعيفاً ومستسلماً لقدره، لربما كانوا كبلوا يديه وراء ظهره. ولكان التمدد إلى قراب الكاحل أكثر صعوبة؛ لا بل إن استعماله بدقة كان مستحيلاً.

علّق كامبل على إنهاك ميتش، وكان يقصد بذلك إنهاك القلب والعقل.

ظنوا أنهم يعرفون أي رجل يكون، وربما هذا صحيح. لكنهم لا يعرفون نوع الرجل الذي قد يصبحه عندما تكون حياة زوجته على المحك.

مستمتعاً بافتقاده إلى الألفة مع المسدس الذي صادروه، لم يتخيلوا أنه يملك سلاحاً ثانياً. لا تخيب آمال الرجال الجيدين فقط.

رفع ميتش ساق سروال الجينز وسحب المسدس. فك القراب وتخلص منه.

في وقت سابق، تأمل السلاح ولم يعثر على صمام أمان. في الأفلام السينمائية، تملك بعض المسدسات فقط صمامات أمان.

إذا عاش في اليومين التاليين وأعاد هولي حية ترزق، لن يسمح لنفسه أبداً مجدداً بأن يصبح في وضع يجبره على الاتكال على مفهوم تينسلتاون للحقيقة لنجاته أو نجاة عائلته.

عندما فتح أسطوانة المسدس للمرة الأولى، اكتشف خمس رصاصات في خمس فجوات، فيما توقع ستاً.

عليه إطلاق طلقتين من خمس طلقات. إصابتان مباشرتان، وغير عشوائيتين.

ربما قد يفتح أحد الرجلين المسلحين الصندوق. وسيكون أفضل لو تواجد الاثنان معاً، ما يعطيه ميزة مفاجأتهما معاً.

www.rewity.com dodyadodo

سـيكون كلاهما متأهبين لناحية السلاح؛ أو ربما واحد فقط. إذا كان واحداً، يجدر بميتش أن يكون سريعاً كفاية لتوجيه النار على عدوه المسلح أولاً.

رجل مسالم، يخطط للعنف، بات محاصراً بأفكار غير مفيدة: حين *كـان مراهقًا، مصابًا بلعنة حَبّ الشباب الذي ترك وجهه مثل سطح القمر، لا بد أن الرجل المندّب عانى الكثير من الذل.*

التعاطف مع الشر هو نوع من المازوشية في أفضل الأحوال، وتمنٍّ للموت في أسوأ الأحوال.

للحظـات، متمايلاً مع انعطافات الطريق، والمطاط، والاحتراق الداخلـي، حاول ميتش تخيل كل الوسائل التي يمكن أن يتضاءل فيها العنف عند فتح صندوق السيارة. ثم حاول ألا يتخيل.

حسب ساعته المضيئة، مضى على رحلتهم أكثر من نصف ساعة، ثم أبطـأت السيارة وبدلت طريقها من الإسفلت إلى طريق غير معبّد. طقطقـت الحجـارة الصغيرة تحت الدواليب، وارتطمت بقوة بأرضية السيارة.

شـمّ رائحـة الغبار وتذوق طعم الألكالين فيه عبر شفتيه، لكن الهواء لم يصبح أبداً متسخاً كفاية لخنقه.

بعـد اثنتي عشرة دقيقة من السرعة الخفيفة، على الطريق الوعر، أبطأت السيارة وتوقفت. بقي المحرك قيد العمل لنصف دقيقة، ثم أوقف السائق عمله.

بعد خمس وأربعين دقيقة من الطقطقة والضجيج، أصبح الصمت مثل الصمّ المفاجئ.

فُتح أول باب، ومن ثم الثاني.

إنهما آتيان.

كـان وجهه نحو الجهة الخلفية للسيارة، فمدد ميتش ساقيه، وجعل قدمـيه في زاويتين مختلفتين من المساحة. لا يستطيع الجلوس منتصباً إلى أن يـرتفع غطـاء الصندوق، لكنه انتظر فيما ظهره مرفوع جزئياً عن أرضية الصندوق، كما لو أنه في خضم ممارسة تمارين المعدة في النادي الرياضي.

أجـبرته الأغلال فقط على إمساك المسدس بقبضتين، وربما هذا أفضل على كل حال.

لم يـسمع وقـع أقدام، وإنما فقط خفقان قلبه، لكنه سمع بعدها صوت المفتاح في قفل الصندوق.

مرّت في عقله صورة جايسون أوستين وهو يتعرض لطلقة مميتة في الـرأس، وتكـررت الصورة مثل فيلم بحيث تعرض جايسون للطلقة النارية، وانفجرت جمجمته.

فـيما ارتفع غطاء الصندوق، أدرك ميتش أن الصندوق لا يحتوي على ضوء، وبدأ يجلس ممدداً مسدسه إلى الأمام.

ألقى القمر الساطع بضوئه على الرجلين المسلحين.

تكيفت عينا ميتش مع الظلمة المطلقة، فيما لم يحصل الشيء نفسه مـع عيونهما. جلس في الظلمة، ووقفا تحت ضوء القمر. ظنا أنه رجل ضعيف ومكسور وعاجز، لكنه ليس كذلك.

لم يـضغط عمـداً على الزناد لإخراج الطلقة الأولى، وإنما شعر بالـزناد القاسـي وسمع صوت الطلقة، ثم أدرك أنه يضغط على الزناد للمرة الثانية.

أصابت رصاصتان رجلاً واحداً وأوقعته أرضاً في ليلة مشعة بضوء القمر.

تـراجع الرجل الثاني إلى الخلف بعيداً عن السيارة، وجلس ميتش وضغط مرة، مرتين، ثلاث مرات على الزناد.

طقطق الزناد، ولم يبقَ سوى القمر الهادئ، وطقطق الزناد، وذكّر نفسه *خمس فقط! خمس فقط!*

عليه الخروج من الصندوق. من دون ذخيرة، كان مثل السمكة في برميل. إلى الخارج. خارج الصندوق.

30

نهض ميتش بسرعة كبيرة فضرب رأسه بغطاء الصندوق، وكاد أن يسقط، لكنه حافظ على وضعيته إلى الأمام، فخرج بسرعة منه.

نزلت قدمه اليسرى على أرض صلبة، لكن قدمه اليمنى نزلت على الرجل المصاب بطلقتين. تعثر، وداس على الجثة مجدداً، فتحركت تحته، ووقع.

تدحرج بعيداً عن الجثة، ووصل إلى حافة الطريق. أوقفته شجيرة من نبات المسكيت الشائك، تعرف إليها من رائحتها.

أضاع المسدس. لا يهم. لا توجد ذخيرة.

امتد حوله منظر طبيعي مضاء بضوء القمر: طريق وعر ضيق، أشجار صحراوية، تربة عارية، وصخور كبيرة.

لمعت سيارة الكرايزلر ويندسور بتفاصيلها المصنوعة من الكروم تحت ضوء القمر، وبدت مستقبلية في هذه الأرض البدائية، مثل سفينة مخصصة لإبحار النجوم. أطفأ السائق المصباحين الأمامين عندما أوقف عمل المحرك.

الرجل المسلح الذي داس عليه ميتش مرتين، أثناء الخروج من صندوق السيارة، لم يصرخ. لم يتمسك بميتش. إنه ميت على الأرجح.

ربما قتل الرجل الثاني أيضاً. عندما خرج ميتش من الصندوق، أضاع أثره.

إذا كانت إحدى الطلقات الثلاث الأخيرة قد وجدت هدفها، يفترض أن يتحول الرجل الثاني إلى وليمة للطيور الكاسرة على الطريق الوعر وراء السيارة.

التربة الرملية في الطريق غنية بالسيليكا. الزجاج يصنع من السيليكا، والمرايا من الزجاج. لذا، وفر الطريق انعكاساً أكبر من أي سطح آخر في الليل.

استلقى ميتش على بطنه ووجهه إلى الأسفل، ورفع رأسه بحذر، واستطاع رؤية مسافة بعيدة بمحاذاة الشريط الشاحب، فيما تضاءل عبر الشجيرات المتشابكة في الاتجاه الذي أتوا منه. ما من جثة أخرى على الطريق.

إذا لم يكن الرجل الثاني مجروحاً، لا شك في أنه لقّم مسدسه، فيما خرج ميتش من صندوق الكرايزلر.

إذا كان مصاباً، لا بد أنه زحف إلى الشجيرة أو اختبأ وراء صخرة. يمكن أن يكون موجوداً في أي مكان، يتفحص جرحه، يراجع خياراته.

سيكون الرجل المسلح غاضباً وإنما غير خائف. لقد عاش مثل هذه التجارب. إنه مريض اجتماعي. لا يخاف بسهولة.

لا شك في أن ميتش خائف من الرجل المختبئ في الليل. خاف أيضاً من ذلك المستلقي على الطريق وراء سيارة الكرايزلر.

الرجل قرب السيارة قد يكون ميتاً، لكن حتى لو كان ميتاً، خاف منه ميتش على كل حال. لا يريد الاقتراب منه.

عليه أن يفعل ما لا يريد فعله، لأنه سواء أكان ذلك الحقير جثة أو فاقد الوعي، فإنه يملك سلاحاً. احتاج ميتش إلى سلاح. وبسرعة.

اكتـــشف أنه قادر على العنف، على الأقل في الدفاع عن النفس، لكـــنه لم يكـــن مستعداً للسرعة التي جرت فيها الأحداث بعد الطلقة الأولى، للسرعة التي يجب اتخاذ القرارات فيها، للفورية التي قد تنشأ فيها تحديات جديدة.

في الجهة البعيدة من الطريق، ثمة مجموعة من النباتات وفرت مخبأ، مثلما فعلت بعض من الصخور.

لو أن النسيم الخفيف الذي كان نشطاً قرب الشاطئ شق طريقه ووصل إلى هذا المكان، لابتلعته الصحراء حتى آخر رمق. أي حركة في الفرشاة لا تكشف يد الطبيعة وإنما عدوه.

كل شيء ساكن جداً حسبما لاحظ من محيطه.

أدرك ميـــتش تمامـــاً أن حـــركته تشير إلى مكانه، وكان مكبلاً بالأغلال، فزحف على بطنه وصولاً إلى الرجل وراء السيارة.

تـــرك قمـــر المـــوت شكل قطعتيّ نقود معدنيتين في عينيّ الرجل المفتوحتين وغير الوامضتين.

قـــرب الجـــثة، ثمة شكل مألوف من الفولاذ لمع تحت الضوء. أمسكه ميتش بامتنان، وكاد يهرب بعيداً، لكنه أدرك أنه وجد المسدس غير المجدي.

جفـــل بـــسبب صوت السلسلة بين الأغلال، فربّت على الجثة، وضـــغط بأصـــابعه على رطوبة. شعر بالقرف، وارتجف، ومسح يده بثياب الرجل الميت.

فـــيما كان على وشك الاستنتاج أن هذا الرجل خرج من سيارة الكرايزلر من دون سلاح، اكتشف مقبض المسدس ناتئاً من تحت الجثة. سحب المسدس من تحتها.

خـــرجت طلقة نارية، فانتفض الرجل الميت. لقد تلقى الرصاصة التي كانت مخصصة لميتش.

هـــرب نحـــو ســـيارة الكرايزلر وسمع طلقة ثانية وسمع الطنين الهامس للمـــوت المارّ وسمع رصاصة تدخل في السيارة. سمع أيضاً همساً قريباً، بالرغم من أنه ربما تخيل طلقتين قريبتين و لم يسمع في الواقع أي شيء بعد الرصاصة.

شـــعر بأمـــان أكبر لوجود السيارة بينه وبين القناص، لكنه شعر بعدها فجأة أنه ليس في أمان إطلاقاً.

يمكـــن أن يـــأتي الرجل المسلح من أمام سيارة الكرايزلر أو من خلفها. يملك ميزة اختيار طريقه واستهلال الفعل.

في غـــضون ذلـــك، سيبقى ميتش مجبراً على البقاء يقظاً في كلا الاتجاهين. مهمة مستحيلة.

ربما بدأ الرجل الآخر التحرك.

نهـــض ميتش عن الأرض، وابتعد عن السيارة. جلس القرفصاء، تحـــت الطـــريق، عـــبر السياج الطبيعي للنبات الشائك، الذي طقطق وهسهس كما لو أنه ينذره بضرورة البقاء هادئا.

انحـــدرت الأرض من تحت الطريق، وهذا جيد. لو ارتفعت إلى الأعلى، لأصبح مرئياً، ولكان ظهره العريض هدفاً سهلاً، لحظة وصول الرجل المسلح إلى سيارة الكرايزلر.

اختبأ على مساحة من تربة جامدة وإنما رملية، بدلاً من الحصى أو الحجـــارة الطلـــيقة، ولذلك لم يصدر صوتاً عندما هرب. أضاء القمر طـــريقه، فيما التوى بين الشجيرات بدلاً من المشي عبرها، متذكراً أن الإبقاء على توازنه أصعب مع يديه مكبلتين أمامه.

في أسفل المنحدر البالغ طوله ثلاثين قدماً، استدار إلى اليمين. رأى أنه يجدر به التوجه إلى الغرب.

ثمـــة صوت مثل صوت الزيز. ثمة شيء أكثر غرابة طقطق على نحو حاد.

لفتت انتباهه مجموعة من الكتل العشبية مع عناقيد ريشية طويلة. تـــلألأت باللـــون الأبـــيض تحت ضوء القمر، وذكّرته بذيول الخيول الفخورة.

وراء كتل العشب الدائرية، امتدت أشرطة ضيقة جداً من العشب طـــولها ثلاث إلى خمس أقدام. وصل ارتفاعها حتى خصر ميتش. حين تكـــون جافـــة، يمكن لهذه الأشرطة أن تخدش، وتخز مثل الإبر، لا بل تجرح.

احترمت كل كتلة عشبية محيط مساحة الكتلة الأخرى. استطاع المرور بينها.

في قلـــب المجموعة العشبية، شعر أنه محمي بأمان بالعناقيد الريشية البيـــضاء التي ارتفعت أعلى من رأسه. بقي على قدميه، وعبر الفجوات بين الريش، نظر إلى الخلف إلى الطريق الذي جاء منه.

لم يكشف الضوء الخفيف عن أي مطارد له.

بدّل ميتش موقعه، ودفع برفق عنقوداً، ثم عنقوداً آخر، مستطلعاً حافة الطريق في أعلى المنحدر. لم يرَ أحداً هناك.

لا يـــنوي الاختـــباء بين الأعشاب لوقت طويل. لقد هرب من موقعه الضعيف عند السيارة لاكتساب دقيقتين فقط للتفكير.

لا يخـــشى أن يهـــرب الرجل المسلح الباقي في سيارة الكرايزلر. جولـــيان كامبل ليس من النوع الذي تستطيع إبلاغه بالإخفاق وأنت واثق من أنك ستحتفظ بوظيفتك أو رأسك.

بالإضـــافة إلى ذلك، بالنسبة إلى الرجل الآخر في المطاردة، هذه مجـــرد رياضة، وميتش هو اللعبة الأكثر خطورة على الإطلاق. المطارِد يدفعـــه الثأر، والكبرياء، وحب العنف الذي أوصله إلى هذا النوع من العمل في المقام الأول.

لو استطاع الاختباء حتى الفجر أو الهروب، لفعل ميتش ذلك. لا يتحرق شوقاً للمواجهة مع هذا القاتل الثاني المحترف، لكنه يعرف جيداً أيضاً عواقب تفادي كل ذلك.

إذا عـــاش الرجل المسلح وأبلغ كامبل بما حصل، سيعرف أنسون عاجلاً وليس آجلاً أن *أخاه العزيز*، أخاه الصغير، حرّ وعلى قيد الحياة. سيخسر ميتش سهولة التحرك وميزة المفاجأة.

على الأرجح، لا يتوقع كامبل تقريراً من رجليه قبل الصباح. لن يسأل ربما عنهما قبل بعد ظهر اليوم التالي.

في الواقع، قد يفتقد كامبل إلى سيارة الكرايزلر قبل أن يفتقد إلى الرجلين. يرتبط ذلك بالقيمة التي يضعها لكل منهما.

يحـــتاج ميـــتش إلى أن يفاجئ أنسون، ويحتاج إلى أن يكون في منـــزل أخيه عند الظهر لتلقي اتصال الخاطفين. باتت هولي في مستوى خطر أكثر من أي وقت مضى.

لا يـــستطيع الاختـــباء، ولـــن يختبئ عدوه. بالنسبة إلى المفترس والطريدة- أياً كان كل منهما- ستكون هذه المعركة حتى الموت.

31

محاطـــاً بالـــريش الأبيض الذي يوحي بحاشية واقية من الفرسان الواضـــعين للخوذ، تذكر ميتش وسط الكتل العشبية صوت الطلقتين الناريـــتين اللـــتين كادتا أن ترديا فيما سحب المسدس من تحت جثة الرجل المسلح.

إذا كان سلاح عدوه مجهزاً بكاتم للصوت، مثلما كان في المكتبة، لن يكون الدوي عالياً جداً. ولربما لن يسمع صوت الرصاص.

في هذا المكان المهجور، لا يكترث الرجل المسلح للفت انتباه غير مـــرغوب، لكنه لم ينـــزع كاتم الصوت لمجرد الإحساس بالرضى عند سماع دوي عالٍ. لا بد أنه يملك سبباً آخر.

كـــواتم الصوت غير قانونية بمعظمها. إنها تسهل الجريمة الصامتة. إنهـــا مخصصة للاستعمال في الأماكن المغلقة؛ كما في قصر حيث يكون الموظفون غير موثوق فيهم.

اســـتنتج ميـــتش ســـريعاً بالمنطق أن كاتم الصوت مفيد *فقط* في الأوضاع السرية *لأنها تقلل من دقة السلاح*.

حين تكون واقفاً أمام عدوك في مكتبة أو حين تجبره على الركوع أمامـــك في طريق صحراوي مقفر، يمكن للمسدس الكاتم للصوت أن يخـــدمك جـــيداً. لكن على مسافة عشرين قدماً، أو ربما ثلاثين، ربما يخفف كاتم الصوت الدقة لدرجة لا تصبح فيها واثقاً من إصابة هدفك برمي المسدس عليه أو إطلاق النار منه.

طقطقت حجارة صغيرة مثل مكعبات الثلج.

صدر هذا الصوت على ما يبدو من الجهة الغربية. استدار في ذلك الاتجاه. غادر المجموعات العشبية بحذر.

على مسافة خمسين قدماً، جلس الرجل المسلح القرفصاء مثل قزم محدب. كان ينتظر عواقب الصوت الذي أصدره.

حـــتى لـــو بقـــي جامداً، لا يمكن ظن الرجل خطأ أنه صخرة أو زهـــرة صـــحراوية، لأنه لفت الانتباه إلى نفسه عبر عبور مساحة طـــويلة جرداء. لم تكن تلك المساحة عاكسة فقط للضوء وإنما أيضاً مضاءة.

لـــو لم يتوقف ميتش هنا، لو تابع غرباً، لصادف القاتل في مكان مكشوف، أو لالتقاه ربما وجهاً لوجه كما في الأفلام الغربية.

فكـــر في الاســـتلقاء أثناء الانتظار، لجعل عدوه يقترب منه قبل إطلاق النار.

ثم أوحـــت لـــه غريزة البقاء أن مجموعة الكتل العشبية والأشياء المماثلة في المنظر الطبيعي هي بالضبط الأماكن التي تهم الرجل المسلح. توقع أن يختبئ ميتش فيها، وسينظر إلى المجموعات العشبية بحذر.

تردد ميتش، لأن الأفضلية لا تزال تبدو لصالحه. يستطيع إطلاق الـــنار من مكانه، فيما الآخر واقف في العراء. إلا أنه لم يطلق النار بعد من هذا المسدس، فيما أطلق عدوه النار مرتين.

ذخـــيرة احتياطية. بما أن الأذى هو مهنة الرجل المسلح، فإنه ربما يحمل ذخيرة إضافية، أو ربما اثنتين.

ســـيقترب مـــن مجموعة الكتل العشبية بحذر. لن يجعل من نفسه هدفاً سهلاً.

عندما يطلق ميتش النار ولا يصيب الهدف بسبب المسافة البعيدة، والـــزاوية، والـــضوء المشوه، وقلة الخبرة، سيعيد الرجل المسلح إطلاق النار. بقوة.

توفر الكتل العشبية غطاء بصرياً، ولكن ليس الحماية. لا يمكن النجاة من جولة من ثماني رصاصات تليها جولة أخرى من عشر رصاصات.

فيما لا يزال جالساً القرفصاء، تقدم الرجل خطوتين إلى الأمام، ثم توقف مجدداً.

خطـــرت فكرة لميتش، فكرة جريئة بحيث فكر للحظات في أنها متهورة ثم قرر أنها أفضل فرصة لديه.

تـــرك عناقـــيد الأعشاب تتخذ أمكنتها الطبيعية. انـــزلق خارج مجمـــوعة الكتل مقابل النقطة التي اقترب منها الرجل المسلح، على أمل إبقاء المسافة بينهما طويلة قدر الإمكان.

علـــى صوت حشرات الزيز والقرقعة المزعجة للحشرة الموسيقية المجهولة، أسرع ميتش شرقاً، على طول الطريق الذي سلكه قبلاً. تجاوز النقطة التي نـــزل منها. ذلك الارتفاع غير المحجوب سيتركه مكشوفاً جـــداً إذا أخفق في الوصول إلى الأعلى قبل أن يجول الرجل المسلح في مجموعات الكتل العشبية.

بعد ستين قدماً تقريباً، وصل إلى منخفض عريض وقليل العمق في المـــنحدر موحد الشكل. نمت أجمات في هذا المنخفض وتوزعت على حوافه.

تـــوجب علـــى ميـــتش استعمال يديه المقيدتين للتسلق، فأقحم المـــسدس تحـــت حزامه. في وقت سابق، أظهر له ضوء القمر الطريق، لكن ظلال القمر باتت الآن معتمة ومخيبة. بقي مدركاً دوماً أن الهدوء مهم بقدر التقدم السريع، تسلل إلى الأعلى عبر الأجمة.

أطلـــق رائحة مسك ربما تعزى إلى مصدر نباتي لكنها أوحت أنه يدوس في موطن حيوان أو آخر. آلمته الأجمة ووخزته وجرحته.

فكّر في الأفاعي، ثم رفض التفكير فيها.

عندما وصل إلى الأعلى من دون التعرض لإطلاق النار، خرج من الأجمـــة وبات على قارعة الطريق. زحف إلى وسط الأرض الوعرة قبل الوقوف.

إذا حاول الدوران حول المكان الذي يظن أن الرجل المسلح توجه إلـــيه، ســـيجد أن الرجل المسلح استبق شيئاً في غضون ذلك، وغيّر مساره على أمل مفاجأة عدوه حتى لو كان عدوه يخطط لمفاجأته. إذا اســـتمرا في الهروب والاختباء، سيبددان الكثير من الوقت النفيس وهما يـــتجولان في الـــبرية، ليجدا بين الحين والآخر آثار بعضهما، إلى أن يرتكب أحدهما خطأ.

إذا كانت هذه هي اللعبة، سيكون الخطأ المميت خطأ ميتش، لأنه اللاعـــب الأقل خبرة. ومثلما تبين لغاية الآن، يكمن أمله في عدم تلبية توقعات عدوه.

بمـــا أن ميتش فاجأهما بالمسدس، سيتوقع الرجل المسلح أنه يملك فطـــرة وحشية للبقاء على قيد الحياة كما هي حال أي حيوان محاصر. لقد أثبت في النهاية أنه لم يتعرض للشلل نتيجة الخوف والشفقة الذاتية والامتعاض الذاتي.

لكن الرجل المسلح قد لا يتوقع أن يعود الحيوان المحاصر، بعد أن أصبح حراً، بطوعه إلى الزاوية التي هرب منها حديثاً.

وقفـــت سيارة الكرايزلر القديمة على مسافة ستين قدماً إلى غربه، ولا يزال الصندوق نصف مفتوح.

أســـرع ميـــتش إلى الـــسيارة، ووقـــف قرب الجثة. استلقى الـــرجل المـــسلح الملـــيء بالـــندوب جثة هامدة، مع عينين مليئتين بتعجب.

إنهمـــا عينا نجمتين منهارتين، فتحتان سوداوان، تفرضان جاذبية كـــبيرة بحيث افترض ميتش أنهما ستجذبانه إلى الدمار إذا حدق إليهما لوقت طويل جداً.

في الواقـــع، لم يشعر بالذنب. بالرغم من والده، أدرك أنه يثق في المعـــنى وفي القانون الطبيعي، لكن القتل للدفاع عن النفس ليس خطيئة بأي شريعة.

إلا أنهـــا ليـــست أيضاً مناسبة للاحتفال. شعر أنه تم سلب شيء نفيس منه. يمكن القول إنه البراءة، لكن هذا جزء فقط مما خسره. فمع البراءة ذهبت القدرة على نوع معين من الرقة، من الفرح الحلو الذي لا يوصف والذي تم انتظاره طوال الحياة.

نظـــر ميتش إلى الخلف، وتأمل الأرض بحثاً عن آثار الأقدام التي ربما تركها. تحت ضوء الشمس، قد يخونه الغبار المرصوص. لكنه لم يرَ أي آثار في الوقت الحاضر.

تحت نظرة القمر المسمّرة، بدت الصحراء نائمة وحالمة، غارقة في لـــوحة فـــضية وســـوداء من الأحلام، بحيث كان كل ظل قاسياً مثل الحديد، وكل شيء غير مادي مثل الدخان.

عـــندما نظـــر إلى صندوق السيارة، حيث مال القمر إلى استراق النظـــر، أوحت الظلمة بالفم المفتوح لكائن من دون شفقة. لم يستطع رؤيـــة الأرضية، كما لو أنها حجرة عجيبة توفر مخزناً لمقدار لامتناهٍ من الأمتعة.

سحب المسدس من تحت حزامه.

رفع الغطاء أكثر، وصعد إلى الصندوق، ولم يغلق الغطاء تماماً بل تركه نصف مفتوح.

بعد القليل من التجربة، تصور أن كاتم الصوت مربوط بأسطوانة المسدس. فكه ووضعه جانباً.

عـــاجلاً وليس آجلاً، عندما يخفق الرجل المسلح في العثور على ميتش مختبئاً بين المجموعات العشبية أو في الأجمة، أو في صخرة منحوتة بفعل الطقس، سيعود لمراقبة سيارة الكرايزلر. سيتوقع أن تعود فريسته إلى السيارة على أمل أن تكون المفاتيح داخلها.

لن يستطيع هذا القاتل المحترف الفهم أن الزوج الصالح لا يمكن أن يتخلى عن وعوده، عن زوجته، عن أفضل أمل له بالحب في عالم يقدم القليل منه.

إذا أنـــشأ الـــرجل المسلح نقطة مراقبة وراء السيارة، عليه اجتياز الطريق تحت ضوء القمر. سيكون حذراً وسريعاً، لكنه هدف واضح.

ثمة احتمال أن يراقب الجهة الأمامية للسيارة. لكن إذا مرّ الوقت ولم يحصل أي شيء، قد يستكشف المنطقة مرة جديدة، وعند العودة، يصادف ميتش.

مـــرّت سبع أو ثماني دقائق فقط على قيام الثنائي بفتح الصندوق لتلقي تحية من النيران. سيكون الرجل الناجي صبوراً. لكن في النهاية، إذا لم تثمر مراقبته وبحثه، سيفكر في توضيب أغراضه والرحيل من هنا، بصرف النظر عن مقدار خوفه من سيده.

في ذلك الوقت، إن لم يكن قبلاً، سيأتي إلى الجهة الخلفية للسيارة للاهتمام بالجثة. يريد أن يضعها حتماً في الصندوق.

بات ميتش الآن نصف جالس ونصف مستلقٍ، غارقاً في الظلمة، ورأسه مرتفع كفاية فقط لرؤية عتبة الصندوق.

لقد قتل رجلاً.

ينوي قتل آخر.

شـــعر أن المسدس ثقيل في يده. لامس محيط أصابعه المرتجفة، بحثاً عن استقرار، لكنه لم يجده.

فـــيما حـــدّق إلى الطريق الموحش المضاء بنور القمر والمحاط بالـــصحراء المقفـــرة، فهـــم أن ما خسره – البراءة، وذلك التوقع الطفولي بفرح عظيم لا يوصف– بات يستبدل تدريجياً بشيء آخر، ولـــيس بشيء سيئ. الفجوة التي فيه بدأت تنسدّ، بشيء لا يعرفه بعد.

مـــن صندوق السيارة، يرى شيئاً محدوداً من العالم، لكن في هذا القسم رأى هذه الليلة أكثر بكثير مما استطاع رؤيته قبلاً.

ابـــتعد الطريق الفضي عنه وإنما اقترب أيضاً، فمنحه خيار أفقين متناقضين.

احـــتوت بعـــض أشكال الحصى على رقاقات من الميكا تلألأت تحـــت ضوء القمر، وحيث ارتفعت الصخور في السماء، بدت النجوم وكأنها تلقي بنفسها على الأرض.

بعيداً عن الشمال، لجهة الجنوب، ثمة بومة كبيرة، شاحبة وعملاقة في الـــوقت نفـــسه، انخفضت بصمت عبر الطريق، ثم حلقت عالياً في الليل، عالياً وبعيداً.

أحـــسّ ميـــتش أن مـــا اكتـــسبه مما أضاعه، ما أغلق بسرعة الفجوة داخله، هو القدرة على الرعب، إحساس أعمق بغموض كل الأشياء.

ثم ابـــتعد عن شفير الرعب، إلى الذعر والتصميم الموحش، عندما عاد الرجل المسلح مع نية لم يتوقعها أبداً.

32

عـــاد الـــرجل المسلح بهدوء تام بحيث لم يدرك ميتش وجوده إلا حين سمع أحد الأبواب يفتح ويعطي صوتاً خفيفاً جداً.

جاء الرجل من الجهة الأمامية للسيارة. خاف التعرض للانكشاف بفعـــل الأضواء الداخلية للسيارة، فدخل السيارة، وأغلق الباب بأكبر هدوء ممكن.

إذا جلس وراء المقود، لا بد أنه ينوي مغادرة المكان.

لا. لـــن يبـــتعد وصـــندوق الـــسيارة مفتوح. ولن يترك الجثة طبعاً.

انتظر ميتش بصمت.

كان الرجل المسلح صامتاً أيضاً.

ببطء، أصبح الصمت نوعاً من الضغط أحس به ميتش في بشرته، في أذنـــيه، في عينـــيه المسمرتين، كما لو أن السيارة تنـــزل إلى هاوية رطبة، إلى ثقل متزايد من محيط عميق.

لا بـــد أن الرجل المسلح جالس في الظلمة، يراقب الليل، ينتظر معرفة ما إذا كان ضوء السيارة قد لفت الانتباه، ما إذا رآه أحد. إذا لم توحِ عودته بأي رد فعل، ماذا سيفعل بعدها؟

بقيت الصحراء منقطعة النفس.

في هذه الظروف، تبدو السيارة حساسة للحركة مثل المركب في الماء. إذا تحرك ميتش، سيعرف القاتل بوجوده.

مرّت دقيقة. ومن ثم أخرى.

تـــصوّر ميـــتش الرجل المسلح صاحب الوجه الناعم جالساً هناك في السيارة، في الظلمة، وعمره ثلاثون عاماً على الأقل، أو ربما خمسة وثلاثون، لكنه يملك وجهاً ناعماً بامتياز، كما لو أن الحياة لم تؤثر فيه ولن تؤثر أبداً.

حـــاول تخيل ما يفعله الرجل صاحب الوجه الناعم، ما يخطط له. لم يستطع خيال ميتش النفاذ إلى العقل وراء القناع. قد يعرف بسهولة أكبر رأي عظاءة الصحراء في المطر أو العشب السام.

بعـــد سكون طويل، بدّل الرجل المسلح مواقعه، وبدت الحركة كاشفة. الحميمية الموترة للصوت أشارت إلى أن الرجل ليس وراء مقود الكرايزلر. إنه في المقعد الخلفي.

لا بد أنه كان جالساً يراقب، منذ أن دخل السيارة. وعندما انحنى أخيراً إلى الوراء، أصدرت المفروشات صوتاً مثلما يفعل الجلد أو الفينيل عند تعرضه للضغط، وتذمرت نوابض المقعد بهدوء.

شـــكّل المقعد الخلفي للسيارة الجدار الخلفي للصندوق. كان هو وميتش على مسافة قدمين من بعضهما.

كانـــا قريبين من بعضهما مثلما كانا تقريباً في الرحلة من المكتبة إلى ردهة السيارات.

فكر ميتش في تلك الرحلة وهو مستلقٍ في الصندوق.

أصـــدر الرجل المسلح صوتاً خفيفاً، عبارة عن سعال خفيف أو أنين مخنوق بفعل جدار المفروشات.

قد يكون مجروحاً في النهاية. لكن حالته غير خطرة كفاية لإقناعه بالتوضيب والمغادرة، بالرغم من أنه يتألم كفاية ربما لعدم التجول كثيراً.

بدا جلياً أنه استقر في السيارة لأنه أمل في النهاية، وبدافع اليأس، أن تعـــود طريدته إليها. تصور أن يكون ميتش حذراً في طريقته، يتأمل ملـــياً المـــساحة المحـــيطة به مباشرة، لكنه لم يتوقع أن يكون الموت في انتظاره في ظلال المقعد الخلفي.

في غـــرفة التعلم المتحولة هذه، فكر ميتش في الرحلة بين المكتبة وردهة السيارات: كان القمر مثل السوسن الطافي في البركة، فيما رأس المـــسدس مصوّب إلى جانبه، مع أصوات الضفادع، وحفيف أغصان الأشجار الفضية، *والمسدس مصوب إلى جانبه...*

ســـيارة بهذا القدم لا تحتوي على جدار نار أو لوح اصطدام بين الـــصندوق وحجـــرة الركاب. لا بد أن الجهة الخلفية للمقعد الخلفي للسيارة مزودة بلوح من الليف سماكته ربع إنش أو حتى بمجرد قماشة.

قـــد يحـــتوي ظهر المقعد الخلفي على ستة إنشات من الحشوة. ستتلقى الرصاصة بعض المقاومة.

الحاجز غير مضاد للرصاص. ما من أحد مصفح بمجرد وسادة أريكة يتوقع أن يخرج غير مخدوش من عشر طلقات نارية شديدة السرعة.

في الوقت الحاضر، كان ميتش نصف مستلقٍ ونصف جالس على جانبه الأيسر، يواجه الليل عبر غطاء الصندوق المفتوح.

عليه الاستدارة إلى جانبه الأيمن لكي يجعل المسدس صوب الجدار الخلفي للصندوق.

وزنـــه مئة وسبعون باوناً. لا حاجة إلى شهادة في الفيزياء لمعرفة أن السيارة ستستجيب لتبدل موقع مثل هذا الوزن.

يمكـــنه الاستدارة بسرعة وفتح النار، ولكنه قد يكتشف ربما أنه كـــان مخطئاً في التمييز بين الصندوق وحجرة الركاب. إذا كان هناك لوح معدني، لن ترتد الرصاصة فقط عليه، وإنما سيخطئ أيضاً هدفه.

ســـيصبح حـــينها مجروحاً وخالياً من الذخيرة، وسيعرف الرجل المسلح أين يعثر عليه.

انـــزلق سيل من العرق من جانب أنفه إلى زاوية فمه.

الليلة دافئة، ولكنها ليست حارة.

أحس بحاجة ملحة إلى التصرف بحيث باتت أعصابه متوترة.

33

فيما استلقى ميتش حائراً، سمع في ذاكرته صراخ هولي، والصفعة القوية التي تعرضت لها.

إلا أن صـــوتاً حقيقياً أعاد انتباهه إلى الحاضر: عدوه، في حجرة الركاب، سعل مرات عدة متتالية.

كان الصوت مخنوقاً بفاعلية بحيث لا يمكن سماعه خارج السيارة. وكما في السابق، استمر السعال بضع ثوان.

قـــد يكـــون ســـعال الرجل المسلح مرتبطاً بالجرح. أو أن لديه حساسية لغبار الصحراء.

عندما يسعل الرجل مجدداً، سينتهز ميتش الفرصة لتبديل وضعيته.

www.rewity.com dodyadodo

وراء الصندوق المفتوح، بدت الصحراء تعتم، وتشرق، وتعتم بطريقة إيقاعية، لكن الحقيقة هي أن حدّة نظره تبدلت مع كل خفقة من خفقات قلبه النابض بقوة.

إلا أن رؤية مفاجئة للثلج استندت على واقع. جمّد ضوء القمر الأجنحة الفوسفورية للحشرات التي حلقت مثل كرات الثلج فوق الطريق.

أمسكت يدا ميتش المكبلتان المسدس بقوة كبيرة بحيث آلمته براجمه. وضع سبابته اليمنى على حارس الزناد، وليس على الزناد نفسه، لأنه خشي أن تؤدي نقرة عصبية إلى إطلاق النار قبل أن ينوي ذلك.

كانت أسنانه مطبقة. سمع نفسه يتنشق الهواء، ويزفره. فتح فمه للتنفس بهدوء أكبر.

بالرغم من أن قلبه خفق بسرعة، لم يعد الوقت مثل نهرٍ جارٍ وإنما أصبح دفقاً قوياً من الوحل.

لقد ساعدت الفطرة ميتش في الساعات الأخيرة. لكن بالطريقة نفسها، يمكن للحاسة السادسة أن تخبر الرجل المسلح في أي لحظة بأنه ليس وحده.

تسابقت الثواني لملء دقيقة فارغة، تلتها أخرى وأخرى؛ ثم بدأ الرجل بنوبة السعال الثالثة مما أعطى ميتش الفرصة للاستدارة من جانبه الأيسر إلى جانبه الأيمن. بعد أن انتهى، استلقى وظهره إلى القسم المفتوح من الصندوق، ساكناً جداً.

بدا أن صمت الرجل المسلح يملك نوعية اليقظة الشديدة، لا بل الشك. جاء العالم الآن إلى الحواس الخمس لدى ميتش عبر عدسة مشوهة من القلق الشديد.

أي زاوية من النار؟ أي نمط؟

فكر.

الرجل صاحب الوجه الناعم لن يكون جالساً منتصباً. سيستلقي للاستفادة تماماً من الظلمة في المقعد الخلفي.

في ظروف أخرى، ربما فضّل المجرم زاوية أخرى، حيث يستطيع ضمان اختبائه بصورة أفضل. لكن بما أن الغطاء المرفوع للصندوق يحجب رؤيته بسهولة عبر النافذة الخلفية للسيارة، يستطيع الجلوس بأمان في الوسط، لتغطية البابين الأماميين.

أبقى ميتش السلسلة الفاصلة بين الأغلال جامدة وأخفض المسدس بهدوء. لا يجرؤ على ارتطام المسدس بشيء ما أثناء الاستكشاف الذي يريد إنجازه.

تمدد إلى الأمام بكلتا يديه، فوجد الجدار الخلفي للصندوق. بالرغم من أنه بدا قاسياً تحت أطراف أصابعه، كان السطح مغطى بقماش.

ربما لم يتم ترميم سيارة الكرايزلر بأمانة تامة. لا بد أن كامبل اختار بعض التحديثات، بما فيها وضع مواد أفضل في الصندوق. مثل زوج من العناكب الزاحفة، تحركت يداه من اليسار إلى اليمين عبر السطح، للاختبار. ضغط برفق، ومن ثم بقوة أكبر.

تحت أطراف أصابعه، تحرك السطح قليلاً. في الحقيقة، إن لوح ألياف سماكته ربع إنش، مغطى بقماش، يمكن أن يتحرك بهذه الطريقة. لا يملك ملمس المعدن.

تقبل اللوح ضغطه بصمت، لكن عندما أرخى يديه، عاد اللوح ليصدر ضجيجاً خفيفاً.

من حجرة الركاب جاء احتجاج المفروشات المضغوطة، فصدر صوت خفيف ولكن لا شيء أكثر. لقد قام الرجل المسلح على الأرجح بتعديل وضعيته للإحساس بالراحة؛ وربما استدار للإصغاء بدقة أكبر.

تحسس ميتش الأرضية، بحثاً عن المسدس، ووضع يديه عليه.

استلقى على جانبه، ورفع ركبتيه إلى الأعلى، من دون مساحة كافية لمدّ ذراعيه، ولم يكن بالتالي في وضعية جيدة لإطلاق النار.

إذا حاول التحرك نحو القسم المفتوح من الصندوق قبل إطلاق النار، سيفضح نفسه. مجرد ثانية، أو ثانيتين، قد تكون كافية للرجل المسلح الخبير للنزول من المقعد الخلفي إلى الأرضية.

فكر ميتش في المسألة مرة أخرى، للتأكد من أنه لم ينسَ أي شيء. فأي خطأ بسيط في الحسابات قد يعني الموت بالنسبة إليه.

رفع المسدس. سيطلق النار من اليسار إلى اليمين، ومن ثم اليمين إلى اليسار، في الاتجاهين، بمعدل خمس طلقات في كل مرة.

عندما ضغط على الزناد، لم يحصل أي شيء. مجرد صوت طقطقة معدنية خفيف.

كان قلبه المطرقة والسندان في الوقت نفسه، وتوجب عليه السماع في خضم هذه الجلبة، لكنه كان واثقاً من أن الرجل المسلح لم يتحرك مجدداً، لم يسمع الصوت الخفيف للمسدس العنيد.

لقد استكشف قبلاً السلاح ولم يعثر على صمام أمان فيه.

أبعد يده عن الزناد، وتردد، ثم ضغط مجدداً.

طقطقة.

قبل أن يستولي عليه الذعر الشديد، أحس بشيء يزحف على وجنته ويدخل فمه المفتوح: حشرة، غير باردة مثلما بدت حين حلقت مثل كرات الثلج.

بطريقة لاإرادية، بصق الحشرة، وتقيأ، وضغط على الزناد مجدداً. ثمة شيء أوقف الزناد – قد يكون هذا صمام الأمان – يجب الضغط

عليه لإطلاق النار، عبر عمل مزدوج، وبما أنه ضغط بقوة أكثر من قبل، انفجر المسدس.

ارتداد المسدس، الذي تفاقم نتيجة وضعيته، جعله يهتزّ، ولم يكن الصوت عالياً أكثر لو أن باب جهنم أغلق وراءه، وتفاجأ بدفق فتات القماش واللوح الليفي تتناثر على وجهه، لكنه أغمض عينيه واستمر في إطلاق النار، من اليسار إلى اليمين، ثم من اليمين إلى اليسار، *مسيطراً* على السلاح، وليس فقط مطلقاً النار منه، وبالرغم من أنه ظن أن بوسعه عدّ الطلقات أثناء إطلاقها، أضاع العد بعد أول طلقتين، ثم فرغ أسطوانة الخراطيش.

34

لو لم يمت الرجل المسلح، حتى لو كان مصاباً، لأطلق النار بدوره عبر المقعد الخلفي. لا يزال صندوق السيارة مصيدة موت محتملة.

تخلى ميتش عن المسدس عديم الفائدة، وحاول الخروج من الصندوق، بحيث وضع ركبة على العتبة، ومرفقاً على مصدّ الصدمات، وأنزل يديه وركبتيه إلى الطريق، ثم أنزل قدميه. ركض القرفصاء مسافة عشرة ياردات، خمسة عشر يارداً، قبل أن يتوقف وينظر إلى الخلف.

لم يخرج الرجل المسلح من سيارة الكرايزلر. كانت الأبواب الأربعة مغلقة.

انتظر ميتش، وأحس بالعرق ينزل من طرف أنفه، وعن ذقنه.

اختفت الحشرات البيضاء، والبومة الكبيرة، وأصوات الزيز، والصراخ الخفيف لشيء ما.

تحت القمر الصامت، في الصحراء المقفرة، بدت سيارة الكرايزلر غير متناسقة، مثل آلة وقت في بداية الدهر الوسيط، جميلة ومتألقة قبل مئتي مليون عام من صنعها.

حين بدأ الهواء، الجاف مثل الملح، يؤلم حنجرته، توقف عن التنفس عبر فمه، وعندما بدأ العرق يجف على وجهه، سأل نفسه كم من الوقت يجدر به الانتظار قبل الافتراض أن الرجل مات. نظر إلى ساعته. نظر إلى القمر. انتظر.

احتاج إلى السيارة.

استغرقت الرحلة على الطريق الوعر اثنتي عشرة دقيقة. كانوا يسيرون بسرعة خمسة وعشرين ميلاً في الساعة ربما في القسم الأخير من تلك الرحلة. يجعله ذلك على مسافة خمسة أميال من طريق معبد بالإسفلت.

حتى عندما يعود إلى ذلك الجزء المتمدن، قد يجد نفسه على أرض معزولة من دون الكثير من السيارات. بالإضافة إلى ذلك، في وضعه الحالي، متسخاً وأشعث وغريب المظهر من دون شك، لن يسمح له أحد بركوب سيارته، باستثناء مريض نفسي يبحث عن ضحية.

أخيراً، اقترب من سيارة الكرايزلر.

دار حول السيارة، وبقي بعيداً عن جوانبها بقدر ما يسمح به عرض الطريق، وبحث عن وجه شبح ناعم يحدق إليه من الداخل. بعد الوصول من دون حادث إلى صندوق السيارة الذي هرب منه مرتين، توقف وأصغى.

كانت هولي في مكان سيئ، وإذا حاول الخاطفون الوصول إلى ميتش، لن يحالفهم الحظ لأن هاتفه الخلوي كان في ذلك الكيس الأبيض في منزل كامبل. اتصال الظهر بمنزل أنسون سيكون

فرصته الوحيدة للتواصل مجدداً معهم قبل أن يقرروا فرم رهينتهم والانتقال إلى مهمة أخرى.

من دون تردد إضافي، ذهب إلى الباب الخلفي لجهة السائق وفتحه.

كان الرجل صاحب الوجه الناعم مستلقياً على المقعد، مع عينين مفتوحتين، ينزف وإنما لا يزال حياً، وكان مسدسه مصوباً إلى الباب. بدت الفوهة مثل محجر من دون عين، وبدا الرجل المسلح منتصراً عندما قال: "مت".

حاول الضغط على الزناد، لكن المسدس ارتجف في يده، ثم فقد قبضته عليه. وقع السلاح في أرض السيارة، ووقعت يد الرجل المسلح على حضنه، وتحولت الكلمة التي قالها إلى قدره، فاستلقى هناك.

ترك ميتش الباب مفتوحاً، وذهب إلى جانب الطريق وجلس على صخرة إلى أن تأكد في النهاية من أنه لن يتقيأ.

35

جالساً على الصخرة، توجب على ميتش التفكير في الكثير من الأمور.

عندما ينتهي هذا - إذا انتهى - قد يكون أفضل شيء يفعله هو الذهاب إلى الشرطة، وإخبار قصته التعيسة عن الدفاع عن النفس، وعرض الرجلين المسلحين الميتين في صندوق سيارة الكرايزلر.

سينكر جوليان كامبل أنه استخدمهما أو على الأقل أنه طلب منهما قتل ميتش. فرجال مثل هذين الرجلين يقبضون المال نقداً. برأي كامبل، كلما كانت النقاط أقل كان ذلك أفضل، ولم يكن الرجلان

المسلحان من النوع الذي يكترث. إذا قبض المال نقداً من دون حسومات الضرائب، قد يحرم في النهاية من الضمان الاجتماعي.

ثمة احتمال أن السلطات غير مدركة للجانب المظلم في إمبراطورية كامبل. فحسب كل المظاهر، إنه أحد أبرز المواطنين المهمين في كاليفورنيا.

من جهة أخرى، كان ميتش بستانياً متواضعاً مستعداً لتقبل قتل زوجته في حال أخفق في دفع فديتها. وفي كورونا ديل مار، الشارع أمام منزل أنسون، احتوى صندوق سيارة الهوندا على جثة جون كنوكس.

بالرغم من ثقته في حكم القانون، لم يصدق ميتش للحظات أن التحقيق في مسرح الجريمة دقيق بقدر ما يبدو على التلفزيون. فكلما ازداد عدد الأدلة التي توحي بذنبه، حتى لو تم زرعها، سيشكون به أكثر فأكثر، وسيسهل تجاهل التفاصيل التي قد تبرئه.

على كل حال، أهم شيء في الوقت الحاضر هو البقاء حراً وطليقاً إلى حين دفع فدية هولي. سيدفع فديتها. أو يموت في المحاولة.

بعدما التقى هولي ووقع في غرامها على الفور تقريباً، أدرك أنه كان قبلاً نصف حيّ، *مدفوناً* حياً في طفولته. لقد فتحت التابوت العاطفي الذي وضعه فيه أهله، فنهض منه، متباهياً.

تحوله أذهله. ظن نفسه حياً تماماً، على الأقل، حين تزوجا.

لكن هذه الليلة أدرك أن جزءاً منه بقي نائماً. لقد استيقظ على وضوح في الرؤية لا يمكن القول عنه إنه أقل من مرعب.

لقد صادف شراً صرفاً كان يظن لغاية اليوم السابق أنه غير موجود، لأنه تعلم إنكار وجوده. لكن مع التعرف إلى الشرّ، برز إدراك أكبر لأبعاد أكثر في كل مشهد، في كل شيء تقريباً، أكثر مما رأى قبلاً، فقد رأى جمالاً أكبر، وعداً غريباً وغموضاً.

لا يعرف بالضبط ماذا يعني ذلك. يعرف فقط أنه في هذه الحالة، يكون فتح عينيه على حقيقة أكبر. وراء الغموض الجميل ومتعدد الطبقات لهذا العالم الجديد حوله، أحس بحقيقة تتكشف شيئاً فشيئاً.

في هذه الحالة من التنوير، من المضحك أن يجد أن المهمة الأكثر إلحاحاً أمامه هي التخلص من رجلين ميتين.

خرجت ضحكة منه، لكنه ابتلعها. جالساً في الصحراء، قرابة منتصف الليل، بصحبة الجثتين فقط، بدا أن الضحك للقمر ليس الخطوة الأولى في المسار الصحيح للخروج من هنا.

من أعلى الشرق، انزلق نيزك نحو الغرب مثل سحاب مفتوح، ففتح السماء السوداء للكشف عن لمحة بياض خلفها، لكن أسنان السحاب انغلقت بسرعة مثلما فتحت، فأبقت السماء محجوبة، وتحول النيزك إلى رماد، إلى بخار.

اعتبر النجمة الساقطة بمثابة فأل خير للمضي في عمله المشؤوم، فركع ميتش قرب الرجل المسلح صاحب الوجه المندّب وفتش في جيوبه. عثر بسرعة على الشيئين اللذين يريدهما: مفتاح الأغلال ومفاتيح سيارة الكرايزلر ويندسور.

حرر نفسه من الأغلال، ورماها في الصندوق المفتوح للسيارة. فرك معصميه.

جرّ جثة الرجل المسلح إلى الجهة الجنوبية من الطريق، عبر الأجمة الحاجبة، وتركها هناك.

إخراج الجثة الثانية من المقعد الخلفي للسيارة انطوى على عمل كريه، لكن خلال دقيقتين، استلقت الجثتان جنباً إلى جنب، ووجهاهما إلى النجوم.

عـــاد إلى الـــسيارة مرة جديدة، ووجد ميتش مصباحاً ضوئياً في المقعـــد الأمامـــي. تصور أن يكون هذا المصباح موجوداً لأنهما كانا ينويان حتماً دفنه في مكان مجاور وهما بحاجة إلى مصباح لإرشادهما.

الـــضوء الخفـــيف في سقف السيارة لم يظهر له الكثير من المقعد الخلفي مثلما أراد أن يرى. تمعنه بواسطة المصباح الضوئي.

بما أن الرجل المسلح لم يمت على الفور، نـــزف الكثير من الدم، ولوث المكان كثيراً.

أحصى ميتش ثمانية ثقوب في المقعد الخلفي، وهي الرصاصات التي اختـــرقت من الصندوق. لا شك في أن الرصاصتين الأخريين ارتدتا أو توقفتا بفعل البنية الحديدية للمقعد.

في الجهـــة الخلفـــية مـــن المقعد الأمامي ظهرت خمسة ثقوب. لكن رصاصـــة واحـــدة فقـــط تابعت كل طريقها. أشار الثقب في الصندوق الأمامـــي للسيارة إلى نقطة وصولها. عثر على الرصاصة المعدنية الفارغة في أرضية الجهة الأمامية من مقعد الراكب قرب السائق. رماها بعيداً في الليل.

حـــين يخرج من الطريق الوعر ويصل إلى الطرق المعبّدة، وبالرغم مـــن ضـــرورة الاســـتعجال، ســـيتوجب عليه الالتزام بحدود السرعة القصوى. فإذا أوقفه شرطي سير على الطريق السريع ورأى الدم المتناثر علـــى المقعد الخلفي، سيأكل ميتش طعامه على الأرجح على حساب ولاية كاليفورنيا لوقت طويل جداً.

لم يحضر الرجلان المسلحان رفشاً معهما.

لكن نظراً لاحترافهما، شك في أنهما أرادا ترك جثته تتحلل حيث يمكن أن يعثر عليها المسافرون والمتسابقون على الطرقات الوعرة. إنهما يعـــرفان المـــنطقة جيداً، ولا بد أنهما يعرفان مكاناً يستخدم بمثابة قبر طبيعي لا يحتمل كشفه بطريقة سهلة.

إلا أن ميتش لم يحب فكرة البحث عن مكان الدفن هذا في الليل، مع مصباح ضوئي. فليست لديه فكرة عن مجموعة العظام التي قد يجدها هناك.

عاد إلى الجثتين وأخرج منهما المحفظتين لجعل التعرف إليهما أكثر صعوبة. أصبح أقل غثياناً عند لمسهما، وأزعجه موقفه الجديد.

بعـــد سحب الرجلين الميتين بعيداً عن الطريق، تركهما في أيكة محكمـــة من المنـــزنيتا العالية حتى الخصر. كتل الأوراق الكبيرة حالت دون اكتشافهما بسهولة.

بالـــرغم من أن الصحراء بدت عدائية للحياة، تعيش فيها العديد من الحيوانات، وبعضها من أكلة اللحوم. في غضون ساعة، ستنجذب تلك الحيوانات إلى الوليمة المزدوجة في نبتة المنـــزنيتا.

بعضها خنافس مثل تلك التي حرص الرجلان المسلحان على عدم سحقها تحت أقدامهما عندما كانا يرافقانه إلى ردهة السيارات.

في الـــصباح، ســـتبدأ حرارة الصحراء بفعل فعلها أيضاً، وتسرّع كثيراً عملية التحلل.

إذا تم العـــثور علـــيهما، قد لا يتم التعرف أبداً إلى اسميهما. ولن يهتم أحد لمعرفة من منهما عانى من ندوب مريعة في الوجه ومن منهما كان يملك وجهاً ناعماً.

في ردهـــة الـــسيارات، فـــيما كانـــا يضعانه في صندوق سيارة الكرايزلر، قال *أتمنى لو أننا نستطيع عدم فعل هذا*.

قال الرجل صاحب الوجه الناعم *حسناً، هكذا هي الحال*.

لفـــت انتباهه نيزك آخر في السماء الصافية العميقة. أثر وجيز، ثم شفيت السماء.

عاد إلى السيارة وأغلق الصندوق.

بعد أن حصل على الأفضل من القاتلين الخبيرين، يجدر به الإحساس بالقوة والفخر والوحشية. إلا أنه شعر بدلاً من ذلك بذل أكبر.

لحمايـــة نفـــسه مـــن رائحة الدم، فتح النوافذ الأربع في سيارة الكرايزلر ويندسور.

عمل المحرك فوراً بقوة كاملة. أضاء المصباحين الأماميين.

ارتـــاح لرؤية مقياس الوقود يشير إلى أن الخزان مليء حتى ثلاثة أرباعـــه تقـــريباً. لا يريد التوقف في أي مكان عام، ولا حتى في محطة وقود حيث الخدمة ذاتية.

انطلق في السيارة، وسار مسافة أربعة أميال على الطريق الوعر، ثم صادف مشهداً دفعه إلى التوقف.

إلى الجـــنوب، في بقعة ضحلة من الأرض، ثمة مستنقع من الزئبق مـــع حلقـــات من الماسات المتلألئة الطافية على وجهه، المتحركة ببطء وفق تيارات دوامة كسولة، مهيبة مثل المجرة اللولبية.

للحظـــة، بدا المشهد غير واقعي بالنسبة إليه بحيث ظن أنه هلوسة أو تخـــيل. ثم أدرك أنـــه حقل من العشب، العشب الطويل مع أزهار شبيهة بالريش وسنابل حريرية.

ألقـــى القمـــر بضوئه على تلك الأزهار والسنابل بحيث تلألأت بلمعان قوي. هب هواء خفيف، نسيم عليل جداً، حول تلك البقعة من الأرض برشاقة وتناسق كبيرين، بحيث إنه لو كانت هناك موسيقى لهذه الرقصة من الأعشاب، لكانت موسيقى الفالز.

تابع السير حتى نهاية الطريق الوعر وانعطف إلى اليمين، لأنه تذكر أنهـــم انعطفوا إلى اليسار عندما جاءوا إلى هنا. كانت الطرقات المعبدة مخططـــة جـــيداً، ولم يعد إلى منـــزل كامبل – الذي أمل ألا يراه أبداً مجدداً – وإنما إلى الطريق السريع.

كان السير في منتصف الليل خفيفاً. توجه شمالاً، ولم يتعدَّ حدود السرعة القصوى بأكثر من خمسة أميال في الساعة، لأنه نادراً ما يعاقب القانون على هذا التجاوز.

كانـــت ســـيارة الكرايزلر ويندسور سيارة جميلة. نادراً ما يعود الرجال الذين ينجون من الموت إلى العيش بهذه الأناقة.

36

وصـــل ميتش إلى مدينة أورانج عند الساعة 2:20 بعد منتصف اللـــيل، وركن السيارة في شارع يبعد قليلاً عن الشارع الذي يقع فيه منـــزله.

رفع النوافذ الأربع وأقفل سيارة الكرايزلر.

وضـــع المسدس تحت حزامه، ثم وضع قميصه فوقه لإخفائه. هذا السلاح يخص الرجل صاحب الوجه المندب الذي قال مت لكنه أخفق في إيجاد القوة اللازمة لثني سبابته مرة أخيرة. يحتوي المسدس على ثماني طلقات. أمل ميتش ألا يحتاج إلى أي منها.

ركـــن السيارة تحت شجرة قديمة متفتحة الأزهار، وعندما أصبح تحت ضوء مصباح الشارع، لاحظ أنه يمشي على سجادة من البتلات الأرجوانية.

اقترب بحذر من منـــزله بمحاذاة الممشى الموجود من الخلف.

سمـــع صوت خشخشة ما دفعه إلى إشعال مصباحه الضوئي. بين بـــرميلين للـــنفايات يفتـــرض إفراغهما في الصباح، ثمة حيوان بوسوم متكـــيف مـــع المدينـــة، يشبه الجرذ الكبير شاحب الوجه، حرّك أنفه الوردي.

أطفأ ميتش المصباح وتابع طريقه إلى المرأب. البوابة في زاوية المبنى لا تقفل أبداً. مرّ عبرها إلى الفناء الخلفي.

تمـــت مصادرة مفاتيح منـــزله ومحفظة نقوده وأغراضه الشخصية الأخرى في مكتبة كامبل.

احـــتفظ بمفـــتاح احتياطي يفتح باب المنـــزل والمرأب في خزنة صـــغيرة مثبـــتة بحلقة منخفضة في جدار المرأب، مخفية وراء صف من أزهار الأزاليا.

أشـــعل المصباح الضوئي بحذر، وإنما أخفاه بأصابعه، وأبعد ميتش أزهار الأزاليا عن بعضها. ضغط على الأرقام الصحيحة، وفتح القفل، وأخرج المفتاح من الخزنة، وأطفأ المصباح.

من دون إصدار أي صوت، دخل المرأب.

انتقل القمر إلى الجهة الغربية. وسمحت الأشجار بعبور القليل من الضوء عبر النوافذ. وقف في الظلمة، مصغياً.

إمـــا الصمت أقنعه بأنه وحده وإما الظلمة ذكرته كثيراً بصندوق السيارة الذي هرب منه مرتين، وأضاء مصابيح المرأب.

لا تزال شاحنته حيث تركها. مكان الهوندا لا يزال فارغاً.

صـــعد الـــسلالم. لا تـــزال العلـــب مكدسة لإخفاء الفجوة في الدرابزون.

في الجهة الأمامية، اكتشف أن معدات التسجيل والمراقبة اختفت. لا بد أن أحد الخاطفين جاء لجمع المعدات.

تـــساءل عمـــا ظنوا أنه حصل لجون كنوكس. خشي أن يكون اختفاء كنوكس قد أثّر في هولي.

عـــندما أصـــيب بنوبة ارتعاش، أجبر عقله على الابتعاد عن تلك الفكرة السوداء.

لـــيس آلـــة، ولا هي أيضاً. حياتهما لها معنى، وقد جمعهما القدر لغاية ما، وعليهما تنفيذ تلك الغاية.

عليه التصديق أن هذا صحيح. من دون ذلك، لا يملك شيئاً.

ترك المرأب مظلماً ودخل المنـــزل عبر الباب الأمامي، وهو واثق أن المكان لم يعد مراقباً.

لا يزال مسرح الجريمة الزائف في المطبخ مثلما رآه آخر مرة. الدم المبعثر، بات جافاً الآن. بصمات اليد على الخزانات.

في غرفة الغسيل المحاذية، خلع حذاءه وتأمله تحت الضوء الفلوري. تفاجأ بعدم العثور على دم.

لم يكـــن جاربـــه متسخاً أيضاً. نـــزعه على كل حال ورماه في الغسالة.

عثـــر علـــى بقع صغيرة على قميصه وسروال الجينـــز. في جيب القمـــيص، وجـــد بطاقـــة التحري تاغارت. احتفظ بالبطاقة، ووضع الملابس في الغسالة، ثم أضاف الصابون، وشغل الغسالة.

وقف أمام المغسلة، وفرك يديه وساعديه بالصابون وفرشاة ناعمة. لا يغـــسل أي أدلـــة. ربما يأمل في التخلص من بعض الذكريات عبر المصفاة.

مسح وجهه وعنقه بفوطة رطبة.

كان منهكاً بشدة. يحتاج إلى الراحة، لكنه لا يملك الوقت للنوم. على كل حال، إذا حاول النوم، سيمتلئ عقله بالمخاوف المعروفة وغير المعروفة، وسيدخل في دوامات مرهقة.

منـــتعلاً حذاءه ومرتدياً ملابسه الداخلية، حمل المسدس، وعاد إلى المطـــبخ. أخـــرج من البراد قنينة ريد بول، المشروب الغني بالكافيين، وشربها.

عندما انتهى من الريد بول، رأى محفظة هولي مفتوحة على رف مجاور. كانت موجودة هنا في وقت سابق من اليوم.

إلا أنـــه لم يلاحظ قبلاً الأوراق المتناثرة على الرف حول المحفظة. ورقة سيلوفان ممزقة. علبة صغيرة، أعلاها مفتوح. ورقة من التعليمات.

اشـــترت هولي اختبار الحمل المنـــزلي. فتحته واستعملته على ما يبدو، بعدما غادر إلى العمل وقبل أن يأتي الخاطفون لأخذها.

في بعض الأحيان، حين كان ولداً في غرفة التعلم، حين لا يسمح لك بالتحدث إلى أحد لوقت طويل، ولا سماع أي صوت غير صوتك المخـــنوق، وعندما تحرم من الطعام – ولكن ليس من الماء – لمدة ثلاثة أيـــام تقـــريباً، وعندما لا ترى طوال أسبوع أو أسبوعين أي ضوء غير الانقطـــاع اليومي الوجيز حين يتم استبدال أوعية البول والبراز بأخرى جديـــدة، تصل إلى مرحلة لا يصبح فيها الصمت والعتمة بمثابة *حالات* وإنمـــا بمـــثابة *أشياء* لها كتلة حقيقية، أشياء تتشارك الغرفة معك، ومع مـــرور الساعات، تستلزم المزيد من المساحة، إلى أن تضغط عليك من كـــل الجهـــات، ويلقـــي الصمت والعتمة بثقلهما عليك من الأعلى، ويحشرانك في مساحة صغيرة جداً لا تستطيع الاتساع لجسمك إلا إذا تم كبسه مثلما يتم كبس السيارات في الخردة. في رعب الاحتجاز هذا، تقـــول لنفسك إنه لم يعد بوسعك تحمل دقيقة أخرى، لكنك تتحمل دقـــيقة أخـــرى، وأخرى، وأخرى، وساعة، ويوماً، وتتحمل، ثم يفتح الباب، وينتهي الحبس، ويأتي الضوء. هناك دوماً ضوء في النهاية.

لم تفـــصح هـــولي أن دورتها الشهرية تأخرت عليها. علقا آمالاً زائفة مرتين قبلاً. أرادت التأكد هذه المرة قبل إخباره.

لم يكـــن ميتش قدرياً، لكنه الآن مختلف. وفي النهاية، إذا كان الـــرجل قدرياً، عليه الثقة في قدر ذهبـــي، في قدر ساطع. لن ينتظر

لـــرؤية ما سيحصل عليه. سيدهن قدره بالكثير من الدسامة ويأكله كله.

حمـــل المسدس، وأسرع إلى غرفة النوم. كان مفتاح الإنارة قرب الباب، أضاء أحد المصباحين قرب السرير.

ذهـــب إلى الخـــزانة وهو يفكر في شيء واحد فقط. ترك الباب مفتوحاً.

كانـــت ملابسه مبعثرة. وقع سروالان من الجينـــز عن العلاقتين وأصبحا على أرضية الخزانة.

لا يذكـــر أنـــه ترك الخزانة في هذه الحالة، وإنما سحب سروال جينـــز عن الأرض وارتداه.

ثم ارتـــدى قميـــصاً قطنياً كحلياً ذا كمين طويلين، وابتعد عن الخزانة، ورأى للمرة الأولى الملابس الممددة على السرير. سروال قطني، قميص أصفر، جورب رياضي أبيض، سروال تحتي وقميص قطني باللون الأبيض.

إنها ملابسه. تعرّف إليها.

كلها ملطخة بالدم الأسود.

يعرف الآن شكل الأدلة الدامغة. تم ربط حبل جديد حول عنقه.

ســـحب المـــسدس عـــن رف الخزانة حيث وضعه خلال ارتداء ملابسه.

كان باب الحمام المظلم مفتوحاً.

أرشـــده المـــسدس إلى تلك الظلمة، كما لو أنه عصا الاستنباء. اجتاز العتبة، وأنار المصباح، وتنفس بهدوء، ودخل الحمام ساطع النور.

توقع العثور على شيء فظيع في المغطس أو على شيء في المغسلة. لكن كل شيء طبيعي.

كان وجهه في المرآة مليئاً بالرعب، مشدوداً مثل قبضة اليد، لكن عينيه كانتا واسعتين أكثر من أي وقت مضى و لم يعد يغفل عنهما أي شيء.

عـــاد إلى غـــرفة النوم، ولاحظ شيئاً في غير مكانه على المنضدة الليلية ذات المصباح غير المضاء. أنار المصباح.

كـــرتان مصقولتان ملونتان من بيض الديناصور كانتا هناك على منصتين برونـــزيتين صغيرتين.

بالـــرغم من كونهما معتمتين، جعلتاه يفكر في كرات الكريسال والتوقعات المشؤومة في الأفلام، التي تتوقع بقدر مشؤوم.

همس ميتش: "أنسون"، ثم قال: "يا الله".

37

الرياح القوية التي تهبّ من الجبال الشرقية تترافق عادة مع شروق الشمس أو مغيبها. الآن، بعد ساعات عديدة من مغيب الشمس، وقبل ســـاعات عدة من شروق الشمس، هبّت فجأة رياح قوية كما لو أنها انفجرت عبر باب عظيم.

علـــى طـــول الممـــشى حيث هبّت الرياح، وصولاً إلى سيارة الكرايزلـــر، أسرع ميتش وإنما بالقلب المتردد لرجل ينتقل من زنـــزانته في صف الموت إلى غرفة الإعدام.

لا وقت لديه لفتح النوافذ. فيما قاد السيارة، فتح فقط النافذة في باب السائق.

هبت عليه رياح قوية، وداعبت شعره، وكانت دافئة وملحة.

يفـــتقد الرجال المجانين إلى السيطرة على الذات. يرون المؤامرات حـــولهم ويكـــشفون عـــن جنونهم في غضب غير عقلاني، في مخاوف

مـــضحكة. الرجال المجانين لا يعرفون أنهم مشوشون، ولذلك لا يرون الحاجة إلى وضع قناع.

أراد ميتش التصديق أن أخاه مجنون. إذا كان أنسون يتصرف بدلاً من ذلك بحسابات باردة، يكون وحشاً. وإذا أعجبتَ بوحش وأحببته، يفتـــرض بـــك الشعور بالخجل من سذاجتك، والأسوأ من رغبتك في التعـــرض للكـــذب، وفي الخضوع لقوة الوحش. فأنت تتشارك جزءاً صغيراً على الأقل من المسؤولية عن جرائمه.

لا يفـــتقد أنسون إلى السيطرة على الذات. لا يتحدث أبداً عن المؤامـــرات. لا يخشى أي شيء. كما هي حال الأقنعة، يملك القدرة علـــى التـــضليل، والموهبة على التنكر، والبراعة لتخييب الأمل. ليس مجنوناً.

علـــى امـــتداد الـــشوارع، تمايلت أشجار النخيل، مثل النساء المجنونات اللواتي ينفشن شعرهن، وألقت أشجار الأجمات ملايين الإبر القرمزية التي هي بتلات أزهار غريبة.

ارتفعـــت الأرض، وتحولت الهضاب المنخفضة إلى هضاب أعلى، وتطايـــرت في الهواء قصاصات الورق، وأوراق الأشجار، وصفحات الجرائد، وكيس نايلون كبير شفاف بدا مثل قنديل البحر.

منـــزل أهله كان المنـــزل الوحيد في الشارع الذي كانت نوافذه مضاءة.

ربما يجدر به توخي الحذر، لكنه ركن السيارة في الممشى على كل حـــال. رفـــع النافذة، وترك المسدس في السيارة، وأحضر معه المصباح الذي يعمل على البطاريات.

امـــتلأ الهواء بأصوات الفوضى، وفاحت رائحة الأوكالبتوس في الممشى عبر ظلال الأشجار.

لم يــرن الجــرس. لم يعقد آمالاً زائفة، وإنما أراد أن يعرف أمراً مريعاً.

مــثلما ظن، كان المنــزل غير مقفل. دخل الردهة، وأغلق الباب وراءه.

إلى يــساره ويميــنه، ثمة عدد لامتناهٍ من ميتش ظهر في عالم من المرايا، وكشفت كلها عن تعبير شبحي، وكانت كلها تائهة.

لم يكــن المنــــزل صامتاً، لأن الهواء دخل عبر النوافذ، وفاحت رائحة الأوكالبتوس من الجدران.

في مكتب دانيال، تلألأ الزجاج المكسور على الأرض، وتبعثرت في كــل مكان الكريات المصقولة الملونة، كما لو أن أحداً لعب البليار بها.

غــرفة وراء غــرفة، فتش ميتش في الطابق الأول، وأنار الأضواء حيث لم تكن منارة. في الحقيقة، لم يتوقع العثور على أي شيء في هذا الطابــق مــن المنــزل الكبير، ولم يعثر على أي شيء. قال لنفسه إنه يتوخى الدقة فقط. لكنه عرف أنه يؤجل صعوده إلى الطابق الثاني.

عند السلالم، نظر إلى الأعلى، وسمع نفسه يقول: "دانيال" ولكن ليس بصوت عال، وكذلك الأمر "كاتي" بصوت غير عال.

يجــدر بميتش النــزول نظراً لما ينتظره فوق. الصعود إليه بدا أمراً خطأ. القبور لا تكون في أعالي الأبراج.

فــيما صعد السلالم، أصبح زفير الطبيعة أكثر وحشية. طقطقت النوافذ. تصدعت ألواح السقف.

في ردهــة الطابق العلوي، ثمة شيء أسود على الأرضية الخشبية المــصقولة: شــكل شفرة حلاقة كهربائية وإنما أكبر قليلاً. ثمة فجوة عرضها أربعة إنشات بين صفيحتين معدنيتين لامعتين.

تردد، ثم رفعها. رأى على جانبها مفتاحاً متأرجحاً. عندما ضغط عليه، مرّ قوس أبيض من الكهرباء بين الصفيحتين المعدنيتين.

إنه مسدس تايزر، سلاح الدفاع عن النفس. ثمة احتمال كبير أن دانيال وكاتي لم يستخدماه للدفاع عن نفسيهما.

لقد أحضره معه أنسون على الأرجح واعتدى به عليهما. فضربة واحدة من مسدس تايزر يمكن أن تشل الرجل لدقائق، وتجعله عاجزاً، فتتشنج عضلاته، وتنهار أعصابه.

بالرغم من معرفة ميتش بالمكان الواجب الذهاب إليه، أجّل تلك اللحظة المريعة، وذهب بدلاً من ذلك إلى غرفة النوم الرئيسة.

كانت المصابيح منارة، باستثناء مصباح منضدة ليلية وقع أرضاً خلال العراك وانكسر. تبعثرت الشراشف ووقعت الوسادات عن السرير.

تبين جلياً أن النائمين استيقظا بصدمة.

يملــك دانيال مجموعة كبيرة من ربطات العنق، وكان عدد كبير منها مبعثراً على السجادة. أفاعٍ ساطعة من الحرير.

ألقــى ميتش نظرة سريعة على الأبواب الأخرى لكنه لم يخصص الوقت للتمعن تماماً في ما هو وراءها، ثم انتقل عمداً إلى الغرفة في نهاية الردهة العلوية.

الباب هنا مثل كل الأبواب الأخرى، لكن عندما فتحه، واجه باباً آخر. كان هذا الباب مغطى بقماش أسود.

ارتجــف بقوة، وتردد. لم يتوقع أبداً العودة إلى هنا، أن يجتاز هذه العتبة مجدداً.

يمكــن فــتح الباب الداخلي من الردهة فقط، وليس من داخل الغــرفة. برم المقبض. أصدرت القنوات المطاطية المتشابكة صوتاً خفيفاً فيما دفع الباب إلى الداخل.

www.rewity.com dodyadodo

في الداخل، لا توجد مصابيح، ولا سقف. أضاء مصباحه الصغير.

بعدما قام دانيال نفسه بتغطية السقف والجدران والأرضية بثمانية عشر إنشاً من مواد عدة كاتمة للصوت، تضاءلت مساحة الغرفة لتصبح أقل من تسع أقدام مربعة. مساحة السقف ست أقدام.

المـــادة السوداء التي كانت تغطي كل سطح، والتي كانت كثيفة الحبكة ومن دون لمعان، امتصت شعاع المصباح.

حـــرمان حـــسي معدل. قالوا إنها أداة للتعليم، وليست عقاباً، طريقة لتركيز العقل على الداخل للاكتشاف الذاتي؛ إنها تقنية وليست تعذيـــباً. تم نشر دراسات عدة حول فوائد درجة معينة من الحرمان الحسي.

اســـتلقى دانيال وكاتي جنباً إلى جنب: هي في البيجاما، وهو في ملابـــسه الداخلـــية. تم ربط أيديهما وأقدامهما بربطات العنق. كانت العقد مربوطة بإحكام بحيث شقت اللحم.

تم ربـــط العقـــد بـــين المعصمين والعقد بين القدمين بربطة عنق أخرى، للحد أكثر من حركة كل ضحية.

لم يتم سدّ فم أي منهما. ربما أراد أنسون إجراء محادثة معهما.

فالصراخ لا يسمع خارج غرفة التعلم.

بالـــرغم مـــن وقوف ميتش مباشرة وراء الباب، أحس بالصمت العدائـــي يجذبه، تماماً مثلما يجذب الرمل المتحرك ما يبتلعه، مثلما تفعل الجاذبية مع الشيء الواقع. أصبح تنفسه السريع مجرد همس خفيف.

لم يعد بوسعه سماع عاصفة الرياح، لكنه كان واثقاً من أن الرياح بقيت.

النظـــر إلى كاتي كان أصعب من النظر إلى دانيال، لكنه لم يكن صـــعباً جـــداً مثلما توقع ميتش. لو استطاع الحؤول دون هذا، لوقف

بيـــنهما وبين أخيه. لكن بعد أن حصل الآن... انتهى الأمر. غرق قلبه بدل أن يرتد، وغاص عقله في قنوط ولكن ليس في يأس.

وجـــه دانيال، مع عينين مفتوحتين، كان مليئاً بالذعر، لكنه بدا ذهولاً جلياً أيضاً. في اللحظة الحاسمة، تساءل بلا شك كيف يمكن أن يحـــصل هـــذا؛ كيف أن نجاح أنسون الوحيد، يمكن أن يكون سبب موته.

أنظمـــة تربية الطفل وتعليمه لامتناهية، ولم يمت أحد بسببها، أو علـــى الأقـــل لـــيس الرجال والنساء الذين كرسوا أنفسهم لابتكار النظريات وصقلها.

تم ضربهما بمسدس تايزر، وتقييدهما، وربما بعد محادثة وجيزة، تم طعن كاتي ودانيال. لم ينظر ميتش عن قرب إلى الجروح.

السلاح عبارة عن زوج من مقصات الحديقة ورفش يدوي.

تعرف إليها ميتش لأنها من مجموعة أدواته في المرأب.

38

أغلق ميتش الباب على الجثتين في غرفة التعلم، وجلس على أعلى السلالم ليفكر. الخوف والصدمة وعلبة ريد بول واحدة لم تكن كافية لتوضيح أفكاره مثلما كانت لتفعل أربع ساعات من النوم.

عصف الهواء في المنـــزل، وارتجت الجدران لكنها صمدت.

كـــان باســـتطاعة ميتش البكاء لو أنه تجرأ على السماح لدموعه بالسيلان، لكنه لا يعرف على من يبكي.

لم يـــرَ أبـــداً دانيال أو كاتي يبكيان. اعتقدا في المنطق التطبيقي والتحليل الداعم المتبادل بدلاً من العاطفة السهلة.

كـــيف يمكن أن يبكي على من هما لم يبكيا أبداً على نفسيهما، على من هما قد تحدثا وحدثا نفسيهما عبر خيبات أملهما، ومغامراتهما الفاشلة، وحتى موتهما؟

ما من أحد يعرف حقيقة هذه العائلة سيلومه إذا بكى على نفسه، لكنه لم يبكِ على نفسه منذ أن كان في الخامسة من عمره لأنه لم يشأ أن يرضيهما بدموعه.

لا يستطيع البكاء على أخيه.

الـــنوع الغريب من الشفقة الذي شعر به حيال أنسون قبلاً تبخر الآن. لم يتبخـــر هنا في غرفة التعلم، وإنما في صندوق سيارة الكرايزلر القديمة.

خـــلال رحلـــته شمـــالاً من رانشو سانتا في، فيما النوافذ الأربع مفـــتوحة لـــتهوئة السيارة، حرر نفسه من كل الأوهام والخيبة الذاتية. الأخ الذي ظن أنه عرفه، الذي ظن أنه أحبه، لم يكن متواجداً أبداً في الواقـــع. لم يحب ميتش شخصاً حقيقياً وإنما أداء مريض اجتماعي؛ لقد أحب شبحاً.

الآن استفاد أنسون من الفرصة للانتقام من دانيال وكاتي، وألصق تهمة الجرائم بأخيه، الذي ظن أنه لن يتم العثور عليه أبداً.

إذا لم تدفـــع فدية هولي، سيقتلها خاطفوها وربما يرمون جثتها في البحـــر. ســـتلقى تهمة قتلها على ميتش؛ تماماً مثل قتل جايسون أوستين.

مـــن شأن تسلسل القتل هذا أن يبعث الحماسة في برامج الجرائم الحقيقـــية الـــتي تعرض على شاشات التلفزيون. إذا كان مفقوداً – في الواقـــع، ميتاً في قبر في الصحراء – سيكون البحث عنه العنوان الرئيس طوال أسابيع إن لم يكن طوال أشهر.

قـــد يصبح مع الوقت أسطورة مثل دي. بـــي. كوبر، خاطف الطائـــرة، الذي هبط، قبل عقود عدة، من الطائرة مع ثروة نقدية، ولم تسمع أخباره أبداً مجدداً.

فكّـــر ميـــتش في العـــودة إلى غرفة التعلم لجمع معدات الحديقة والـــرفش اليدوي. لكنه نفر من فكرة سحب النصل من كل جثة. لقد فعل أموراً أسوأ في الساعات الأخيرة، لكنه لا يستطيع فعل هذا.

بالإضافة إلى ذلك، لا شك في أن الذكي أنسون وضع أدلة أخرى تدينه غير أدوات الاعتناء بالحديقة. العثور عليها سيستغرق الوقت، ولا يملك ميتش وقتاً لتبديده.

أشارت ساعة معصمه إلى الثالثة وست دقائق بعد منتصف الليل. في أقل من تسع ساعات، سيتصل الخاطفون بأنسون مع المزيد من التعليمات.

بقيت خمس وأربعون ساعة من الستين الساعة الأصلية حتى حلول الموعد النهائي عند منتصف ليل الأربعاء.

يفتـــرض أن ينتهـــي الأمر قبل وقت طويل من ذلك. التطورات الجديدة تستلزم قوانين جديدة، وسيضعها ميتش.

تماماً مثل الذئاب، دعته الريح إلى الليل.

بعـــد إطفـــاء الأنـــوار في الطابق العلوي، نـــزل إلى المطبخ. في الماضـــي، كـــان دانيال يحتفظ دوماً بعلبة ألواح شوكولاته هيرشي في البراد. أحب دانيال الشوكولاته باردة.

كانت العلبة موجودة على الرف السفلي، ونقص منها لوح واحد فقـــط. لطالما كانت هذه الشوكولاته مفضلة عند دانيال، وممنوعة على أي شخص آخر.

أخـــذ ميـــتش العلبة كلها. كان مرهقاً جداً ومثقلاً جداً بالقلق للشعور بالجوع، لكنه أمل في أن يعوّض السكر عن النوم.

أطفأ مصباح الطابق الأرضي، وغادر المنـــزل عبر الباب الأمامي.

مـــلأت أغـــصان النخيل المتكسرة الشارع، ووقع بسببها أيضاً محـــتوى برميل نفايات. ذبلت الأزهار ورمت بتلاتها، وبدت الأجمات كما لو أنها تحاول رفع نفسها إلى الأعلى عبر جذورها، وطقطقت ظلة نافذة - خضراء في الواقع، لكنها بدت سوداء في هذا الضوء - بجنون كمـــا لو أنها علم بلد، وأصدرت أزهار الأوكالبتوس أصوات هسهسة أمام الرياح، وبدا كأن القمر سيختفي والنجوم ستنطفئ مثل الشموع.

في سيارة الكرايزلر، انطلق ميتش بحثاً عن أنسون.

39

تعمل هولي على تحريك المسمار بالرغم من عدم إحراز أي تقدم معه، لأنه إذا لم يتحرك المسمار، لن يكون لديها أي شيء لفعله، ومن دون شيء لفعله، ستصاب بالجنون.

لسبب ما، تذكرت غلين كلوز وهي تؤدي دور المرأة المجنونة في فـــيلم **جاذبـــية قاتلة**. حتى لو أصيبت بالجنون، لا تستطيع هولي سلق أرنب أي كان في قدر الحساء، إلا إذا كانت عائلتها طبعاً تتضور جوعاً ولا تملـــك شيئاً لأكله، أو أن الأرنب مسكون. في هذه الحالة، يصبح كل شيء ممكناً.

فجـــأة، بدأ المسمار يتحرك، وهذا مثير. إنها متحمسة جداً بحيث احتاجت إلى المرحاض الذي يستخدم في السرير الذي تركه خاطفوها معها.

إلا أن حماستها خفت لأنه خلال النصف ساعة التالية، نجحت في استخراج ربع إنش تقريباً فقط منه، ثم علق و لم يتحرك أكثر.

لكـــن ربـــع إنش أفضل من لا شيء. قد يكون طول المسمار - كـــم؟ - ثلاثـــة إنشات. في هذه الحالة، وبعد حسم الاستراحات التي خصـــصتها لتناول البيتزا التي أعطوها إياها، ولإراحة أصابعها، أمضت ســـبع ساعات تقريباً على المسمار. إذا استطاعت تحريكه بسرعة أكبر قليلاً، بمعدل إنش واحد كل يوم، يكون قد بقي لديها إنش واحد فقط بحلول الموعد النهائي عند منتصف ليل الأربعاء.

إذا كـــان ميـــتش قد جمع الفدية في ذلك الوقت، عليهم جميعاً الانتظار يوماً آخر إلى أن تستخرج المسمار اللعين.

لطالمـــا كانت متفائلة. أسماها الناس بالمشمسة والمرحة والمبتهجة، وانـــــزعجوا من نظرتها الإيجابية على الدوام لدرجة أن أحدهم سألها ذات مرة إذا كانت الابنة المدللة لميكي ماوس وتينكربل.

في الوقت الحاضر، تجد صعوبة في إبقاء معنوياتها مرتفعة. فالخطف يكسر فيك المرح.

كـــسرت اثنين من أظفارها، وباتت أطراف أصابعها متقرحة. لو لم تلفهـــا بطـــرف قميصها، لحمايتها، أثناء العمل على المسمار، لربما نـــزفت كثيراً.

في ســـياق الأمـــور، تبدو هذه الجروح غير مهمة أبداً. فإذا بدأ الخاطفون يبترون أصابعها مثلما وعدوا ميتش، سيكون هذا أمراً فظيعاً.

أخـــذت استراحة من عملها على المسمار. استلقت على ظهرها فوق الفراش في الظلمة.

بالرغم من إحساسها بالإرهاق، لا تتوقع أن تنام. ثم حلمت أنها في مكان معتم مختلف عن الغرفة التي سجنها فيها خاطفوها.

في الحلم، لم تكن مثبتة بحلقة في الأرض. كانت تمشي في الظلمة، وتحمل رزمة بين ذراعيها.

ليـــست في غرفة وإنما في سلسلة من الممرات. متاهة من الأنفاق. أحجية.

أصبحت الرزمة ثقيلة. آلمتها ذراعاها. لا تعرف ماذا تحمل، لكن شيئاً مريعاً سيحصل إذا وضعتها أرضاً.

ثمة ضوء خفيف جذبها. وصلت إلى غرفة مضاءة بشمعة واحدة.

ميـــتش هـــنا. إنها سعيدة جداً برؤيته. والدها ووالدتها، اللذان لم تعرفهما أبداً إلا من الصور الفوتوغرافية، موجودان هنا أيضاً.

الرزمة بين ذراعيها هي طفل نائم. طفلها النائم.

ابتـــسمت أمهـــا وتقدمت نحوها لأخذ الطفل. تأملت هولي من ذراعيها، لكنها تشبثت سريعاً بالرزمة النفيسة.

قـــال ميتش *أعطنا الطفل*، حبيبتي. *يجب أن يكون معنا. أنت لا تنتمين إلى هنا.*

والداها ماتا، وكذلك ميتش، وعندما تتخلى عن الطفل، لن يبقى نائماً.

رفـــضت إعطاء ابنها لهما؛ ثم أصبح بطريقة ما بين ذراعيّ أمها. أطفأ والدها الشمعة.

اســـتيقظت هـــولي على صوت وحش كبير، لكنه فقط صوت الهـــواء، الـــذي كان قوياً جداً بحيث طرق الجدران ونفض الغبار عن ألواح السقف.

ثمة ضوء خفيف، ليس ضوء شمعة وإنما ضوء مصباح وامض، وفّر ارتياحاً بسيطاً من الظلمة التي تم سجنها فيها. كشف ذلك الضوء عن قـــناع التـــزلج الأسود، والشفتين المتشققتين، والعينين الزرقاوين لأحد خاطفيها الذي ركع أمامها؛ وهو الرجل الذي يقلقها.

قال: "أحضرت لك الحلوى".

أعطاها لوح مستر غودبار.

أصـــابعه طـــويلة وبيضاء. أظفاره مكسورة. تكره هولي لمس أي شيء لمسه هو. لكنها أخفت قرفها، وأخذت لوح الشوكولاته.

"إنهـــم نائمـــون. هذه مناوبتي". وضع على الأرض أمامها علبة بيبسي تتصبب عرقاً. "هل تحبين البيبسي؟".

"نعم. شكراً لك".

سألها: "هل تعرفين شاميزال، في نيومكسيكو؟".

يملـــك صوتاً ناعماً موسيقياً. يمكن أن يكون صوت امرأة، ولكن ليس تماماً.

قالت: "شاميزال؟ لا. لم أذهب أبداً إلى هناك".

قال: "لديّ تجارب هناك. تغيرت حياتي".

هـــبت الرياح وخشخش شيء ما على السقف، واستفادت من هذا الضجيج للنظر إلى الأعلى، على أمل رؤية تفصيل مهم من سجنها للشهادة عليه لاحقاً.

تم إحـــضارها إلى هنا معصوبة العينين. في النهاية، أجبروها على صعود سلالم ضيقة. تظن أنها ربما في علية.

تم وضـــع شـــريط لاصـــق فوق نصف عدسة المصباح الوامض الـــصغير. بقي السقف غير مكشوف في العتمة. وصل الضوء فقط إلى أقرب حائط، وبقي كل شيء حولها تائهاً في الظلمة.

إنهم حريصون.

سألها: "هل ذهبت إلى ريو لوتشيو في نيومكسيكو؟".

"لا. لم أذهب إلى هناك أيضاً".

"في ريـــو لوتشيو، هناك منـــزل صغير مزخرف بالجص مدهون بالأزرق مع حواف صفراء. لماذا لا تأكلين الشوكولاته؟".

"أحتفظ بها لوقت لاحق".

سألها: "من يعرف كم من الوقت لدينا؟ استمتعي به الآن. أحب أن أراك وأنت تأكلينها".

على مضض، نـــزعت الغلاف عن لوح الشوكولاته.

"ثمـــة امـــرأة صـــالحة اسمها إرمينا لافاتو تعيش في ذلك المنـــزل الأزرق والأصفر في ريو لوتشيو. إنها في الثانية والسبعين".

يعـــتقد أن مـــثل هذه العبارات تشكل محادثة. أوحى توقفه أنه باستطاعة هولي المشاركة في الكلام.

بعد ابتلاع قضمة من الشوكولاته، قالت: "هل إرمينا قريبتك؟".

"لا. إنها من أصول إسبانية. إنها تصنع فاهيتا بالدجاج لذيذة جداً في مطبخ يبدو وكأنه من حقبة العشرينيات".

قالت هولي بتفاهة: "لست طباخة ماهرة".

انتقل نظره إلى فمها، وقضمت القليل من لوح مستر غودبار مع الإحساس أنها تشارك في عمل فاحش.

"إرمينا فقيرة جداً. المنـــزل صغير وإنما جميل جداً. كل غرفة فيه مطلية بلون ناعم مختلف".

فيما حدّق إلى فمها، حدقت إليه بدورها، بقدر ما يسمح قناعه. أسنانه صفراء. القواطع حادة، والأنياب مسننة على نحو غير اعتيادي.

"تحـــتوي جدران غرفة نومها على اثنتين وأربعين صورة للسيدة مريم".

بـــدت شفتاه وكأنهما مشققتان على الدوام. يمضغ أحياناً فتات الجلد الميت حين لا يتكلم.

"في غرفة الجلوس توجد تسع وثلاثون صورة".

لمعت التشققات في فمه كما لو أنها قد ترشح.

"في الفناء الخلفي لمنـــزل إرميا لافاتو، دفنت كنـــزاً".

سألت هولي: "كهدية لها؟".

"لا. لن توافق على ما دفنته. لشربـــي البيبسي".

لا تـــريد الشرب من علبة حملها. لكنها فتحتها على كل حال، وارتشفت القليل منها.

"هل تعرفين بيناسكو في نيومكسيكو؟".

"لم أسافر كثيراً إلى نيومكسيكو".

بقـــي صـــامتاً للحظات، ثم كسر صوت الريح صمته، وانخفض تحديقـــه إلى حنجرتها فيما ابتعلت البيبسي. ثم قال: "تغيرت حياتي في بيناسكو".

"ظننت أنها تغيرت في شاميزال".

"تغـــيرت حياتي غالباً في نيومكسيكو. إنه مكان تغيير وغموض كبير".

بعـــد الـــتفكير في وجهة لاستعمال علبة البيبسي، وضعتها هولي جانـــباً على أمل أن يسمح لها بالاحتفاظ بها إذا لم تنهِ البيبسي قبل أن يغادر.

"ســـتحبين شـــاميزال، بيناســـكو، رودارتي، الكثير من الأماكن الجميلة والغامضة".

فكرت ملياً في كلماتها قبل لفظها. "فلنأمل أن أعيش لأراها".

حدق إلى عينيها مباشرة. عيناه زرقاوان مثل السماء الداكنة التي توحي بعاصفة وشيكة حتى في غياب الغيوم.

بـــصوت أكثـــر نعومة من المعتاد، ليس همساً وإنما بنعومة هادئة، قال: "هل أستطيع التحدث إليك ثقة؟".

إذا لمسها، ستصرخ حتى توقظ الآخرين.

www.rewity.com dodyaado

فهم أن تعبيرها هو دليل موافقة، فقال: "كنا خمسة وأصبحنا الآن ثلاثة فقط".

لـــيس هذا ما كانت تتوقعه. بقيت محدقة إلى عينيه بالرغم من أن الأمر أزعجها.

"لتحسين توزيع الحصة من خمسة إلى أربعة، قتلنا جايسون".

جفلـــت في داخلها عند سماع الاسم. لا تريد أن تعرف أسماء أو ترى وجوهاً.

قـــال: "والآن اختفى جون كنوكس. كان جوني يتولى المراقبة، لكـــنه لم يتصل. نحن الثلاثة لم نتفق على تحسين التوزيع من أربعة إلى ثلاثة. لم يتم التطرق أبداً إلى هذه المسألة".

ميتش، فكرت على الفور.

في الخـــارج، تبدلت سرعة الرياح. توقف الهدير وتحول إلى شيء آخر، فأوحى إلى هولي بحكمة الصمت.

تابع القول: "خرج الاثنان الآخران في جولة البارحة، على نحو منفـــصل، في أوقـــات مخـــتلفة. يمكن أن يكون أحدهما قد قام بقتل جوني".

لمكافأته على كشف هذه الحقائق، تناولت المزيد من الشوكولاته.

راقب فمها مرة جديدة وقال: "ربما قررا توزيع الحصة على اثنين. أو أن واحداً منهما يريد الحصول عليها كلها".

لم تشأ أن تبدو متنافرة فقالت: "لن يفعلا هذا".

قال: "ربما. هل تعرفين فاليسيتو في نيومكسيكو؟".

لعقت هولي الشوكولاته عن شفتيها وقالت: "لا".

قـــال: "مكان بسيط جداً. العديد من هذه الأماكن بسيطة جداً وإنما جميلة جداً. تغيرت حياتي في فاليسيتو".

"كيف تغيرت؟".

بـــدلاً مـــن الإجابـــة، قال: "يجدر بك رؤية لاس ترامباس في نيومكسيكو تحت الثلج. مجموعة متناثرة من المباني المتواضعة، حقول بيـــضاء، هـــضاب منخفـــضة مليئة بالأدغال، والسماء بيضاء مثل الحقول".

قالت: "أنت شاعر نوعاً ما". وكانت تقصد ذلك إلى حدٍّ كبير.

"لا توجد كازينوهات في لاس فيغاس، نيومكسيكو. توجد *حياة* ويوجد غموض".

شـــبك يديـــه البيضاوين، ليس للتأمل، ولا حتماً للتضرع، وإنما لـــتملك وعـــيه الخـــاص على ما يبدو، كما لو أن يديه فرحتا بلقاء بعضهما.

"في ريو لوتشيو، تملك إلويزا ساندوفال مزاراً للصالح الخيّر أنتوني في مطـــبخها الصغير. تم ترتيب اثني عشر شكلاً من السيراميك، بمعدل واحد لكل ولد وحفيد. تضاء الشموع كل ليلة".

أملـــت في أن يكشف حقائق جديدة عن شريكيه الباقيين، لكنها عرفت أنه يجدر بها إظهار اهتمامها بكل ما يقوله.

"يقـــود إرنـــست ساندوفال سيارة شيفي إمبالا موديل 64 مع سلاســـل فولاذية عملاقة لعجلة القيادة، ولوحة سيارة مدهونة حسب طلبه، وسقف منجد بالمخمل الأحمر".

الأصابع الطويلة داعبت بعضها، برقة ولطافة.

"إرنـــست مهتم للصالحين الخيرين الذين لا تعرفهم زوجته التقية. ويعرف... أماكن مذهلة".

بـــدأ لوح مستر غودبار يلتصق في فم هولي، في حنجرتها، لكنها قضمت قضمة أخرى منه.

"الأرواح القديمة تعيش في نيومكسيكو، قبل وجود البشرية. هل تثقين في ذلك؟".

إذا شـــجعته كثيراً، سيعتبرها غير صادقة. "لا أظن ذلك. أحياناً، نـــشعر جميعاً... بأن شيئاً ما ينقصنا. لكن هذه هي حال الجميع. هذه هي الطبيعة البشرية".

"أرى أنـــك تـــثقين في ذلك هولي رافيرتي. ثمة بذرة صغيرة فيك تنتظر أن تتفتح".

كانـــت عيـــناه واضـــحتين مثل الجدول الصافي، لكن برزت في أعماقهما أشكال غريبة لم تستطع التعرف إليها.

نظـــرت إلى الأسفل، وقالت برزانة: "أخشى أنك ترى فيّ الكثير من الأمور. لست مفكرة عميقة".

"الـــسر لا يكمن في التفكير. نفكر في كلمات. وما يكمن وراء الحقـــيقة التي نراها هو حقيقة لا تستطيع الكلمات احتواءها. السر هو الإحساس".

"هل ترى، بالنسبة إليك إنه مفهوم بسيط، لكن حتى هذا المفهوم عميق بالنسبة إليّ". تضحك بنعومة على نفسها. "حلمي الأكبر هو أن أعمل في العقارات".

أكـــد لهـــا: "أنـــت تخففين من قيمة نفسك. توجد داخلك... إمكانات هائلة".

كـــان معصماه الكبيران ويداه الشاحبتان الطويلتان خالية تقريباً مـــن الـــشعر، إمـــا بـــصورة طبيعية أو لأنه يستخدم الكريم المزيل للشعر.

40

فـــيما عـــصفت الرياح القوية عبر النافذة المفتوحة لباب السائق، تجاوز ميتش منـــزل أنسون في كورونا ديل مار.

وقعـــت أزهـــار بيضاء قشدية كبيرة من شجرة المغنوليا الكبيرة وتجمعـــت أمـــام الباب الأمامي، وكانت مضاءة بمصباح علوي يبقى مضاءً طوال الليل، فيما كان المنـــزل مظلماً.

لا يصدق أن أنسون عاد إلى المنـــزل، واغتسل، وخلد إلى النوم بسعادة بعد الانتهاء من قتل والديه. لا بد أنه في مكان ما؛ ويفعل شيئاً ما.

لم تعـــد سيارة الهوندا الخاصة بميتش مركونة أمام الرصيف حيث تركها عندما جاء أول مرة إلى هنا بناء على تعليمات الخاطفين.

أمـــام المبنى الثاني، ركن السيارة، وألهى لوح شوكولاته هيرشي، ورفـــع النافذة، وأقفل سيارة الكرايزلر ويندسور. إلا أن هذه السيارة لفـــتت الانتباه لسوء الحظ بين السيارات العصرية المحيطة، بحيث بدت مثل شيء عظيم بين مجموعة ألعاب.

ذهب ميتش إلى الممر المؤدي إلى مرأب أنسون. سطعت الأضواء في الطابق الأرضي من المبنى الخلفي فوق مرأب السيارتين.

بعـــض الأشـــخاص يملكـــون عملاً يبقيهم مشغولين عند الثالثة والنصف بعد منتصف الليل. أو أنهم يعانون من الأرق.

وقف ميتش في الممشى، وأبعد قدميه عن بعضهما لمقاومة الرياح العاصفة. تأمل النوافذ العالية المغطاة بالستائر.

بعـــد مكتبة كامبل، دخل حقيقة جديدة. بات يرى الأمور الآن بوضوح أكثر مما رآها قبلاً في منظوره السابق.

إذا كـــان أنـــسون يملك ثمانية ملايين دولار ويختاً كبيراً، ثمة احتمال أنه يملك كلا المبنيين، وليس فقط مبنى واحداً مثلما يدعي. إنه يعيش في المبنى الأمامي ويستخدم المبنى الخلفي بمثابة مكتب يطبق فيه النظرية اللغوية على تصميم البرامج، أو على أي شيء آخر جعله غنياً.

إن الـــشخص الذي يجلس وراء هذه النوافذ المغطاة بالستائر، لم يكـــن جـــاراً، بـــل كان أنسون نفسه الذي جلس هناك، أمام شاشة كمبيوتر.

إنـــه ربمـــا يخطـــط لمؤامرة، عبر اليخت، لتنفيذها خارج سلطة القانون.

ثمة بوابة فتحت على ممر ضيق خلف المرأب. تجاوزها ميتش وسار في الممر وصولاً إلى الفناء القرميدي الفاصل بين المبنيين. كانت أضواء الفناء مطفأة.

حـــول الـــردهة القرميدية، تم زرع مجموعة متنوعة من الأزهار والنباتات، بالإضافة إلى أجمات وأشجار أزهرت براعم حمراء.

المـــنازل في الجهتين الأمامية والخلفية، والأسوار الجانبية الطويلة، والمنازل المجاورة المحتشدة قرب بعضها ساعدت كلها على صدّ الرياح. بالـــرغم من تأثرها بالرياح العاصفة خارجاً، هبت نسمات أكثر خفة عبر منحدرات السقوف وتراقصت مع النباتات الخضراء في الفناء بدل اقتلاعها.

وقـــف ميتش تحت أوراق خنشارة تاسمانية، تمايلت، وارتجفت. جلس القرفصاء هناك، واختلس النظر من الردهة.

أوراق الخنـــشار العريضة والمنفلشة ارتفعت وانخفضت، وارتفعت وانخفـــضت، لكـــن الردهة لم تنحجب أبداً عنه في أي وقت. إذا بقي

حـــذراً، لا يمكن أن يفوّت رؤية رجل ينتقل من المبنى الخلفي إلى المبنى الأمامي.

تحت الأوراق المنفلشة للخنشارة، شمّ رائحة تربة غنية، وسماد غير عضوي، ورائحة العشب المسكية.

شعر في البداية بالارتياح، وذكّره بالحياة التي كانت أكثر بساطة، قبل ست عشرة ساعة فقط. لكن بعد دقائق قليلة، أعاد خليط الروائح إلى ذهنه رائحة الدم.

في الردهة فوق المرأب، انطفأت الأضواء.

انغلق باب بقوة، بمساعدة عاصفة الهواء ربما. إلا أن أصوات الريح لم تحجـــب تمامـــاً صـــوت الخطى الثقيلة المسرعة التي نـــزلت الدرج الخارجي وصولاً إلى الفناء.

بـــين أوراق الأشـــجار، لمـــح ميتش شخصاً ضخماً يعبر الردهة القرميدية.

لم يدرك أنسون أن أخاه وراءه، يقترب منه، وأطلق صرخة مخنوقة عندما أصاب مسدس التايزر جهازه العصبـــي.

عندما تعثر أنسون إلى الأمام، محاولاً البقاء واقفاً على قدميه، بقي ميتش قريباً منه. أعطى مسدس التايزر طلقة إضافية.

وقع أنسون على الأرضية الأجرية. برم على ظهره. انتفض جسمه الـــضخم. انهارت ذراعاه قربه. برم رأسه من جانب إلى آخر، وأصدر أصواتاً أوحت بأنه على وشك ابتلاع لسانه.

لا يـــريد ميـــتش أن يبتلع أنسون لسانه، لكنه لن يفعل أي شيء للحؤول دون حصول ذلك.

41

صـــفقت الـــرياح القوية بجناحيها على الجدران وفوق السقف، وبدت العتمة نفسها تنتفض.

اليدان الخاليتان من الشعر، مثل حمامتين بيضاوين، داعبتا بعضهما في الضوء الخفيف للمصباح الوامض نصف المغطى.

قـــال الـــصوت الهادئ: "في إيل فال، نيومكسيكو، ثمة مقبرة نـــادراً مـــا يجزّ فيها العشب. بعض القبور عليها حجارة، وبعضها الآخر لا".

أنهـــت هولي الشوكولاته. شعرت بالقليل من الغثيان. شيء مثل طعم الدم في فمها، فاستخدمت البيبسي لغسله.

"بعـــض القبور المفتقدة إلى الحجارة محاطة بأسوار صغيرة منحوتة من أغصان أشجار الفاكهة والخضار".

كـــل ذلـــك يفـــضي إلى مكان ما، لكن أفكاره انسابت وفق مسارات عصبية لا يمكن استباقها إلا بعقل منحرف مثل عقله.

"ثمـــة أشـــخاص يطلـــون الأسوار الخشبية بألوان فاتحة؛ الأزرق الفاتح، الأخضر الشاحب، الأصفر الخافت مثل دوار الشمس".

بالـــرغم من الغموض القوي الكامن تحت لوهما الناعم، لم تعد تشعر في الوقت الحاضر بنفور منهما مثلما تنفر من يديه.

"تحـــت ضـــوء هـــلال خافت، بعد أربع ساعات من إغلاق قبر جديد، أنجزنا بعض الحفريات وفتحنا التابوت الخشبـــي لطفلة".

كررت هولي: "الأصفر الخافت مثل دوار الشمس" وهي تحاول مـــلء عقلـــها بذلك اللون كحماية من صورة الفتاة الموضوعة في تابوت.

"كانـــت في الثامنة، وماتت بسبب السرطان. دفنوها مع ميدالية صـــغيرة للصالح الخير كريستوفر في يدها اليسرى، ودمية سندريلا من البورسلين في يدها اليمنى لأنها كانت تحب تلك القصة".

لن تصمد أزهار دوار الشمس، وباتت هولي ترى في عقلها صورة الـــيدين الـــصغيرتين اللتين تتشبثان بحماية الصالح الخيّر، ووعد الفتاة الفقيرة التي أصبحت أميرة.

"بفعـــل مرور بعض الساعات في قبر طفلة بريئة، اكتسبت هذه الأغراض قوة أكبر. باتت مغسولة بالموت ومصقولة بالروح".

كلما نظرت أكثر إلى عينيه، أصبحتا مألوفتين أقل.

"أخـــذنا من يديها الميدالية والدمية الصغيرة، واستبدلناهما بـــ... أشياء أخرى".

اخـــتفت إحدى يديه البيضاوين في جيب سترته السوداء. عندما ظهـــرت مجـــدداً، كانت تحمل ميدالية الصالح الخير كريستوفر معلقة بسلسلة فضية.

قال: "خذي. إنها لك".

لم تنفر لأن هذا الشيء آتٍ من قبر، وإنما لأنه تم أخذه من يد فتاة ميتة.

ما يحصل هنا أكثر بكثير مما يعبّر عنه بالكلمات. إنه نص خفي لم تفهمه هولي.

أحست أن رفض الميدالية لأي سبب سيفضي إلى عواقب مريعة. مـــدت يـــدها الـــيمنى، فلفّ سلسلة الميدالية حول معصمها بطريقة عشوائية.

"هل تعرفين إسبانيولا في نيومكسيكو؟".

طوت يدها حول الميدالية وقالت: "إنه مكان آخر فوّته".

قـــال: "ستتغير حياتي هناك". فيما رفع المصباح الوامض ووقف على قدميه.

تـــركها في العـــتمة مع علبة بيبسي نصف ممتلئة، التي توقعته أن يأخذها. نيتها- أو هكذا كانت- هي سحق العلبة والحصول منها على مخل لمساعدتها في رفع المسمار العنيد.

ستؤدي ميدالية الصالح الخيّر كريستوفر عملاً أفضل. إنها مصنوعة مـــن النحاس ومطلية بالفضة أو النيكل، وهي أكثر قساوة من الألمنيوم الطري لعلبة البيبسي.

لقـــد غـــيرت زيارة خاطفها نوعية هذا المكان المعتم. كان ظلمة موحـــشة. تخيلـــته الآن هولي مسكوناً بالجرذان والبقّ ومجموعات من الحشرات الزاحفة.

42

وقـــع أنسون بقوة أمام الباب الخلفي، وبدا كأن الرياح صفقت لانهياره.

مـــثل كائن معتاد على تصفية الأوكسيجين من الماء وبات الآن عاجزاً على الشاطئ، انتفض أنسون وتنشج. ارتعشت يداه، وطقطقت أصابعه على الأرضية.

استدار نحو ميتش، وحرك فمه، كما لو أنه يحاول التكلم، أو ربما يحـــاول الصراخ ألماً. إلا أن كل ذلك صدر على شكل صراخ خفيف، صوت خفيف جداً، كما لو أن حنجرته تقلصت لتصبح بقطر الدبوس.

جرب ميتش الباب. غير مقفل. فتحه ودخل المطبخ.

كانت الأنوار مطفأة. لم يشغلها.

لم يكن واثقاً من الوقت الذي ستستمر فيه تأثيرات الصدمة، آملاً أن تـــستمر لدقيقة أو دقيقين، ووضع مسدس التايزر على رف، وعاد إلى الباب المفتوح.

منهكاً، أمسك ميتش أنسون من رسغيه، لكن أخاه لم يكن قادراً علـــى ركلـــه. جرّه إلى المنـــزل، وجفل عندما ارتطمت الجهة الخلفية لرأس أنسون بالعتبة المرتفعة.

أغلـــق الباب وأضاء الأنوار. كانت الستائر مغلقة، مثلما كانت عندما تلقى وأنسون الاتصال الهاتفي من الخاطفين.

لا تـــزال قـــدر الحساء على النار، باردة وإنما فاحت منها رائحة عطرة.

تقـــع غرفة الغسيل بالقرب من المطبخ. تحقق منها ووجدها مثلما يذكرها: صغيرة، من دون نوافذ.

أمـــام طاولة المطبخ، كانت الكراسي الأربع مصنوعة من الفولاذ الصامد والفينيل الأحمر. أزح واحدة منها ونقلها إلى غرفة الغسيل.

علـــى الأرض، معانقاً نفسه كما لو أنه يتجمد، وإنما محاولاً على الأرجـــح مـــنع نفـــسه من الانتفاض، محاولاً السيطرة على تشنجات العـــضلات الـــتي باتت أقل قوة وإنما لا تزال مستمرة، أصدر أنسون أصوات كلب متألم.

قد يكون الألم حقيقياً. قد يكون تمثيلاً. احتفظ ميتش بمسافة آمنة.

أخـــذ مسدس التايزر. مدّ يده نحو ظهره وسحب المسدس الذي أقحمه تحت حزامه.

"أنسون، أريدك أن تستدير، ووجهك إلى الأسفل".

تحـــرك رأس أخـــيه من جانب إلى آخر، ليس للرفض وإنما ربما بطريقة لاإرادية.

www.rewity.com dodyadodo

اســـتباق الانـــتقام كان بحدّ ذاته نوعاً مختلفاً من دفق السكر. في الواقع، لا شيء فيه طعمه حلو.

"أصـــغِ إليّ. أريـــدك أن تـــبرم وتزحف قدر المستطاع إلى غرفة الغسيل".

خرج اللعاب من زاوية في فم أنسون. لمع ذقنه.

لا يزال أنسون يبدو مشوشاً وغير مسيطر تماماً على جسمه.

تـــساءل ميتش إذا كانت طلقتا التايزر المتتاليتان، علماً أن الطلقة الثانية ربما كانت طويلة جداً، قد أحدثتا ضرراً دائماً. بدا أنسون أسوأ من مذهول.

ســـقوط الرجل الضخم كان قد انطوى ربما على مأساة لو سقط عن ارتفاع، لكنه وقع من مكان منخفض إلى آخر أكثر انخفاضاً.

طـــارده ميتش، مكرراً الأوامر نفسها. ثم قال: "اللعنة أنسون، إذا اضطررت، سأعطيك طلقة ثالثة، وأجرّك إلى هناك فيما أنت عاجز".

تحـــرك الباب الخلفي، فصرف انتباه ميتش عنه. وحدها يد الريح اختـــبرت المقبض فيما هبت الرياح القوية بجرأة أكبر في الفناء الخلفي المسقوف.

عـــندما نظر إلى أنسون مجدداً، لاحظ إدراكاً حاداً في عينيّ أخيه، وحـــسابات ماكرة، اختفت في نظرة التشوش تلك. برمت عينا أنسون في محجريهما.

انتظر ميتش نصف دقيقة. ثم تحرك بسرعة نحو أخيه.

أحـــسّ أنـــسون بقدومـــه، وظنّ أنه سيستخدم مسدس التايزر، فجلس للإمساك به.

إلا أن ميـــتش ضغط بدلاً من ذلك على المسدس، مفوتاً أخاه عن قصد، ولكن ليس كثيراً. عند الإحساس بطلقة المسدس، تراجع أنسون

إلى الخلـــف مذهولاً، وضربه ميتش بالمسدس على جانب رأسه، بقوة كافية لتؤلم بشدة؛ بقوة كافية، مثلما تبين، لتفقده الوعي.

الهدف كان الحصول على تعاون أنسون عبر إقناعه بأنه لا يتعاطى مع ميتش نفسه الذي عرفه قبلاً. لكن هذا نجح أيضاً.

43

ليس ثقيلاً. إنه أخي. هراء. إنه أخ ميتش، وهو ثقيل.

تبين أن جرّه فوق الأرضية الخشبية المصقولة في المطبخ وصولاً إلى غـــرفة الغـــسيل أصعب كثيراً مما توقع ميتش. كان جعله يجلس على الكرسي أقرب إلى المستحيل، لكن ميتش نجح في ذلك.

اللـــوح المنجد في متن الكرسي مثبت بين قضيبين فولاذيين. ثمة مساحة مفتوحة بين الإطار وكل جانب من اللوح المنجد.

مرر يديّ أنسون عبر هاتين الفجوتين. باستعمال الأغلال نفسها التي قيّدت يديه قبلاً، كبّل معصميّ أخيه وراء الكرسي.

بـــين الأغـــراض الموجودة في درج الأدوات، وجد ثلاثة أسلاك كهربائية احتياطية. ثمة واحد برتقالي سميك طوله أربعون قدماً تقريباً.

بعـــد تمريـــره عبر قوائم الكرسي وقضبان العارضة، ربط ميتش الـــسلك حول الغسالة. بما أنه أقل مرونة من الحبل العادي، يحتمل أن يحدث السلك المطاطي عقداً رخوة، ولذلك ربط ثلاث عقد.

بالـــرغم من أن أنسون قد يتمكن من الوقوف في نصف قرفصاء، سيضطر إلى رفع الكرسي معه. لكن بما أنه مثبت بالغسالة، لن يستطيع الذهاب إلى أي مكان.

الضربة بالمسدس جرحت أذنه. كان ينـــزف ولكن ليس بغزارة.

تـــرك المصباح العلوي مضاءً، وصعد ميتش إلى الأعلى إلى غرفة الـــنوم الرئيسة. رأى ما كان يتوقعه: مصباحان صغيران موضوعان في قابسين في الحائط، لكنهما غير مضاءين في الوقت الحاضر.

عـــندما كـــان أنسون طفلاً، كان ينام مع ضوء خفيف. وعندما أصـــبح مراهقاً، استخدم مصباحاً ليلياً شبيهاً بهذين المصباحين. في كل غـــرفة من منـــزله، بمثابة استعداد لانقطاع الكهرباء، احتفظ بمصباح وامض يبدل بطاريته أربع مرات كل سنة.

نـــــزل ميتش إلى الطابق السفلي مجدداً، وألقى نظرة سريعة على غرفة الغسيل. لا يزال أنسون فاقد الوعي على الكرسي.

فتش ميتش في أدراج المطبخ إلى أن عثر على المكان الذي يحتفظ فـــيه أنـــسون بالمفاتيح. أخذ المفتاح الاحتياطي للمنـــزل. أخذ أيضاً مفاتـــيح ثـــلاث سيارات مختلفة، بما فيها مفتاح سيارة الهوندا، وغادر المنـــزل عبر الباب الخلفي.

شـــك في أن يكـــون الجيران قد سمعوا الطلقة- وإذا سمعوها، لا يحتمل أنهم تعرفوا إلى طبيعتها- لأنها اختلطت مع صوت الريح. إلا أنه ارتاح لعدم رؤية أضواء في المنازل على كلا الجانبين.

صـــعد الـــسلالم وصولاً إلى الردهة فوق المرأب، وجرّب الباب، الذي كان مقفلاً. ومثلما توقع، فتح المفتاح الاحتياطي لمنـــزل أنسون هذا الباب.

في الداخل، وجد المكتب المنـــزلي لأنسون يحتل مساحة يفترض أن تكـــون عـــادة غرفة جلوس وغرفة طعام. اللوحات البحرية حملت توقيع بعض الفنانين القاطنين في المبنى الأمامي.

أربعـــة أجهـــزة كمبيوتر امتدت أمام كرسي واحدة بعجلات. أوحى حجم الكمبيوترات، التي كانت أكبر كثيراً من أي شيء يوجد

عـــادة في منـــزل، بأن عمله يتطلب حسابات سريعة متعددة وتخزيناً كبيراً للمعطيات.

لم يكـــن ميـــتش عبقرياً في الكمبيوتر. لم يتوهم أبداً أن بوسعه تشغيل هذه الآلات - إذا كانت كلمة *تشغيل* تستخدم أصلاً في الوقت الحاضر - واكتشاف طبيعة العمل الذي جعل أخاه غنياً.

بالإضـــافة إلى ذلك، لا شك في أن أنسون استخدم الكثير من ســـبل الوقاية، وكلمات المرور والإجراءات، لصدّ المحتالين الجديين. لطالمـــا أحب الرموز المعقدة والغريبة في الخرائط التي كان القراصنة يستخدمونها للوصول إلى كنوزهم في تلك القصص التي فتنته عندما كان صبياً.

خـــرج ميـــتش وأقفـــل الباب، ونـــزل إلى المرأب الأول بين المـــرأبين. رأى هـــناك سيارة الإكسبديشون التي قادها إلى منـــزل كامبل في رانشو سانتا في وسيارة بويك سوبر وودي واغون موديل 1947.

في المرأب الآخر الذي يتسع لسيارتين، كانت هناك مساحة فارغة إضافة إلى سيارة الهوندا الخاصة بميتش، التي تركها في الشارع.

لقد خبأها أنسون هنا ربما بعدما قادها إلى أورانج، وأخذ أدوات الحديقـــة الخاصـــة بميتش بالإضافة إلى بعض ملابسه، واصطحبها إلى منـــــزل دانيال وكاتي لقتلهما، ثم عاد إلى منـــزل ميتش مجدداً لزرع الأدلة المجرّمة.

فـــتح ميتش صندوق السيارة. لا تزال جثة جون كنوكس ملفوفة بالبساط القماشي.

بـــدا كـــأن حـــادث القبو حصل قبل زمن بعيد جداً، في حياة أخرى.

عاد إلى المرأب الأول، واستدار بسيارة الإكسبديشون، ونقلها إلى المساحة الفارغة في المرأب الثاني.

بعـــد نقل الهوندا لركنها قرب سيارة البويك، أغلق الباب الكبير لذلك المرأب.

سحب الجثة المتمردة من صندوق الهوندا. بعد وضعها على أرض المرأب، أخرج الجثة من البساط.

لم يحـــدث تلـــف كبير فيها بعد. إلا أن رائحة بشعة فاحت من الرجل الميت، بحيث أراد ميتش الهروب منها بسرعة.

هـــبّت الـــرياح على النوافذ العالية الصغيرة للمرأب، كما لو أنها أحـــبت طعـــم المـــوت وجاءت بنفسها لرؤية ميتش ينجز هذا العمل المشؤوم.

ظنّ أن كل هذا العمل بالجثث يجب أن ينطوي على شيء من المهـــزلة، خـــصوصاً وأن كنوكس تخشب من الموت وكان تحريكه مزعجاً جداً. لكنه عانى في الوقت الحاضر من اضطراب الافتقاد إلى الضحك.

بعـــدما وضع جثة كنوكس في سيارة البويك، وأغلق الصندوق الخلفي، طوى البساط ووضعه في صندوق سيارة الهوندا. سيتخلص منه في النهاية في مكب النفايات أو في برميل نفايات شخص غريب.

لا يذكـــر أنـــه شعر يوماً بهذا الإرهاق: جسدياً، عقلياً، عاطفياً. شـــعر بوخز في عينيه، وبألم كبير في مفاصله، وبورم كبير في عضلاته كافٍ لتذويب العظم.

السكر والكافيين في لوح الشوكولاته ربما منعا محركه من التعطل. الخـــوف مدّه بالوقود أيضاً. لكن ما أبقى عجلاته قيد العمل هو فكرة وجود هولي بين أيدي الوحوش.

إلى أن يفـــرقنا المـــوت كان الالتزام الذي قطعاه لبعضهما خلال الـــزواج. لكـــن بالنسبة إلى ميتش، لن تحرره خسارتها. سيستمر هذا الالتزام. ستكون بقية حياته مجرد انتظار صبور.

مـــشى في الممـــر المؤدي إلى الشارع، وعاد إلى سيارة الكرايزلر ويندســـور، وأعادهـــا إلى المـــرأب الـــثاني. ركـــنها قـــرب سيارة الإكسبديشون، وأغلق الباب.

نظر إلى ساعته إنها تشير إلى 4:09.

في تسعين دقيقة، أو ربما أكثر، أو أقل، ستهب الرياح القوية من الـــشرق معلنة بزوغ الفجر. وبما أن الغبار حلّق عالياً في الجو، سيكون أول شعاع ضوء وردي اللون، وسيعبر السماء بسرعة، ليختفي في لون سماء أكثر نضوجاً فيما يهبّ نحو البحر.

منذ أن التقى هولي، كان يستقبل كل يوم بالكثير من التوقعات. لكن هذا اليوم مختلف.

عـــاد إلى المنـــزل، ووجد أنسون مستيقظاً في غرفة الغسيل، وفي مزاج سيئ.

44

الجـــرح في أذنـــه اليسرى بات مغطى بقشرة قاسية، وساعدت حرارة الجسم على تجفيف الدم الذي سال على وجنته وعنقه.

قـــسماته الوسيمة تحولت أكثر قساوة، كما لو أن عدوى وراثية أدخلـــت دي أن أيـــه ذئب إلى وجهه. انطبق فكّا أنسون بشدة على بعـــضهما بحيث تشابكت عضلات وجهه، وتلألأت عيناه بالغضب، وجلس في صمت مضطرب.

لم تكـــن الـــرياح قوية هنا. حمل أنبوب التهوئة أصوات تنهدات وهمـــسات مـــن الخـــارج إلى نـــشافة الغسيل بحيث بدا وكأن روحاً مضطربة تسكن هذه الآلة.

قال ميتش: "ستساعدني على استعادة هولي حية".

لم تفـــضِ هذه العبارة إلى الموافقة ولا إلى الرفض، وإنما فقط إلى تحديق مندهش.

"سيتـــصلون في أقـــل من سبع ساعات ونصف الساعة لإعطاء تعليمات طريقة التسليم".

اللافت أن أنسون، المحتجز في الكرسي، المقيد، بدا أكثر ضخامة مـــن قبل. شددت الأغلال على قوته الجسدية، وبدا كأنه إذا وصل إلى ذروة غضبه، مثل كائن في قصة خرافية، سيتمكن من فك قيوده بسهولة.

في غـــياب ميـــتش، حـــاول أنسون تحرير الكرسي من الغسالة. انـــزاحت القوائم الفولاذية للكرسي وخدشت الأرضية، تاركة ندوباً كـــشفت قوة الجهد المبذول ولكن من دون جدوى. كما انـــزاحت الغسالة من مكانها و لم تعد بمحاذاة النشافة.

ذكّـــره ميـــتش: "قلـــت إنـــك تستطيع تسوية الأمر بالهاتف، بالكمبيوتر. قلت إن ثلاث ساعات تكفي على الأكثر".

بصق أنسون على الأرض بينهما.

"إذا كـــنت تملـــك ثمانية ملايين، يمكنك تخصيص مليونين لهولي. عندما ينتهي الأمر، لن نرى بعضنا مجدداً. أنت تعود إلى بؤس الحياة التي اخترتها لنفسك".

إذا اكتشف أنسون أن ميتش عرف بموت دانيال وكاتي في غرفة الـــتعلم، فـــلا يمكنه الحصول على تعاونه. سيظن أن ميتش بدّل الأدلة المزروعة لتركيز عين القانون على القاتل الحقيقي.

طالمـــا أنـــه يعتقد أنه لم يتم بعد كشف تلك الجريمة، سيأمل في أن يـــؤدي الـــتعاون إلى لحظـــة يرتكب فيها ميتش خطأ يقلب حظهما.

قال أنسون: "لن يتركك كامبل وشأنك".

"لا".

"إذاً... كيف؟".

"قتلت الرجلين".

"أنت؟".

"الآن عليّ التعايش مع هذا".

"أنت قتلت فوسكي وكريد".

"لا أعرف اسميهما".

"هذان هما اسماهما، حسناً".

قال ميتش: "بسببك".

"فوسكي وكريد؟ لا أفهم".

"لا بد أن يتركني كامبل بحالي عندئذ".

"لن يتركك كامبل أبداً بحالك".

"صدق ما تريده".

مـــن تحـــت حاجب ناتئ، تأمله أنسون بعينين متألمتين. "من أين حصلت عليه؛ مسدس التايزر؟".

كذب ميتش: "من فوسكي وكريد".

"أخذته منهما ببساطة؟".

"مـــثلما أخـــبرتك، أخذت كل شيء منهما. أعطيك الآن بضع ساعات لتفكر في الأمور".

"يمكنك الحصول على المال".

"ليس هذا ما أريدك أن تفكر فيه".

"يمكنك الحصول عليه، لكن لديّ بعض الشروط".

قال ميتش: "لست أنت من يفرض الشروط".

"المليونان مني".

"لا. أصبحا لي الآن. استحقيتهما".

"اهدأ، اتفقنا؟".

"لو كنت مكانهم، لاغتصبتها أولاً".

"هاي، تعرف أنه مجرد شيء قلته".

"لو كنت مكانهم، لقتلتها ولكن كنت لأغتصبها أولاً".

"كان مجرد شيء قلته. على كل حال، أنا لست هم".

"لا، لست هم. أنت سببهم".

"خطأ. الأمور تحصل. تحصل فقط".

"لولاك، لما كانت حصلت لي".

"إذا أردت اعتبار الأمور بهذه الطريقة، فليكن".

"هذا ما تحتاج إلى التفكير فيه الآن؛ من أنا الآن".

"تريدني أن أفكر في من أنت الآن؟".

"لم أعد أخاك العزيز. هل تفهم؟".

"لكنك أخي الصغير".

"إذا كنت تعتبرني هكذا، ستتخذ خطوة أقع في شركها، لكنني لن أقع في الفخ الآن".

"إذا استطعنا عقد اتفاق، لن أتخذ أي خطوات".

"لقد عقدنا الاتفاق أصلاً".

"أنت تهينني كثيراً يا رجل".

"هل تستطيع إذاً مواجهتي؟".

"كيف يمكن لأي اتفاق أن يتم من دون أدنى مقدار من الثقة؟".

"تجلس هنا وتفكر في السرعة التي يمكن أن تموت فيها".

أطفأ ميتش الأضواء، واجتاز العتبة.

في غرفة الغسيل المظلمة الخالية من النوافذ، قال أنسون: "ماذا تفعل؟".

قال ميتش: "أوفر أفضل بيئة للتعلم" وأغلق الباب وراءه.

قال أنسون: "ميكي؟".

ميكي. بعد كل هذا، ميكي.

"ميكي، لا تفعل هذا".

أمام مغسلة أطباق المطبخ، فرك ميتش يديه، باستعمال الكثير من الصابون والماء الساخن، محاولاً غسل ذكرى لمس جثة جون كنوكس، التي بدت وكأنها مدموغة في بشرته.

من البراد، أخرج علبة من شرائح جبنة الشيدر وعلبة من الخردل. عثر على خبز وحضر سندويش جبنة بارداً.

قال أنسون من غرفة الغسيل: "أنا أسمعك هناك. ماذا تفعل ميكي؟".

وضع ميتش السندويش على طبق. أضاف الكبيس المخلل. أخرج من البراد قنينة شراب شعير.

"ما الجدوى من هذا ميكي؟ لقد عقدنا الاتفاق. لا جدوى من هذا".

أزاح ميتش كرسي مطبخ أخرى ووضعها تحت مقبض باب حجرة الغسيل، لتطويقه.

سأل أنسون: "ما هذا؟ ماذا يحصل؟".

www.rewity.com dodyadodo

أطفـــأ ميـــتش أضواء المطبخ. صعد إلى الأعلى إلى غرفة نوم أنسون.

بعـــد وضـــع المـــسدس والتايزر على المنضدة الليلية، جلس على السرير، وأسند ظهره على لوح السرير المنجد.

لم يقلب الشرشف الحريري المضرّب. لم يخلع حذاءه.

بعد تناول السندويش مع الكبيس المخلل، وشرب شراب الشعير، ضبط المنبه على الساعة 8:30 صباحاً.

أراد إعطـــاء أنـــسون الوقت للتفكير، لكنه أخذ هذه الاستراحة الممـــتدة علـــى أربع ساعات لأن تفكيره الشخصي بات بطيئاً نتيجة الإرهاق. يحتاج إلى عقل صاف للتفكير في ما سيحصل لاحقاً.

هـــبّت الرياح فوق السقف، وطقطقت على النوافذ، وأصدرت صوتاً خفيفاً، بحيث بدت كأنها تسخر منه، كأنها تعده بأن كل خطة له ستنتهي في الفوضى.

إنها سانتا آنا، الرياح الجافة التي تسلب الرطوبة من المزروعات في الـــوديان حـــيث تم تـــشييد العديد من المجمعات السكنية في جنوب كاليفورنـــيا، وتحول الأخضر الكثيف إلى قش يابس. يرمي المجرم شيئاً محتـــرقاً، أو يستخدم ولاعة سجائر، أو يستخدم عود كبريت؛ وتمتلئ نشرات الأخبار بأخبار على مدى أيام عدة.

الستائر مغلقة، وعندما أطفأ المصباح، سكنته الظلمة. لم يستخدم أياً من مصباحي أنسون الليليين الصغيرين.

تخـــيل وجه هولي الجميل، وقال بصوت عال: "يا الله، أعطِني من فضلك القوة والحكمة لمساعدتها".

مـــع اقتـــراب بزوغ فجر أهم يوم في حياته، لم يظن أنه يستطيع النوم، لكنه نام.

المسمار ينتظر.

تجلـــس هـــولي في الظلمة، تصغي إلى الريح، تتحسس بأصابعها ميدالية الصالح الخيّر كريستوفر.

وضـــعت جانباً علبة البيبسي من دون شرب النصف الآخر منها. لا تريد استخدام مرحاض السرير مجدداً، على الأقل ليس عندما يكون الحقـــير المـــسؤول عن حراستها هو الحقير صاحب اليدين البيضاوين الخاليتين من الشعر.

أرعبـــتها فكـــرة إفراغه لمرحاض السرير. مجرد سؤاله لفعل ذلك سبب لها إحراجاً كبيراً.

فيما تحسست الميدالية بأصابع يدها اليسرى، انخفضت يدها اليمنى إلى بطـــنها. خصرها نحيل، معدتها مسطحة. الطفل ينمو فيها سرا مثل الحلم.

قالوا إنه إذا أصغت الأم إلى الموسيقى الكلاسيكية خلال الحمل، يـــولد الطفـــل مع معدل ذكاء أعلى. وحين يولد، يبكي أقل ويكون راضياً أكثر.

قـــد يكون هذا صحيحاً. الحياة معقدة وغامضة. السبب والنتيجة ليـــسا دوماً واضحين. يقول علماء الفيزياء إن النتائج تحصل أحياناً قبل السبب. شاهدت برنامجاً حول ذلك امتد على مدى ساعة كاملة على قـــناة ديـــسكفري. لم تفهمـــه كثيراً. والعلماء الذين شرحوا الظواهر المختلفة اعترفوا أنهم لا يستطيعون شرحها، وإنما فقط مراقبتها.

حـــركت يدها على شكل دوائر صغيرة فوق بطنها، مفكرة كم سيكون الأمر جميلاً إذا تحرك الطفل بطريقة تستطيع إحساسها. إنه بلا

شـــك مجرد كرة من الخلايا في هذه المرحلة، غير قادر بعد على الركل تعبيراً عن قوله *مرحبًا أمي*.

لكـــن حتى الآن، إنه موجود هنا، عبارة عن شخص صغير جداً داخل جسمها، مثل لؤلؤة تتأصل في محارة، وكل شيء تفعله سيؤثر في صغيرها. لا شراب فرنسي بعد اليوم مع العشاء. تخفيف القهوة. ممارسة تمارين رياضية خفيفة. تفادي خطف آخر.

جعلها الصالح الخيّر كريستوفر، كونه حامي الأولاد، تفكر مجدداً في المسمار فيما رسمت صورته بأطراف أصابعها.

إنها ربما غير عقلانية، إذ تأخذ مسألة تعلم الجنين في الرحم بهذه الجدية. لكن يبدو لها أنه إذا غرزت مسماراً في شريان رجل ما، أو في عيـــنه وصولاً إلى دماغه، وهي حامل، سيؤثر الحادث حتماً في الطفل.

العواطـــف القوية جداً – حسب قناة ديسكفري – تجعل الدماغ يأمـــر بإطلاق دفق كبير من الهرمونات أو المواد الكيميائية الأخرى في الدم. ولا شك في أن جنون القتل يعتبر عاطفة قوية.

إذا كـــان الكثير من الكافيين في الدم يعرض حياة الجنين للخطر، فـــإن دفق أنـــزيم الماما القاتلة غير مرغوب فيه حتماً. تنوي استخدام المسمار على رجل سيئ، طبعاً، رجل سيئ جداً، لكن الطفل لن يعرف أبداً أن الضحية ليس رجلاً جيداً.

لن يولد الطفل مع ميول قتل بسبب حادث واحد من الدفاع عن النفس. إلا أن هولي تفكر في المسمار.

قـــد يكون هذا القلق غير العقلاني أحد أعراض الحمل، مثل دوار الـــصباح، الـــذي لم تختـــبره بعـــد، أو مـــثل التوق إلى الآيس كريم بالشوكولاته مع الكبيس المخلل.

يؤدي الحذر أيضاً دوراً في تفكيرها ملياً في مشروع المسمار. فعند التعاطـــي مـــع أشخاص مثل أولئك الذين خطفوها، من الأفضل عدم الهجـــوم علـــيهم إلا إذا كـــنت واثقاً من أنك تستطيع إنجاز الاعتداء بنجاح.

إذا حاولـــت غرز مسمار في عين شخص ما، لكنك أصبت أنفه بـــدلاً من ذلك، ستجد نفسك أمام مريض نفسي مجرم غاضب تعرض لطعنة في الأنف. ليس هذا جيداً.

كانـــت لا تزال تتحسس ميدالية الصالح الخيّر كريستوفر، وتفكر في إيجابـــيات وسلبيات مواجهة رجال مسلحين أشرار بواسطة مسمار طوله ثلاثة إنشات فقط، عندما عاد ممثل هيئة السياحة في نيومكسيكو.

جاء وراء مصباح وامض له عدسة نصف مخبأة، كما حصل قبلاً، وكشف عن يديّ عازف البيانو الآتي من الجحيم. ركع أمامها ووضع المصباح الوامض على الأرض.

قـــال: "أحببت الميدالية" وهو يبدو مسروراً لرؤيتها تداعبها بين أصابعها كما لو أنها حرزة فأل خير.

شـــجعتها الغريزة على التماشي مع غرابته. "تعطيني إحساساً... مثيراً".

"الفتاة في التابوت ارتدت فستاناً أبيض بسيطاً مع تخريم زهيد على الياقة والكمين. بدت مسالمة جداً".

مـــضغ كـــل فتات اللحم الميت عن شفتيه المتشققتين. أصبحتا حمراوين وبدتا متورمتين.

"وضـــعت زهرة غاردينيا بيضاء في شعرها. عندما فتحنا الغطاء، كانت رائحة الغاردينيا قوية".

أغمضت هولي عينيها لتفادي ذلك.

"أخـــذنا الميدالـــية ودمية سندريلا إلى مكان قرب أنجل فاير، في نيومكسيكو، حيث توجد دوامة".

ظن بلا شك أنها تعرف ما يقصده بكلمة *دوامة*.

أصـــبح صـــوته الرقيق أكثر رقة، وحزيناً تقريباً، عندما أضاف: "قتلتهما معاً أثناء نومهما".

للحظة، ظنت أن هذه العبارة لها علاقة بالدوامة في أنجل فاير، في نيومكسيكو، وحاولت فهمها في هذا السياق. لكن عندما أدركت ما يعنيه، فتحت عينيها.

"زعمـــا أنهما لا يعرفان ماذا حصل لجون كنوكس، لكن واحداً منهما على الأقل يعرف ما حصل، حسناً، وربما الاثنان".

في غـــرفة مجاورة، يوجد رجلان ميتان. لم تسمع صوت إطلاق النار. ربما ذبحهما.

استطاعت تصور يديه الشاحبتين الخاليتين من الشعر وهما تحملان شـــفرة مستقيمة بلباقة لاعب الخفة الذي يبرم قطع النقود المعدنية بين أصابعه.

أصبحت هولي معتادة على الأغلال حول رسغيها، وعلى السلسلة الـــتي تـــربطها بحلقة مثبتة في الأرض. أصبحت فجأة مدركة بقوة أنها ليـــست فقط مسجونة في غرفة من دون نوافذ وإنما محصورة أيضاً في الجزء من الغرفة الذي تتيح لها السلسلة الوصول إليه.

قـــال: "كـــنت لأصبح الضحية التالية، ولكانا تقاسما الحصة بين اثنين".

خطط خمسة أشخاص لقتلها. بقي واحد فقط.

إذا لمـــسها، لن يكون هناك أحد لسماع صراخها. إنهما وحدهما معاً.

سألت: "ماذا يحصل الآن؟"، ثم تمنت لو أنها لم تسأل.

"سأتحدث إلى زوجك عند الظهر، مثلما كان مقرراً. يفترض أن يكون أنسون قد أعطاه المال. ثم يعود الأمر إليك".

سمعـــت عـــبارته الثالثة، لكنها كانت مثل الليمونة الجافة التي لم تستطع استخراج أي عصير منها. "ماذا تقصد؟".

بـــدلاً مـــن الإجابة عن سؤالها، قال: "كجزء من احتفالات دار العـــبادة، يـــأتي كرنفال صغير إلى بيناسكو، في نيومكسيكو، في شهر أغسطس".

راودهـــا الإحساس المجنون أنه إذا اقتلعت قناع التزلج المحبوك عن وجهـــه، لن تكون هناك قسمات في وجهه باستثناء العينين الزرقاوين والفم مع الأسنان الصفراء والشفتين المتقرحتين. لا حاجبان، لا أنف، لا أذنان، البشرة ناعمة ومن دون تفاصيل مثل الفينيل الأبيض.

"فقـــط دولاب فيريـــس وبعض الألعاب الأخرى؛ وبصّارة العام الماضي".

ارتفعـــت يـــداه إلى الأعلـــى لوصف شكل دولاب فيريس، ثم وضعهما على فخذيه.

"تقـــول البصارة إن اسمها مدام تيراسياس، لكنه ليس حتماً اسمها الحقيقي".

كانت هولي تضغط على الميدالية بقوة كبيرة في يدها بحيث آلمتها مفاصل أصابعها واندمغت بلا شك صورة الصالح الخيّر في راحة يدها.

"مـــدام تيراســـياس كاذبة، لكن المضحك هو أنها تملك قوى لا تدركها".

توقـــف بـــين عبارة وأخرى كما لو أن ما قاله عميق جداً بحيث أرادها أن تستوعبه.

"لا حاجة أبداً إلى أن تكون كاذبة إذا استطاعت معرفة حقيقتها، وأنا أنوي كشفها لها هذه السنة".

الـــتحدث من دون رعشة في صوتها يتطلب سيطرة على الذات، لكن هولي أعادته إلى السؤال الذي لم يجب عنه: "ماذا تقصد بأن الأمر يعود إليّ؟".

حـــين يبتـــسم، يختفي جزء من فمه من الشق الأفقي في القناع. يجعـــل ذلك ابتسامته تبدو ماكرة وخبيرة، كما لو أن أحداً لا يستطيع إخفاء أسرار عنه.

قـــال: "تعـــرفين ماذا أقصد. لست مدام تيراسياس. تعرفين تماماً نفسك".

أحـــست أنـــه إذا أنكرت توكيده، ستختبر صبره وربما تغضبه. صوته الناعم وأسلوبه الرقيق هما صوف الحمل، ولا تريد هولي إخراج الذئب المختبئ وراء الصوف.

قالت: "أعطِني الكثير لأفكر فيه".

"أعـــرف ذلك. كنت تعيشين وراء ستارة، وتعرفين الآن أنه لا توجد فقط نافذة وراءها، وإنما عالم جديد تماماً".

خـــشيت أن تؤدي كلمة واحدة غير صحيحة إلى تحطيم القوقعة التي اختبأ تحتها القاتل، فقالت هولي فقط: "نعم".

وقـــف على قدميه. "لديك بعض الساعات لتقرري. هل تحتاجين إلى أي شيء؟".

مسلس، قالت لنفسها، لكنها أجابت: "لا".

"أعرف ما هو قرارك، لكنك عليك التوصل إليه من تلقاء نفسك. هل ذهبت يوماً إلى غوادالوبيتا في نيومكسيكو؟".

"لا".

انحنت ابتسامته وراء الشق في القناع الأسود. "ستذهبين إلى هناك وستصابين بالذهول".

لحق بمصباحه الوامض، وتركها وحدها في الظلمة.

أدركت هولي تدريجياً أن الرياح لا تزال تعصف بقوة. لكن منذ أن أخبرها أنه قتل الخاطفين الآخرين، اختفت الرياح من وعيها.

للحظة، لم تسمع إلا صوته. صوته المباشر وغير المباشر.

لم تـــسمع حتى قلبها، لكنها تسمعه الآن، وتشعر به أيضاً، يخفق بقوة بين قفص ضلوعها.

الطفـــل، الكـــتلة الـــصغيرة من الخلايا، يسبح الآن في بحر المواد الكيميائـــية الـــتي أمر دماغها بإطلاقها في دمها. قد لا يكون هذا سيئاً جـــداً. لا بل قد يكون جيداً. ربما السباحة في هذا الدفق يجعل الطفل رافيرتي، هو أو هي، أكثر صلابة.

إنـــه عـــالم يستلزم صلابة الأشخاص الجيدين أكثر من أي وقت مضى.

مـــع ميدالـــية الصالح الخيّر كريستوفر، انكبت هولي للعمل على المسمار العنيد.

القسم الثالث

إلى أن يفرقنا الموت

46

أيقظ المنبه ميتش عند الساعة الثامنة والنصف، والرياح التي أقلقت أحلامه لا تزال تعصف في العالم الحقيقي.

جلس على حافة السرير لدقيقة، متثائباً، ناظراً إلى راحتيّ يديه. بعد كل ما فعلته هاتان اليدان الليلة الماضية، يفترض أن تبدوان مختلفتين عما كانتا تبدوان قبلاً، لكنه لم يميز أي تغيير.

مرّ أمام أبواب الخزانة المغطاة بالمرايا ولاحظ أن ملابسه ليست مجعدة بطريقة غير اعتيادية. لقد استيقظ في الوضعية نفسها التي نام فيها. ولا بد أنه لم يتحرك أبداً خلال أربع ساعات.

في الحمام، فتش في الأدراج، وعثر على عدد من فراشي الأسنان غير المفتوحة. فتح واحدة واستعملها، ثم حلق بواسطة آلة حلاقة أنسون الكهربائية.

حمل المسدس والتايزر، ونزل إلى المطبخ.

لا تزال الكرسي عالقة تحت مقبض باب غرفة الغسيل. لم يصدر أي صوت من هناك.

كسر ثلاث بيضات، وسكب فوقها صلصة التاباسكو، وحركها بالشوكة، ورش عليها جبنة البارميزان، وأكلها مع شريحتين من التوست بالزبدة وكوب من عصير البرتقال.

كالعادة، بدأ يجمع الأطباق لغسلها، لكنه أدرك بعدها تفاهة أن يكون ضيفاً مهذباً في مثل هذه الظروف، فترك الأطباق الوسخة على الطاولة.

عندما فتح غرفة الغسيل وأضاء الأنوار، وجد أنسون مكبلاً كما في السابق، منقوعاً في العرق. لم تكن الغرفة ساخنة على نحو غير اعتيادي.

سأله ميتش: "هل فكرت في من أكون؟".

لم يعد أنسون يبدو غاضباً. انحنى في الكرسي وأرخى رأسه الكبير. لا يبدو أصغر جسدياً. لكنه تضاءل بطريقة ما.

عندما لم يجب أخوه، كرر ميتش السؤال: "هل فكرت في من أكون؟".

رفع أنسون رأسه. كانت عيناه حمراوين، لكن شفتيه شاحبتان. تلألأ العرق على لحيته الصغيرة.

"أنا في وضع سيئ هنا"، قال بصوت لم يستخدمه أبداً من قبل، صوت نحيب وذل أوحى بأنه يشعر بأنه الضحية.

"مرة جديدة، هل فكرت في من أكون؟".

"أنت ميتش، ولكن ليس ميتش الذي أعرفه".

"هذه بداية".

"هذا جزء منك الآن... لا أعرف ما أنت عليه".

"أنا زوج. أنا أزرع. أحافظ".

"ماذا يفترض أن يعني ذلك؟".

"لا أتوقعك أن تفهم".

"عليّ الذهاب إلى الحمام".

"هيا".

"أكاد أنفجر. أريد فعلاً التبول".

"لن تهينني".

"تقصد *هنا*؟".

"صحيح أن المكان فوضوي، لكنه ملائم".

"لا تفعل هذا بي، أخي".

"لا تنادِني أخي".

قال أنسون: "لا تزال أخي".

"بيولوجياً".

"يا رجل، ليس هذا عدلاً".

"لا، ليس عدلاً".

تركت قوائم الكرسي المزيد من الخدوش على بلاط الأرضية. تشققت بلاطتان.

سأل ميتش: "أين تخبئ المال النقدي؟".

"لا آخذ كرامتك بهذه الطريقة".

"أنت سلمتني إلى قتلة".

"لم أذلّك أولاً".

"قلت إنك ستغتصب زوجتي وتقتلها".

"هل وقفت عند هذا؟ لقد شرحت هذا".

تحرك بقوة كبيرة لتحرير الكرسي من الغسالة لدرجة أن السلك البرتقالي السميك كشف عن باطنه المعدني عند زاوية الغسالة.

"أين تحتفظ بالمال النقدي، أنسون؟".

"أملك، لا أعرف، بضع مئات من الدولارات في محفظتي".

"لست غبياً. لا تراوغ معي".

قال أنسون بصوت المتألم. "هذا مؤلم جداً".

"ما هو المؤلم؟".

"ذراعاي. كتفاي تحترقان. دعني أغير الوضعية. كبّل يديّ أمامي. هذا تعذيب".

بدا أنسون مثل ولد ضخم صغير وهو يكشّر بفمه. ولد له دماغ زاحف يحسب ببرودة.

قال ميتش: "فلنتحدث عن المال النقدي أولاً".

"تظن أنه يوجد مال نقدي، الكثير من المال النقدي؟ لا يوجد".

"إذا قمت بتحويل المال عبر المصارف، لن أرى هولي أبداً".

"ربما. لا يريدونك أن تبكي أمام رجال الشرطة".

"لن يجازفوا بتعرفها إليهم في المحكمة".

"يستطيع كامبل إقناعهم بالتخلي عن هذا".

"بضرب أمهاتهم واغتصاب أخواتهم".

"هل تريد استعادة هولي أم لا؟".

"قتلت اثنين من رجاله. هل سيساعدني الآن؟".

"ربما. سيكون هناك احترام الآن".

"لن يكون احتراماً متبادلاً".

"يا رجل، عليك البقاء مرناً بشأن الأشخاص".

"سأخبر الخاطفين أن المقايضة ستتم عبر مال نقدي".

"إذاً، لن تتم المقايضة".

أصرّ ميتش: "لا بد أنك تخبئ المال النقدي في مكان ما".

"المال يكسب الاهتمام. لا أخبئه في فراش".

"قرأت كل قصص القراصنة".

"إذاً؟".

"*توحدت* مع القراصنة، وظننت أنهم رائعون".

كشّر أنسون كما لو أنه يتألم، وقال: "أرجوك يا رجل. دعني أذهب إلى الحمام. أنا في وضع سيئ جداً".

"الآن أنت قرصان. حصلت على مركبك، وتدير أعمالك من البحر. القراصنة لا يضعون أموالهم في المصارف. يحبون لمس المال، النظر إليه. يدفنونه في الكثير من الأماكن بحيث يستطيعون الوصول إليه بسهولة عندما يتبدل حظهم".

"ميتش، أرجوك، يا رجل. أعاني من تشنجات في المثانة".

"المال الذي تجنيه من الاستشارات؛ نعم، يذهب إلى المصرف. لكن المال الآتي من أعمال كهذه - كيف تسميها - *أعمال* جرمية مثل العمل الذي أنجزته مع هؤلاء الرجال وخدعتهم بشأن الحصة، هذا المال لا يذهب إلى المصرف. أنت لا تدفع ضرائب عليه".

لم يقل أنسون أي شيء.

"لن آخذك إلى مكتبك وأراقبك فيما تستخدم الكمبيوتر لتنقل الأصول وتدبر نقل الأموال. أنت أكبر مني. أنت يائس. لن أعطيك فرصة قلب الطاولة. ستبقى في هذه الكرسي إلى أن ينتهي هذا".

قال أنسون بنبرة اتهامية: "لطالما كنت موجوداً لمساعدتك".

"ليس دوماً".

"أقصد عندما كنا صغيرين. لطالما كنت موجوداً لمساعدتك عندما كنا صغيرين".

قال ميتش: "في الواقع، كنا موجودين لمساعدة بعضنا".

طمأنه أنسون: "صحيح. نعم. أخوان حقيقيان. يمكننا العودة إلى ذلك".

"حقاً؟ وكيف نعود إلى ذلك؟".

"لا أقول إن الأمر سهل. ربما نبدأ ببعض الصدق. أنا فاسد، ميتش. ما فعلته بك مريع فعلاً. كنت أتعاطى المخدرات، يا رجل، وأفسدت عقلي".

"لم تكن تتعاطى المخدرات. لا تلقِ اللوم على ذلك. أين المال النقدي؟".

"أخي، أقسم لك إنه يتم تبييض الأموال القذرة، وتنتهي في المصرف هي الأخرى".

"لا أصدق ذلك".

"يمكنك سحقي، لكن هذا لا يغير ما هو صحيح".

نصحه ميتش: "لماذا لا تفكر أكثر في الأمر؟".

"ما من شيء لأفكر فيه. أياً كان".

أطفأ ميتش الضوء.

قال أنسون بتوسل: "هاي، لا".

اجتاز العتبة، وأغلق الباب وراءه، وأبقى ميتش أخاه في العتمة.

47

بـــدأ ميتش في العلية. ثمة خزانة في الحائط في غرفة النوم الرئيسة. يتيح الوصول إليها سلم قابل للطي.

ثمـــة مـــصباحان عاريان أنارا بطريقة غير ملائمة المساحة العالية، وكشفا عن بيوت العناكب في الزوايا.

صدر صوت تنفس متعب، صوت هسيس، وصوت لهث جائع في كل شق في الإفريز، كما لو أن العلية هي قفص كنار والرياح هي هرة جائعة.

هكـــذا، كانـــت الطبيعة المقلقة لرياح سانتا آنا بحيث اضطربت العناكب أيضاً نتيجتها. تحركت بعبثية في شباكها.

ما من شيء محفوظ في العلية. كاد ينسحب، لكن الشك أوقفه.

هـــذه المساحة الفارغة لها أرضية من ألواح الخشب. ربما لن يخفي أنـــسون الكثير من المال النقدي تحت صفيحة من ألواح الخشب المثبتة بـــستة عـــشر مـــسماراً. لن يتمكن من الوصول إليه بسرعة في حال الطوارئ.

لكـــن لـــتفادي الروافد الخشبية المائلة، انحنى ميتش ومشى ذهاباً وإياباً، مصغياً إلى صوت خطواته المجوفة. تملكه إحساس باطني غريب، إحساس أنه على وشك اكتشاف شيء ما.

لفت انتباهه مسمار. المسامير الأخرى في الأرض مسطحة، لكن هذا المسمار مرتفع مسافة ربع إنش تقريباً.

ركـــع أمام المسمار لتأمله. كان الرأس عريضاً ومسطحاً. استناداً إلى حجـــم الرأس وسماكة ربع الإنش التي كشفها، يحتمل أن المسمار طوله ثلاثة إنشات على الأقل.

عـــندما قرص المسمار بين الإبهام والسبابة وحاول تحريكه، وجد أنه مثبت بإحكام.

سيطر عليه شعور غريب، شبيه وإنما مختلف عما شعر به عندما رأى حقل العشب يتحول إلى بركة فضية بفعل نسيم الهواء وضوء القمر.

شـــعر فجأة بقرب كبير من هولي بحيث نظر فوق كتفه، متوقعاً جـــزئياً رؤيتها هناك. لم يختفِ الشعور، وإنما ازداد قوة، إلى أن أحس ببرودة في لحم الجهة السفلية من عنقه.

غادر العلية ونـــزل إلى المطبخ. في الدرج حيث عثر على مفاتيح الـــسيارة تـــوجد أيضاً مجموعة صغيرة من الأدوات الأكثر استخداماً. اختار مفك براغي ومطرقة مسامير.

من غرفة الغسيل، قال أنسون: "ماذا يجري؟".

لم يجب ميتش.

عـــاد إلى العلـــية مرة جديدة، ووضع مخلب المطرقة على المسمار وسحبه إلى الأعلى. استخدم مفك البراغي بمثابة مخل، ونقر على المقبض بواســـطة المطـــرقة ثم رفـــع المسمار الثاني مسافة ربع إنش من اللوح الخشبـــي واستخدم مخلب المطرقة لاستخراجه أيضاً.

تحـــركت العـــناكب المـــضطربة وخرجت بصمت من شباكها الحريرية، و لم تهدأ الرياح أبداً.

ازدادت الـــبرودة في الجهـــة الخلفية لعنقه مع كل مسمار. عند استخراج المسمار الأخير، رفع بقوة لوح الخشب.

لم يعثر إلا على عارضات تدعيم الأرضية. ثمة بطانيات من العازل الزجاجي الليفي ملأت المساحات بين عارضات التدعيم.

رفـــع العـــازل الزجاجي الليفي. لا توجد خزنة أو رزم من المال مخبأة تحت العازل.

اختفى الإحساس الفطري، مثلما اختفى الإحساس أنه كان قريباً نوعاً ما من هولي. جلس مذهولاً.

بالله عليكم ما كان كل هذا؟

راقب العلية، و لم يشعر بأي رغبة في رفع بقية ألواح الخشب.

كـــان تقييمه الأولي صحيحاً. في حال اندلاع النيران، إن لم يكن لـــسبب آخر، لن يخبئ أنسون الكثير من المال حيث لا يستطيع النفاذ إليه بسرعة.

ترك ميتش العناكب في الظلمة مع الرياح القوية.

في خـــزانة الغـــرفة الرئيـــسة، بعد طي السلم وإغلاق الباب السري، تابع بحثه. فتش وراء الثياب المعلقة، وتحقق من الأدراج بحثاً عن مخابئ مخفية، وتحسس كل رف وكل إفريز بحثاً عن مخل مخفي قد يفتح لوحاً.

في غـــرفة النوم، بحث وراء اللوحات المعلقة على أمل العثور على خزنة في الجدار، بالرغم من أنه شك في أن يكون أنسون بدهياً إلى هذه الدرجـــة. حتى إنه أزاح السرير المزدوج من مكانه، لكنه لم يعثر على بلاطة رخوة في السجادة توحي بوجود خزنة في الأرض.

فـــتش ميـــتش الحمامين، وخزانة الممر، وغرفتيّ نوم إضافيتين لا تحتويان على المفروشات. لا شيء.

في الأســـفل، بـــدأ في المكـــتب المليء برفوف الماهوغاني المغطاة بالكتب. هناك الكثير من المخابئ المحتملة بحيث كان قد انتهى فقط من نـــصف الغرفة عندما ألقى نظرة سريعة على ساعته ورأى أنها الساعة 11:33.

سيتصل الخاطفون بعد سبع وعشرين دقيقة.

في المطـــبخ، حمـــل المسدس وذهب إلى غرفة الغسيل. عندما فتح الباب، استقبلته رائحة البول.

أنار النور ووجد أنسون في حال تعيسة.

معظـــم البول امتصه سرواله وجوربه وحذاؤه، لكن بقعة صفراء صغيرة تكونت على الأرضية عند قوائم الكرسي.

بالإضـــافة إلى الغـــضب الشديد، فإن أقرب شيء إلى العواطف البـــشرية لـــدى المرضـــى الاجتماعيين هو حب الذات والشفقة على الـــذات، علماً أنهما الحب والشفقة الوحيدان الممكنان لديهم. الدرجة القصوى من حبهم الذاتي تتخطى جنون العظمة.

أما حب الذات عند المرضى النفسيين فلا ينطوي على شيء مهم مـــثل الاحتـــرام الذاتي، وإنما ينطوي على نوع من الكبرياء القوي. لا يستطيع أنسون الإحساس بالخزي، لكن كبرياءه نـــزل من مكان عالٍ إلى مستنقع من الشفقة على الذات.

لم يـــستطع اسمـــراره إخفاء لونه الشاحب. بدا وجهه اسفنجياً، مفتقداً إلى الحياة. كانت العينان الحمراوان بمثابة بركتين من العذاب.

قال: "انظر إلى ما فعلته بـــي".

"أنت فعلت ذلك بنفسك".

إذا كانت الشفقة على الذات تركت فيه مجالاً للغضب، يكون قد أخفاه جيداً.

"هذا مقرف، يا رجل".

وافقه ميتش الرأي: "هذا مقرف جداً".

"أنت تضحك كثيراً".

"لا. ما من شيء مضحك هنا".

"أنت تضحك من الداخل".

"أكره هذا".

"إذا كنت تكره هذا، أين خجلك الآن؟".

لم يقل ميتش أي شيء.

"أين وجهك الأحمر؟ أين أخي المتورد خجلاً؟".

"الوقت ينفد منا، أنسون. سيتصلون قريباً. أريد المال النقدي".

"علـــى ماذا أحصل؟ ما نصيبـــي في ذلك؟ لماذا يفترض بـــي أن أعطي وأعطي فقط؟".

مـــدّ ذراعه كاملة، متخذاً الوضعية التي اعتمدها كامبل مع ميتش نفسه، ثمّ صوّب المسدس نحو وجه أخيه.

"أعطِني المال وأتركك على قيد الحياة".

"وأي نوع من الحياة سيكون لديّ؟".

"تحـــتفظ بكـــل شيء آخر حصلت عليه. أنا أدفع الفدية، وأهتم بذلك من دون أن تعرف الشرطة بحصول الخطف، بحيث لا يأخذ أحد إفادة منك".

لا شك في أن أنسون كان يفكر في دانيال وكاتي.

كـــذب ميـــتش: "تـــستمر كما في السابق، وتعيش الحياة التي تريدها".

كان باستطاعة أنسون لصق تهمة قتل والديه بميتش بسهولة لو أن ميـــتش مـــات ودفن في قبر صحراوي لا يمكن اكتشافه. لم يعد الأمر سهلاً جداً الآن.

قال أنسون: "أعطيك المال، تطلق سراحي".

"هذا صحيح".

قال مشككاً: "كيف؟".

"قبل أن أغادر لعقد الصفقة، أوجه إليك ضربة تايزر جديدة، ثم أفك قيدك. أتركك فيما لا تزال تتقلب".

فكر أنسون في الأمر.

"هـــيا أيها القرصان. تخلَّ عن الكنـــز. إذا لم تخبرني قبل أن يرن الهاتف، ينتهي كل شيء".

نظر أنسون إلى عينيه.

لم ينظر ميتش بعيداً. "سأفعل ذلك".

قال أنسون: "أنت مثلي تماماً".

"إذا كان هذا ما تريد ظنه".

لم تتحـــرك نظرة أنسون. كانت عيناه جريئتين. عيناه مباشرتان وقويتان.

إنـــه مكـــبل بكرسي. آلمته كتفاه وآلمته ذراعاه. ارتدى سروالاً مبللاً. كان يحدق إلى فوهة مسدس.

إلا أن عينـــيه بقيتا ثابتتين ومليئتين بالحسابات. جرذ القبر، الذي حفـــر لإحـــداث أنفاق في سلسلة من الجماجم، يبدو الآن يحتل هذا الرأس الحي، ويحدق إلى حسابات الجرذ السريعة.

قال أنسون: "هناك خزنة في أرض المطبخ".

48

الخـــزانة السفلى إلى يسار المجلى احتوت على رفين. فيهما أوعية وطناجر.

أفـــرغ ميتش الرفين ونـــزعهما من مكانهما، وكشف عن أرضية الخزانة ربما في أقل من دقيقة.

في الزوايا الأربع، كانت هناك دعامات خشبية صغيرة مزوّاة. إنها في الواقع مسامير تثبت لوح الأرضية في مكانه.

نـــزع المسامير، ورفع أرضية الخزانة، وكشف الدعامات الإسمنتية التي شيد عليها المنـــزل. توجد خزنة أرضية في قلب الإسمنت.

الأرقـــام التي أعطاه إياها أنسون نجحت من التجربة الأولى. رفع الغطاء الثقيل بعيداً عنه.

ربما كان طول العلبة المقاومة للنيران قدمين، وعرضها ثمانية عشر إنـــشاً، وعمقهـــا قدماً واحدة. في الداخل، وجد كدسات سميكة من أوراق المـــئة دولار مغلفة بورق النايلون ومثبتة بشريط لاصق شفاف. احـــتوت الخزنة أيضاً على مغلف أسمر. حسب أنسون، يحتوي هذا المغلف على سندات تم إصدارها من مصرف سويسري. تملك سيولة بقدر أوراق المئة دولار تقريباً، لكنها مدمجة أكثر وأسهل على النقل عبر الحدود.

نقل ميتش الكنـــز إلى طاولة المطبخ وتحقق من محتويات المغلف. إنها ستة سندات صادرة بالدولار الأميركي، بقيمة مئة ألف كل منها، يمكن دفعها لحاملها بغض النظر إذا كان هو من اشتراها أم لا.

قـــبل يـــوم واحد فقط، لم يتوقع أن يمتلك هذا القدر من المال؛ وشـــك في أن يجد نفسه يوماً مع هذا القدر من المال النقدي في حياته. إلا أنه لم يشعر بأي ذهول أو فرح عند رؤية هذه الثروة.

إنهـــا فدية هولي، وشعر بالامتنان للحصول عليها. هذا المال هو أيضاً سبب خطفها، ولهذا السبب نظر إليه باشمئزاز كبير بحيث كره لمسه.

أشارت ساعة المطبخ إلى أنها 11:54.

ست دقائق قبل الاتصال.

عاد إلى غرفة الغسيل، حيث ترك الباب مفتوحاً والنور مناراً.

جلـــس أنسون على الكرسي لكنه كان في مكان آخر، لكثرة ما كان شارداً. لم يعد إلى الحاضر إلا عندما تحدث إليه ميتش.

"ستمئة ألف في سندات. كم هو المال النقدي؟".

قال أنسون: "البقية".

"بقية المليونين؟ إذاً، هناك مليون وأربعمئة ألف نقداً؟".

"هذا ما قلته. أليس هذا ما قلته؟".

"سأعده".

"هيا".

"إذا لم يكـــن كله موجوداً هنا، تنتهي الصفقة. لن أحررك عندما أغادر".

شعر أنسون بالإحباط وحرك أغلاله في الكرسي. "ما الذي تحاول فعله بـــي؟".

"أشـــرح لك الوضع. لكي أستمر في الصفقة، عليك الاستمرار فيها. سأبدأ العدّ الآن".

ابـــتعد ميتش عن الباب، نحو طاولة المطبخ، وقال أنسون: "هناك ثمانمئة ألف نقداً".

"ليس مليون وأربعمئة؟".

"المال كله، بين مال نقدي وسندات، هو مليون وأربعمئة. اختلط الأمر عليّ".

"نعم، اختلط الأمر عليك. أحتاج إلى ستمئة ألف إضافية".

"هذا كل الموجود. لم أعد أملك المزيد".

"قلت إنك لا تملك هذا أيضاً".

قال أنسون: "لا أكذب دوماً".

"القراصنة لا يدفنون كل شيء يملكونه في مكان واحد".

"هلا توقفت عن قصة القراصنة هذه؟".

"لماذا؟ لأنها تجعلك تشعر أنك لم تنضج أبداً؟".

أشارت الساعة إلى 11:55.

استلهَمَ ميتش شيئاً ما وقال: "أوقف قصة القراصنة لأنني ربما قد أفكر في اليخت. اشتريت لنفسك يختاً. كم خبأت على متنه؟".

"لا شـــيء. لم أخبئ شيئاً في المركب. لم أملك الوقت لأضع فيه خزنة".

قـــال ميـــتش: "إذا قتلوا هولي، سأراجع سجلاتك هنا، وأحصل على اسم اليخت، وأعرف مكانه. سأذهب إلى الميناء مع فأس ومثقاب كهربائي".

"افعل ما تريد فعله".

"ســـأحطم اليخت وعندما أعثر على المال وأعرف أنك كذبت عليّ، سأعود إلى هنا وألصق فمك بشريط لاصق كي لا تكذب عليّ بعد الآن".

"أنا أقول لك الحقيقة".

"سأحبسك هنا في الظلمة، من دون ماء، من دون طعام، أحبسك هنا إلى أن تموت بسبب جفاف جسمك. سأجلس هنا في المطبخ، أمام طاولتك، آكل طعامك، أصغي إليك وأنت تموت في الظلمة".

لم يصدق ميتش أنه يستطيع قتل أحد بهذه الطريقة الوحشية، لكنه بدا لنفسه قاسياً وبارداً ومقنعاً.

إذا خـــسر هـــولي، ربما يصبح أي شيء ممكناً. بسببها، عاد إلى الحياة. من دونها، سيموت جزء منه، وسيصبح أقل من رجل.

بـــدا أن أنسون يفكر في الشيء نفسه، إذ قال: "لا بأس. حسناً. أربعمئة ألف".

"ماذا؟".

"في اليخت. سأقول لك أين تجدها".

"نبقى بحاجة إلى مئتي ألف".

"لم يعـــد هـــناك المـــزيد. لـــيس مالاً نقدياً. عليّ تصفية بعض الأصول".

استدار ميتش للنظر إلى ساعة المطبخ. 11:56.

"أربع دقائق. لم يبقَ وقت للأكاذيب، أنسون".

"هلا صدقتني مرة واحدة؟ فقط لمرة واحدة؟ لم يعد هناك أي مال نقدي".

قـــال ميـــتش قلقاً: "عليّ أصلاً تغيير شروط المقايضة. لا تحويل للأموال. عليّ الآن مفاوضتهم لحسم مئتيّ ألف".

طمأنه أنسون: "سيقبلون. أعرف هؤلاء الرجال. هل سيرفضون مليوناً وثمانمئة ألف؟ لا مجال. لن يرفض هؤلاء الحقيرون".

"يستحسن أن تكون محقاً".

"اسمع، لقد اتفقنا الآن، أليس كذلك؟ ألم نتفق؟ لا تتركني إذاً في الظلمة".

اســـتدار ميتش بعيداً عنه. لم يطفئ ضوء غرفة الغسيل، ولم يغلق الباب.

أمـــام الطاولة، حدق إلى السندات وإلى المال النقدي. رفع القلم والدفتر الصغير وتوجه إلى الهاتف.

لم يستطع تحمل رؤية الهاتف. الهواتف لا تحمل له أخباراً جيدة في الآونة الأخيرة.

أغمض عينيه.

قبل عامين، تزوجا من دون حضور العائلة. دوروثي، الجدة التي ربّت هولي، ماتت فجأة قبل خمسة أشهر. لجهة والدها، توجد عمة وقريبان. لا تعرفهم. ولا يهتمون.

لم يستطع ميتش دعوة أخيه وأخواته الثلاث من دون توجيه الدعوة إلى أهله. وهو لا يريد حضور دانيال وكاتي.

لم تحفزه المرارة. لم يستثنِهما بدافع الغضب أو العقاب. كان *خائفاً* من وجودهما.

هذا الزواج هو فرصته الثانية للحصول على عائلة، وإذا أخفق، لن يملك الشجاعة للتجربة مرة ثالثة. دانيال وكاتي هما مرض شامل في العائلات، مرض يشوه النبتة ويقضي على ثمارها إذا لم يعالج من جذوره.

بعد ذلك، أخبرا عائلته أنهما تزوجا، لكنهما أقاما في الواقع احتفالاً صغيراً وحفل استقبال في المنزل لعدد محدود من الأصدقاء. كان إيغي محقاً: الفرقة الموسيقية كانت فاشلة. الكثير من الطبول. ومغنٍّ شاب ظن أن أفضل حيلة لديه هي إطالة المواويل.

بعدما غادر الجميع وباتت الفرقة الموسيقية ذكرى مضحكة، رقص وهولي بمفردهما، على صوت راديو، على حلبة الرقص المتحركة التي تم تركيبها في الفناء الخلفي خصيصاً للمناسبة. كانت رائعة جداً تحت ضوء القمر، وأمسكها بقوة كبيرة، من دون وعي، كما لو أنها قد تختفي مثل الشبح، إلى أن قالت: "إنها قابلة للكسر. تعرف ذلك". فاسترخى ووضعت رأسها على كتفه. بالرغم من أنه راقص أخرق عادة، لم يخطئ أبداً في أي خطوة، ودار حولهما المنظر الطبيعي الرائع

الذي هو نتيجة جهده الصبور، فيما سطعت فوقهما النجوم التي لم يقدمها أبداً إليها لأنه ليس رجلاً شاعرياً، لكنها تملك النجوم أصلاً، وانحنى القمر أمامها، وكذلك السماء والليل.

رنّ الهاتف.

49

أجاب بعد الرنة الثانية وقال: "أنا ميتش".

"مرحباً ميتش. هل أنت متفائل؟".

هذا الصوت الناعم لم يكن الصوت نفسه في الاتصالات السابقة، وشعر ميتش بالانزعاج من هذا التغيير.

قال: "نعم، أنا متفائل".

"جيد. لا يمكن تحقيق أي شيء من دون الأمل. الأمل هو الذي أحضرني من أنجل فاير إلى هنا، والأمل هو الذي سيعيدني مجدداً".

التغيير لم يزعج ميتش بقدر ما أزعجته طبيعة الصوت. تحدث الرجل برقة تكاد تكون قريبة جداً من صوت الشبح.

"أريد التحدث إلى هولي".

"طبعاً. إنها امرأة الساعة، وتتماسك جيداً. هذه السيدة صاحبة إرادة قوية".

لم يعرف ميتش كيف يفسر هذا. ما قاله الرجل عن هولي صحيح، لكن بدا الأمر مقرفاً كونه صدر عنه.

تكلمت هولي على الهاتف. "هل أنت بخير ميتش؟".

"أنا بخير. سأصاب بالجنون، لكنني بخير. أحبك".

"أنا بخير أيضاً. لم أصب بأذى. ليس تماماً".

طمأنها: "سننتهي من هذا. لن أخذلك".

"لم أفكر يوماً في أنك قد تفعل. أبداً".

"أحبك هولي".

قالت: "يريد استعادة الهاتف" وأعادت الهاتف إلى خاطفها.

بدت مقيدة. قال لها مرتين إنه يحبها، لكنها لم تجبه بشيء مماثل. ثمة خطب ما.

عـــاد الصوت الرقيق: "حصل تغيير في الخطة، ميتش، تغيير مهم. بدلاً من تحويل الأموال، المال النقدي هو الملك".

خـــشي ميتش ألا يتمكن من إقناعهم بعدم إرسال الفدية لهم عبر تحويل الأموال. يفترض به الشعور بالارتياح نتيجة هذا التطور. إلا أنه شعر بالاضطراب. إنه دليل آخر على أن شيئاً ما حصل ودفع الخاطفين إلى تغـــيير خطـــتهم. صوت جديد على الهاتف، وهولي حذرة، والآن تفضيل مفاجئ للمال النقدي.

"هل أنت معي، ميتش؟".

"نعم. وإنما أربكتني قليلاً هنا. يجب أن تعرف... لا يملك أنسون روحاً أخوية صادقة مثلما كنت تظن".

فـــرح المتصل. "ظن الآخرون أنه يملك هذه الروح. لم أكن واثقاً أبداً. لا أتوقع دموعاً حقيقية من تمساح".

طمأنه ميتش: "أنا مسيطر على الوضع".

"هل تفاجأت بأخيك؟".

"مـــراراً وتكـــراراً. اسمع، في الوقت الحاضر، أستطيع توفير ثمانمئة ألف دولار نقداً وستمئة ألف دولار في سندات".

قـــبل أن يذكر ميتش الأربعمئة ألف الإضافية التي يفترض أن تكـــون في يخـــت أنسون، قال الخاطف: "لا شك في أن هذا مخيب

للأمل. ستحتاج الستمئة ألف الأخرى إلى الكثير من الوقت للسعي وراءها".

لم يفهم ميتش العبارة الأخيرة. "ماذا؟".

"هل تسعى، ميتش؟".

"أسعى وراء ماذا؟".

"لو كنا نعرف الجواب، لما كانت هناك حاجة إلى السعي. لا بأس في مليون وأربعمئة ألف. أظن أنه حسم على الدفع نقداً".

تفاجأ بالسهولة التي تم فيها قبول الرقم الأدنى، فقال ميتش: "هل يمكنك التحدث نيابة عن الجميع، عن شركائك؟".

"نعم، إذا لم أتحدث أنا نيابة عنهم، من سيفعل؟".

"إذاً... ما التالي؟".

"تأتي وحدك".

"حسنا".

"من دون سلاح".

"حسناً".

"ضـــع المـــال والسندات في كيس نفايات من النايلون. لا تربط الكيس من الأعلى. هل تعرف منـــزل تورنبريدج؟".

"الجميع هنا يعرفون منـــزل تورنبريدج".

"تعـــالَ إلى هـــناك في تمام الثالثة. لا تتصرف بحذاقة وتأتي باكراً وتنتظر. ستحصل مقابل ذلك على زوجة ميتة".

"سأكون هناك عند الساعة الثالثة. ليس قبل دقيقة واحدة. كيف أستطيع الدخول؟".

"تبدو البوابة مغلقة بسلسلة، لكن السلسلة مفكوكة. بعدما تدخل المكان، أعد السلسلة مثلما كانت. بماذا ستأتي؟".

"في سيارتي الهوندا".

"توقـــف مباشرة أمام المنـــزل. سترى سيارة رباعية الدفع. اركن ســـيارة الهـــوندا بعـــيداً عنها. اركنها بحيث يكون صندوقها مواجهاً للمنـــزل وافتح الصندوق. لا أريد رؤية أحد في الصندوق".

"حسناً".

"عـــندئذ، ستتـــصل بـــــي بواســـطة هاتفك الخلوي وأعطيك التعليمات".

"اسمع. هاتفي الخلوي تعطل". إنه في الواقع في مكان ما في رانشو سانتا في. "هل أستطيع استعمال هاتف أنسون؟".

"ما الرقم؟".

كان الهاتف الخلوي الخاص بأنسون موضوعاً على طاولة المطبخ، قـــرب المـــال والسندات المالية. أخذه ميتش. "لا أعرف الرقم. عليّ تشغيله وإلقاء نظرة. أعطِني دقيقة".

فـــيما انتظـــر ميـــتش ظهور شعار شركة الهاتف على الشاشة واختفاءها، قال الرجل صاحب الصوت الرقيق: "أخبرني، هل لا يزال أنسون على قيد الحياة؟".

تفاجأ ميتش بالسؤال وقال فقط: "نعم".

قال المتصل: "الجواب البسيط يخبرني بالكثير".

"ماذا يخبرك؟".

"أنه حظ من تقديرك".

"أنت تقرأ كثيراً في كلمة واحدة. إليك رقم الهاتف الخلوي".

بعـــدما قرأ ميتش الرقم ثم كرره، قال الرجل على الهاتف: "نريد مقايـــضة هادئة، ميتش. أفضل جزء في العمل هو عندما يخرج الجميع رابحاً".

لاحـــظ ميتش أنها المرة الأولى التي يستخدم فيها الرجل صاحب الصوت الرقيق صيغة الجمع بدلاً من صيغة المفرد.

ذكّره المتصل: "الساعة الثالثة". وأقفل الخط.

50

كـــل شـــيء في غـــرفة الغسيل كان أبيض. كل شيء باستثناء الكرسي الحمراء وأنسون الجالس عليها والبقعة الصفراء الصغيرة.

غاضـــباً، مـــتململاً، متحركاً من جانب إلى آخر على الكرسي، استـــسلم أنسون للتعاون. "نعم. هناك واحد منهم يتكلم هكذا. اسمه جيمي نول. إنه محترف، لكنه ليس الرجل الأول. إذا كان هو من تكلم معك عبر الهاتف، يعني أن الباقين ماتوا".

"ماتوا! كيف؟".

"حـــصل خطب ما، ربما خلاف بشأن شيء ما، وقرر الحصول على المال كله".

"إذاً، تظن أنه يوجد واحد فقط منهم الآن".

"يجعل هذا الأمور أصعب عليك، وليس أسهل".

"لماذا أصعب؟".

"بعـــدما تخلـــص من الآخرين، يميل أكثر إلى تنظيف كل شيء وراءه".

"أنا وهولي".

"فقـــط بعد أن يحصل على المال". في يأسه، وجد أنسون ابتسامة خفيفة. "تريد أن تعرف بشأن المال، أخي؟ تريد أن تعرف كيف أجني المال؟".

www.rewity.com dodyadodo

لن يقدم أنسون هذه المعلومات إلا إذا اعتقد أن المعرفة ستؤذي أخاه.

عرف ميتش أن لمعان الشر في عينيّ أنسون هو دليل على التجاهل المستمر، لكن فضوله تغلب على حذره.

قبل أن يتكلم أي منهما، رنّ الهاتف.

عـــاد ميتش إلى المطبخ، وفكر قليلاً في عدم الرد، لكنه خشي أن يكون جيمي نول هو الذي يتصل مع تعليمات إضافية.

"مرحباً؟".

"أنسون؟".

"ليس هنا".

"من أنت؟".

الصوت لا يخص جيمي نول.

قال ميتش: "أنا صديق أنسون".

بعد أن تلقى الاتصال، فإن أفضل شيء يفعله هو متابعته كما لو أن كل شيء طبيعي هنا.

سأل المتصل: "متى سيعود؟".

"غداً".

"هل يجدر بـــي تجربة هاتفه الخلوي؟".

رفـــع ميـــتش الهاتف الخلوي الخاص بأنسون عن الرف، وقال: "نسي أن يأخذه معه".

"هل توصل له رسالة؟".

"طبعاً. هيا".

"أخبره أن جوليان كامبل اتصل".

فتـــراءى له لمعان عينيه الرماديتين وبريق ساعة الرولكس الذهبية الخاصة به.

سأل ميتش: "هل من شيء آخر؟".

"هـــذا كـــل شيء. بالرغم من أنني قلق بشأن أمر ما، يا صديق أنسون".

لم يقل ميتش أي شيء.

"صديق أنسون، هل لا تزال هناك؟".

"نعم".

"أتمـــنى أن تعتني جيداً بسيارة الكرايزلر وينسور خاصتي. أحب تلك السيارة. أراك لاحقاً".

51

عثـــر ميـــتش على درج المطبخ حيث يحتفظ أنسون بعلبتين من أكـــياس الـــنفايات. اختار الحجم الأصغر وهو عبارة عن كيس أبيض سعته ثلاثة عشر غالوناً.

وضـــع رزم المال النقدي وظرف السندات المالية في الكيس. لف أعلى الكيس لكنه لم يربطه في عقدة.

في هـــذه الساعة، في حركة السير العادية، يستغرق الوصول من كـــورونا ديـــل مار إلى رانشو سانتا في ساعتين تقريباً. حتى لو كان كامـــبل يملـــك شركاء يعملون هنا في منطقة أورانج، لن يصلوا على الفور.

عندما عاد ميتش إلى غرفة الغسيل، قال أنسون: "من اتصل؟".

"كان يبيع شيئاً ما".

بلـــون البحر الأخضر والأحمر الدموي، كانت عينا أنسون مثل محيطين مهتاجين نتيجة أسماك القرش. "لا يبدو الأمر كأنه بيع".

"ستقول لي ماذا تفعل لتجني المال".

لمع الخبث في عينيّ أنسون مجدداً. أراد مشاركة انتصاره ليس بدافع الفخر وإنما لأن هذه المعلومات ستؤذي ميتش.

"تخيل أنك ترسل معطيات إلى زبون عبر الإنترنت، وتظهر عند وصولها أنها مادة بريئة؛ لنقل صوراً ونصاً تاريخياً عن إيرلندا".

"هكذا يبدو".

"ليست معطيات مشفّرة، تكون بلا معنى إذا كنت لا تملك الرمز. على العكس، تبدو المعطيات واضحة، وغير مميزة. لكن عندما تعالجها ببرنامج خاص، تجتمع الصور والنص لتتكون مجدداً في مادة مختلفة تماماً، في *الحقيقة المخباة*".

"ما هي الحقيقة؟".

"انتظر. أولاً... يحمّل الزبون البرنامج ولا يملك أبداً نسخة صلبة. إذا فتشت الشرطة في كمبيوتره وحاولت نسخ أو تحليل البرنامج التشغيلي، يدمّر البرنامج نفسه بطريقة لا يمكن ترميمها. يحصل الشيء نفسه مع المستندات المحفوظة في الكمبيوتر، سواء بالشكل الأصلي أو المحوّل".

بعدما حرص على إبقاء معلومات كمبيوتره بالحد الأدنى الذي يسمح به العالم المعاصر، لم يكن ميتش واثقاً من أنه رأى التطبيقات الأكثر فائدة لهذا، لكن خطرت له فكرة.

"إذاً، يستطيع الإرهابيون التواصل عبر الإنترنت، وأي شخص يراقب مراسلاتهم سيجد أنهم يتشاركون فقط تاريخ إيرلندا".

"أو فرنسا أو تاهيتي، أو تحليلات طويلة عن أفلام جون واين. لا مواد فاسدة، لا تشفيرات جلية تثير الشكوك. لكن الإرهابيين ليسوا سوقاً مربحة ومستقرة".

"ومن هو كذلك؟".

"هناك الكثير. لكنني أريدك أن تعرف خصوصاً بشأن العمل الذي أنجزته لجوليان كامبل".

قال ميتش: "مقاول التسلية".

"صحيح أنه يملك كازينوهات في دول عدة. يستخدمها جزئياً لتبييض الأموال من نشاطات أخرى".

اعتقد ميتش أنه عرف أنسون الحقيقي، إنه رجل مختلف تماماً عن ذلك الذي توجه معه جنوباً إلى رانشو سانتا في. لا مزيد من الأوهام. لا مزيد من العمى المفروض على الذات.

لكن في هذه اللحظة الأساسية، تكشف نموذج ثالث من الرجل، وكان غريباً على ميتش بقدر ما كان النموذج الثاني الذي ظهر للمرة الأولى في مكتبة كامبل.

بدا أن وجهه اكتسب صفة جديدة تغلغلت في زوايا جمجمته وألقت بضوء أكثر دكنة على تلك النافذتين الخضراوين المألوفتين.

تغير شيء في جسمه أيضاً. بدا أن جسماً بدائياً يحتلّ الكرسي بدلاً من الرجل الذي جلس هناك قبل دقيقة، لا يزال رجلاً لكنه رجل برز فيه الحيوان بشكل أكثر بروزاً.

أدرك ميتش هذا الأمر قبل أن يبدأ أخوه بكشف العمل الذي أنجزه مع كامبل. لا يستطيع الادعاء أن التأثير فيزيولوجي، أن بوح أنسون حوّله في عينيّ ميتش، لأن التغيير سبق البوح.

قال أنسون: "نصف واحد في المئة من الرجال مولعون بالعلاقات الشاذة بالأولاد. في الولايات المتحدة، عددهم مليون ونصف المليون. وملايين آخرون في أرجاء العالم".

في هذه الغرفة البيضاء الساطعة، أحسّ ميتش أنه على عتبة عتمة، أن بوابة مريعة تفتح أمامه، ولا مجال للعودة.

تابـــع أنسون قائلاً: "المولعون بالأولاد هم زبائن للأفلام الإباحية الخاصة بالأولاد. وبالرغم من أنهم قد يشترونها عبر عملية مقنعة بغطاء الشرطة قد تدمرهم، فإنهم يجازفون بكل شيء للحصول عليها".

من أنجز عمل هتلر، ستالين، ماو تسي تانغ؟ الجيران أنجزوا العمل، الأصدقاء، الأمهات والآباء أنجزوا العمل، والإخوة.

"إذا ظهـــرت المـــواد على شكل نص عادي عن تاريخ المسرح الـــبريطاني وتحول إلى صور مثيرة أو حتى إلى فيديو، إذا استطاعوا تلبية احتياجاتهم بأمان، يصبح من الصعب إشباع شهيتهم".

تـــرك ميتش المسدس على طاولة المطبخ. لقد شك ربما في لاوعيه في مثل هذه الفضيحة و لم يثق في نفسه مع السلاح.

"يملـــك كامبل مئتيّ ألف زبون. خلال عامين، يتوقع الحصول علـــى مليون زبون من كل أرجاء العالم، وعائدات بخمسة مليارات دولار".

تذكر ميتش البيض المخفوق والتوست الذي حضره في مطبخ هذا الكـــائن، وانقلـــبت معدته لمجرد التفكير في أنه أكل الطعام من أطباق، وبأدوات، لمستها هاتان اليدان.

"الـــربح علـــى المبـــيعات الإجمالية هو ستون في المئة. الراشدون ينجزون العمل للمتعة. لكن النجوم الصغار لا يدفع لهم. و لمَ يحتاجون إلى المال في هذا العمر؟ أنا توليت جزءاً من عمل جوليان. أخبرتك أنني أملك ثمانية ملايين، لكنه في الواقع ثلاثة أضعاف هذا الرقم".

أصبحت غرفة الغسيل مزدحمة على نحو لا يطاق. أحسّ ميتش أنه بالإضافة إليه وإلى أخيه، هناك أساطيل حاضرة.

"أخي، أردتك فقط أن تعرف كم هو قذر ذلك المال الذي سينقذ هـــولي. في بقية حياتك، عندما تقبلها، تلمسها، ستفكر في مصدر كل ذلك المال القذر القذر".

مقـــيداً عاجزاً في الكرسي، جالساً وسط بوله، منقوعاً في عرق الخـــوف الـــذي أحدثته فيه العتمة قبلاً، رفع أنسون رأسه بتحدٍّ ونفخ صدره، ولمعت عيناه بالنصر، كما لو أنجز ما أراد إنجازه، سهّل مشروع كامبل الشرير، جعل المبلغ كافياً، تأكد أن فرصة إشباع شهية المحرومين علـــى حساب الأبرياء هي كل المكافأة التي يحتاج إليها لكي يصمد في هذا الإذلال وفي تدميره الشخصي الآتي.

قد يسمي البعض هذا جنوناً، لكن ميتش عرف اسمه الحقيقي.

قال: "أنا ذاهب" لأنه لم يعد هناك أي شيء مهم يمكن قوله.

طلـــب أنسون: "اضربني بمسدس تايزر". كما لو أنه يريد التأكيد أن ميتش لا يملك القوة لإيذائه بطريقة دائمة.

قال ميتش: "الصفقة التي عقدناها؟ انسَ أمرها".

أطفأ الأضواء وأغلق الباب. بما أنه توجد قوى، يجب اتخاذ تدابير قصوى – لا بل غير عقلانية – تجاهها، ثبّت الباب المغلق بكرسي. أراد أيضاً تثبيته بالمسامير، لو امتلك الوقت.

تساءل إذا كان يستطيع الإحساس بالنظافة مجدداً.

ســـيطرت علـــيه نـــوبات من الارتعاش. شعر كأنه على وشك الغثيان.

عند حوض غسل الأصباق، غسل وجهه بالماء البارد.

رنّ جرس الباب.

52

عزف الجرس موسيقى تحية إلى الفرح.

دقائق قليلة فقط مرّت على إنهاء جوليان كامبل للاتصال الهاتفي بينهما. عائدات بقيمة خمسة مليارات سنوياً هي كنـــز يفعل أي شيء لحمايـــته، لكنه لا يستطيع إرسال رجلين مسلحين إلى منـــزل أنسون بهذه السرعة.

أغلق ميتش صنبور الماء فوق حوض غسل الأطباق، وكان الماء لا يـــزال يتقطـــر من وجهه، فيما حاول التفكير في ما إذا كان هناك من سبب يدفعه إلى ضرورة التأكد من هوية الزائر عبر نافذة غرفة الجلوس. لكن خياله خذله.

حان الوقت للخروج من هنا.

أمـــسك كـــيس النفايات المحتوي على الفدية ورفع المسدس عن الطاولة. توجه إلى الباب الخلفي.

مـــسدس التايـــزر. تـــركه علـــى الـــرف قـــرب الفرن. عاد لإحضاره.

رنّ الزائر المجهول الجرس مجدداً.

سأل أنسون من غرفة الغسيل: "من هذا؟".

"ساعي البريد. والآن اخرس".

اقتـــرب من الباب الخلفي مرة جديدة، لكن ميتش تذكر الهاتف الخلـــوي الخـــاص بأخيه. كان على الطاولة قرب الفدية، لكنه أمسك بالكيس وترك الهاتف.

اتـــصال جوليان كامبل، البوح المخيف لأنسون، ورنين الجرس، التي تتالت كلها وراء بعضها، جعلته يفقد التوازن.

بعدما أخذ الهاتف الخلوي، استدار ميتش في دائرة، مراقباً المطبخ. حسبما يرى، لم ينسَ أي شيء آخر.

أطفأ الأضواء، وخرج من المنـــزل، وأقفل الباب وراءه.

الرياح القوية تعاركت مع نفسها عبر الخنشار والخيزران. أوراق الأشـــجار المتطايرة بفعل الرياح، والتي جاءت من منـــزل آخر، ملأت المصطبة في كل مكان، وتحركت فوق الأرضية.

ذهب ميتش إلى المرأب الأول من المرأبين، ودخل عبر باب الفناء الخلفـــي. هـــنا، انتظـــرته سيارة الهوندا، فيما تعفن جون كنوكس في صندوق سيارة البويك سوبر وودي واغون.

يملـــك خطـــة غامضة لإلصاق جريمة قتل كنوكس بأنسون في الوقت ذاته الذي ينقذ فيه نفسه من جريمة قتل دانيال وكاتي. إلا أن دخـــول كامـــبل محـــدداً علـــى الخط جعله يشعر وكأنه يركب على مزلاج سريع فوق الجليد، وأن الخطة الغامضة لم تعد خطة أبداً الآن.

على كل حال، لا يهم أي شيء من هذا في الوقت الحاضر. حين تـــصبح هولي في أمان، يصبح جون كنوكس والجثتان في غرفة التعلم وأنـــسون المكبّل بالكرسي مهمين مجدداً، لكنهم الآن عرضيون بالنسبة إلى المشكلة الأساسية.

بقـــيت أكثر من ساعتين ونصف الساعة قبل مقايضته الأموال بهـــولي. فـــتح صـــندوق الهـــوندا، ووضع الكيس وسط الدولاب الاحتياطي.

في المقعد الأمامي لسيارة البويك، عثر على جهاز التحكم عن بعد في باب المرأب. ألصقه بمصدّ الشمس في الهوندا، كي يتمكن من إغلاق الباب من الممر.

www.rewity.com dodyadodo

وضـــع المسدس ومسدس التايزر في جيب التخزين لباب السائق. جلـــس وراء عجلـــة القـــيادة، ونظر إلى السلاحين، ورأى أنه يسهل الوصول إليهما أكثر مما لو وضعهما تحت الكرسي.

ضغط على جهاز التحكم عن بعد، وراقب من خلال مرآة الرؤية الخلفية فيما ارتفع الباب الكبير إلى الأعلى.

خارجـــاً مـــن المرأب، نظر إلى يمينه، ورأى أن الممر خالٍ، لكنه ضـــغط على المكابح فجأة فيما قفز أحد على نافذة السائق. أدارَ رأسه إلى اليسار واكتشف أنه وجه لوجه مع التحري تاغارت.

53

بصوت مخنوق عبر الزجاج: "مرحباً سيد رافيرتي".

حـــدّق ميـــتش إلى التحـــري لـــوقت طويل قبل أن ينـــزل نافـــذة الـــسيارة. مفاجأتـــه متوقعة. لكن لا بد أنه بدا مصدوماً، وخائفاً.

تلاعبت الرياح الدافئة بالسترة الرياضية للتحري تاغارت وطوت ياقـــة قميـــصه الأصفر والبني فيما انحنى بالقرب من النافذة. "هل تملك الوقت لي؟".

قال ميتش: "حسناً، لديّ موعد مع الطبيب".

"جيد. لن أؤخرك كثيراً. هل يمكننا التحدث في المرأب، بمنأى عن هذه الرياح؟".

كانـــت جثة جون كنوكس مكشوفة في صندوق سيارة البويك. قـــد ينتبه إليها التحري بأنفه القوي بمجرد شمّ أولى روائح التحلل، أو بتأمل سيارة البويك القديمة الجميلة.

قـــال ميـــتش: "اجلس معي في السيارة" ورفع النافذة فيما أنهى خروجه من المرأب.

أغلق الباب الكبير بواسطة جهاز التحكم عن بعد وركن السيارة بموازاته، بعيداً عن وسط الممر، فيما نـــزل باب المرأب إلى الأسفل.

صعد تاغارت إلى المقعد قرب السائق وقال: "هل اتصلت بشركة لرش المبيدات بشأن تلك الحشرات؟".

"ليس بعد".

"لا تؤجل الأمر كثيراً".

"لن أفعل".

جلـــس ميـــتش ووجهه إلى الأمام، محدقاً إلى الممر، مصمماً على إلقاء نظرة سريعة على تاغارت فقط بين الحين والآخر، لأنه تذكر القوة الخارقة لنظرة الشرطي.

"إذا كـــنت قلقـــاً بشأن مبيدات الحشرات، لن يستخدموها بعد الآن".

"أعرف. يستطيعون تجميد الزواحف في الجدران".

"ثمـــة شـــيء أفضل. يملكون خلاصة البرتقال المركزة بكثافة التي تقـــتل الحشرات فور الاحتكاك بها. كل شيء طبيعي، ورائحة المنـــزل رائعة".

"البرتقال. عليّ الاستفسار عن هذا".

"أظن أنك كنت مشغولاً جداً للتفكير في حشرات العث".

قـــد يتساءل الرجل البريء عن مغزى ذلك وقد يكون مستعجلاً للمـــضي قـــدماً في يومه، ولذلك جازف ميتش بالسؤال: "لمَ أنت هنا حضرة الملازم؟".

"جئت لرؤية أخيك، لكنه لم يفتح الباب".

"إنه غائب حتى الغد".

"إلى أين ذهب؟".

"إلى فيغاس".

"هل تعرف في أي فندق ينـــزل؟".

"لا ينـــزل في فندق".

سأل تاغارت: "هل سمعت رنين الجرس؟".

"لا بـــد أنـــي غـــادرت قبل أن يرنّ. أنجزت بعض الأمور في المرأب".

"هل تهتم بمنـــزل أخيك في غيابه؟".

"هذا صحيح. لماذا تريد التحدث إليه؟".

رفـــع التحـــري ساقاً، واستدار جانبياً في مقعده، لمواجهة ميتش مباشـــرة، كما لو أنه أراد حصول اتصال مباشر بالعيون. "أرقام هاتف أخيك كانت في دفتر عناوين جايسون أوستين".

فرح ميتش لوجود شيء صحيح لقوله، فقال: "التقيا حين كنت وجايسون نعيش في الغرفة نفسها".

"لم تبقَ على اتصال مع جايسون، لكن أخاك فعل؟".

"لا أعرف. ربما. اتفقا جيداً".

خلال الليل والصباح، تطايرت كل الأوراق والنفايات والغبار إلى البحـــر. لا تحمل الرياح الآن أي أوساخ للإيحاء بشكلها. كانت غير مـــنظورة مـــثل الموجات الصادمة، بحيث هبّت كتل قوية من الهواء في الممر، وجعلت سيارة الهوندا تهتز.

قـــال تاغارت: "كان جايسون يخرج مع فتاة اسمها ليلي مورهيم. هل تعرفها؟".

"لا".

"تقـــول ليلـــي إن جايسون يكره أخاك. تقول إن أخاك خدع جايسون في صفقة ما".

"أي صفقة؟".

"لا تعـــرف ليلي. لكن ثمة شيئاً واضحاً بشأن جايسون؛ لا ينجز عملاً نظيفاً".

هـــذه العبارة أجبرت ميتش على النظر إلى عينيّ التحري وتقطيب وجهـــه بدهـــشة مقـــنعة. "هل تقول إن أنسون متورط في شيء غير قانوني؟".

"هل تظن أن هذا ممكن؟".

"يملك شهادة دكتوراه في اللغات، وهو عبقري كمبيوتر".

"أعرف أستاذ فيزياء قتل زوجته، ورجل دين قتل طفلاً".

بالنظر إلى الأحداث الأخيرة، لم يعد ميتش يصدق أن التحري قد يكون واحداً من الخاطفين.

لو أخبرته بأي شيء ميتش، لكانت هولي ميتة الآن.

لم يعد يفكر أبداً في أن الخاطفين يراقبونه أو يراقبون محادثاته. قد تكـــون سيارة الهوندا هذه مزودة بجهاز يتيح تعقبها بسهولة، ولم يعد هذا يقلقه أيضاً.

إذا كان أنسون محقاً، فإن جيمي نول- صاحب الصوت الرقيق، بقلق يبقي ميتش *متفائلاً*- قتل شركاءه. إنه القصة كلها الآن. هنا، في الـــساعات الأخـــيرة من العملية، لن يركز نول على ميتش وإنما على الاستعدادات لمقايضة رهينته بالفدية.

لا يعـــني ذلك أنه باستطاعة ميتش طلب المساعدة من تاغارت. جـــون كنوكس، المستلقي في سيارة الوودي واغون كما لو أنها نعش، والمـــيت نتـــيجة عنق مكسور وحنجرة مسحوقة وإصابة بطلق ناري،

يـــستلزم بعض الشرح. لن يقتنع أي تحرٍّ بأن كنوكس مات في سقوط عرضي.

يمكن شرح موت دانيال وكاتي بسهولة أكبر من موت كنوكس.

عند اكتشاف أنسون في مثل هذه الحالة التعيسة في غرفة الغسيل، سيبدو كأنه الضحية، وليس الجلاد. ونظراً لموهبته في الخداع، سيؤدي دور البريء بطريقة مقنعة، لدرجة إرباك السلطات.

بقـــيت ساعتان ونصف فقط قبل مقايضة الرهينة. لا يثق ميتش كـــثيراً في قدرة الشرطة، البيروقراطية مثل أي شيء آخر في الحكومة، على معالجة ما حصل لغاية الآن وفعل الشيء الصحيح لهولي.

بالإضـــافة إلى ذلك، مات جون كنوكس في دائرة قضائية، فيما مات دانيال وكاتي في دائرة قضائية أخرى، وجايسون أوستين في دائرة ثالثة. هناك ثلاث دوائر منفصلة.

وبما أن هذا خطف، يحتمل أن يتورط مكتب التحقيقات الفدرالي أيضاً.

لحظة يكشف ميتش ما حصل ويطلب المساعدة، ستتنيد حريته في التحرك. ستنتقل مسؤولية نجاة هولي منه إلى غرباء.

مـــلأه الخوف عند التفكير في ضرورة الجلوس عاجزاً فيما الدقائق تمـــرّ. والسلطات، حتى لو كانت نيتها جيدة، تحاول التفكير في الوضع الحالي وفي الظروف التي أفضت إليه.

قال تاغارت: "كيف حال السيدة رافيرتي؟".

شـــعر ميـــتش أنه مكشوف تماماً، كما لو أن التحري فكّ أصلاً العديد من العقد في القضية واستخدم هذا الحبل لخنقه.

متفاعلاً مع تعبير ميتش غير المرتبك، قال تاغارت: "هل ارتاحت قليلاً من صداع الشقيقة؟".

"أوه، نعم". لم يستطع ميتش تقريباً إخفاء ارتياحه من أن اهتمام تاغـــارت في هـــولي هـــو فقـــط صداع الشقيقة الوهمي. "إنها تشعر بالتحسن".

"لكـــن ليست جيدة تماماً؟ الأسبيرين ليس العلاج المثالي لصداع الشقيقة".

أحـــس ميتش أن شركاً وضع أمامه، لكنه لم يعرف طبيعته، ولا يعرف كيف يتجنبه. "حسناً، إنها ترتاح مع الأسبيرين".

قال تاغارت: "لكنها فوتت عليها الآن يوماً ثانياً من العمل".

باســـتطاعة التحري معرفة مكان عمل هولي من إيغي بارنـــز. لم يتفاجأ ميتش بمعرفته، وإنما تفاجأ بمتابعته لقصة صداع الشقيقة.

"تقـــول نانسي فاراسان إن السيدة رافيرتي غير معتادة على أخذ إجازة مرضية".

نانـــسي فاراسان هي سكرتيرة أخرى في مكتب العقارات حيث تعمل هولي. تحدث ميتش إليها شخصياً بعد ظهر أمس.

"هل تعرف الآنسة فاراسان، ميتش؟".

"نعم".

"تلفـــتني بكـــونها شخصاً بالغ الفاعلية. تحب زوجتك وتقدرها كثيراً".

"هولي تحب نانسي أيضاً".

"تقول الآنسة فاراسان إنه من غير عادة زوجتك ألا تتصل لتخبر أنها غير ذاهبة إلى العمل".

هذا الصباح، كان يجدر بميتش الاتصال للإبلاغ عن مرض هولي. لكنه نسي.

نسي أيضاً الاتصال بإيغي لإلغاء مواعيد النهار.

بعد انتصاره على قاتلين محترفين، غاب انتباهه عن مهمة سخيفة، أو اثنتين.

قال التحري تاغارت: "أخبرتني البارحة أنه عندما رأيت جايسون أوستين ميتاً، كنت تتحدث عبر الهاتف مع زوجتك".

أصبحت السيارة خانقة. أراد ميتش فتح النافذة لدخول الهواء.

كان الملازم تاغارت بحجم ميتش تقريباً، لكنه بدا الآن أكبر من أنسون. شعر ميتش أنه محاصر، في زاوية.

"هل لا تزال تذكر هذا ميتش، أنك كنت تتحدث عبر الهاتف مع زوجتك؟".

في الواقع، كان يتحدث عبر الهاتف مع الخاطف. ما أحس أنه كذبة آمنة وسهلة في ذلك الوقت قد يكون الآن الحبل الذي سيلفّ حول عنقه، لكنه لم يجد طريقة للهروب من هذه الكذبة من دون إيجاد كذبة أفضل لاستخدامها مكانها.

"نعم. كنت أتحدث عبر الهاتف مع هولي".

"قلت إنها اتصلت بك لإخبارك بأنها ستغادر العمل باكراً بسبب صداع الشقيقة".

"صحيح".

"إذاً، كنت تتحدث معها عبر الهاتف عندما قتل أوستين".

"نعم".

"كانت الساعة الحادية عشرة وثلاث وأربعين دقيقة صباحاً. أنت قلت إنها الحادية عشرة وثلاث وأربعون دقيقة".

"تحققت من ساعتي مباشرة بعد إطلاق النار".

"لكن نانسي فاراسان تقول إن السيدة رافيرتي اتصلت *باكراً* صباح أمس للقول إنها مريضة، و لم تذهب إلى المكتب على الإطلاق".

لم يجب ميتش. استطاع الإحساس بالمطرقة تأتي عليه.

"تقول الآنسة فاراسان إنك اتصلت بها بين الثانية عشرة وخمس عشرة دقيقة والثانية عشرة والنصف ظهر أمس".

بات داخل الهوندا مثل مكان أضيق من صندوق سيارة الكرايزلر ويندسور.

قال تاغارت: "كنت لا تزال في مسرح الجريمة في ذلك الوقت، تنتظرني لأطرح عليك سلسلة من الأسئلة. مساعدك، السيد بارنز، تابع زراعة الأزهار. هل تذكر؟".

فيما انتظر التحري، قال ميتش: "أذكر ماذا؟".

قال تاغارت: "أنك كنت في مسرح الجريمة".

"نعم. طبعاً".

"تقول الآنسة فاراسان إنك عندما اتصلت بها بين الثانية عشرة وخمس عشرة دقيقة والثانية عشرة والنصف، طلبت التحدث إلى زوجتك".

"إنها فعالة جداً".

قال تاغارت: "ما لا أفهمه هو لماذا اتصلت بمكتب العقارات وطلبت التحدث إلى زوجتك بعد خمس وأربعين دقيقة تقريباً على اتصال زوجتك بك، حسب شهادتك الخاصة، لتقول لك إنها ستغادر من هناك وهي تعاني من صداع شقيقة مريع".

هبّت تيارات كبيرة من الهواء في الممر.

فيما أخفض ميتش نظره إلى ساعة لوحة القيادة، طغى عليه إحساس قنوط كبير.

"ميتش؟".

"نعم".

"انظر إليّ".

نظر على مضض إلى عينيّ التحري.

تلـــك العينان القويتان لم تدخلا ميتش الآن، لم تثقباه مثلما فعلتا قـــبلاً. الأســـوأ من ذلك أنهما كانتا متعاطفتين وتدعوان إلى الثقة، إلى الثقة المشجعة.

قال تاغارت: "ميتش... أين زوجتك؟".

54

تذكـــر ميـــتش الممر مثلما كان الليلة الماضية، مليئاً بنور مغيب الـــشمس، والهرة البنية تلقي ظلاً وراء ظل خلف العينين الخضراوين، وكيف بدت الهرة أنها تتحول إلى طائر.

سمح لنفسه بالتفاؤل حينها. الأمل كان أنسون، والأمل كان كذبة.

الآن أصـــبحت السماء قاسية وزرقاء متجمدة ومصقولة بالرياح، كما لو أنها كتلة جليد حصلت على لونها من انعكاس المحيط الممتد في مسافة قريبة غرباً من هنا.

رحلـــت الهرة البنية، والطائر، ولم يتحرك أي شيء حيّ. الضوء الساطع كان سكيناً يسلخ الظلال للكشف عن اللب.

سأل تاغارت مجدداً: "أين زوجتك؟".

المـــال موجـــود في صـــندوق الـــسيارة. تم تحديد مكان ووقت المقايـــضة. الـــساعة تتكتك لبلوغ اللحظة الحاسمة. لقد اجتاز الكثير، وتحمل الكثير، وبات قريباً جداً.

اكتـــشف الشر بكل حذافيره، لكنه اكتشف أيضاً شيئاً في العالم أفـــضل مما رآه قبلاً، شيئاً نقياً وصحيحاً. اكتشف معنى غامضاً حيث كان يرى قبلاً فقط الآلة الخضراء.

إذا كانت الأمور تحصل لهدف معين، لا بد إذاً من وجود هدف لضرورة عدم تجاهله هذا اللقاء مع التحري المثابر.

في الغـــنى والفقـــر. في المرض والصحة. للحب والشرف. إلى أن يفرقنا الموت.

إنـــه الوعد الذي قطعه. لقد قطعه بنفسه. لم يقطعه شخص آخر لهولي. وحده قطعه لها. إنه الزوج.

لـــن يكون أحد آخر سريعاً هكذا للقتل من أجلها، للموت من أجلها. الحب يعني التشبث جيداً والمعاملة جيداً. الحب يعني فعل كل ما بوسعك من أجل مصلحة وسعادة الشخص الذي تحبه، لدعمه وإراحته *وحمايته*.

ربمـــا الهدف من لقائه هنا مع تاغارت هو تحذيره بأنه وصل إلى الحـــدود القصوى لقدرته على حماية هولي من دون مساعدة، لتشجيعه على الإدراك أنه لم يعد يستطيع المضي قدماً وحده.

"ميتش، أين زوجتك؟".

"ماذا تظنني؟".

سأل تاغارت: "بأي معنى؟".

"في كل المعاني. ما رأيك بـــي؟".

"يبدو أن الناس يرونك رجلاً شريفاً".

"سألتك عن رأيك أنت".

"لم أكـــن أعـــرفك قبلاً. لكن في داخلك توجد نوابض فولاذية وساعات متكتكة".

www.rewity.com dodyadodo

"لم أكن هكذا دوماً".

"لا يستطيع أحد أن يكون هكذا. ستنفجر في أسبوع. وقد تغيرت".

"عرفتني منذ يوم واحد فقط".

"وتغيرت".

"لست رجلاً سيئاً. أظن أن كل الرجال السيئين يقولون هذا".

"ليس بهذه الصراحة".

في السماء، على علو كاف ربما لتكون فوق الريح، وعلى مسافة أميال بعيدة جداً لإلقاء ظل على الأرض، لفتت انتباهه طائرة مضاءة بالشمس وهي متوجهة شمالاً. بدا العالم منكمشاً الآن في سيارته، في هذه اللحظة الخطرة، لكن العالم ليس منكمشاً، والطرق المحتملة بين أي مكان ومكان آخر لامتناهية تقريباً.

"قبل أن أخبرك أين هي هولي، أريد وعداً".

"أنا مجرد شرطي. أستطيع إعطاء وعود كاذبة".

"إذاً، تظن أنني آذيتها".

"لا. لكنني صريح معك".

"الشيء هو... لا نملك الكثير من الوقت. الوعد الذي أريده، حين تسمع جوهر الموضوع، تتصرف بسرعة، ولا تبدد الوقت في معرفة التفاصيل".

"الشيطان يكمن في التفاصيل، ميتش".

"حين تسمع هذا، تعرف أين هو الشيطان. لكن مع القليل من الوقت المتوافر، لا أريد الترتيبات الإدارية للشرطة".

"أنا شرطي واحد. كل ما أستطيع أن أعدك به هو أنني سأبذل ما بوسعي من أجلك".

أخذ ميتش نفساً عميقاً. ثم نفخه. قال: "تم خطف هولي. إنها محتجزة مقابل فدية".

حدّق إليه: "هل فوّت شيئاً ما؟".

"يريدون مليونيّ دولار وإلا سيقتلونها".

"أنت بستاني".

"ألا أعرف!".

"ومن أين ستحصل على المليونين؟".

"قالوا إنني سأجد طريقة. ثم قتلوا جايسون أوستين ليظهروا لي جديتهم. ظننت أنه مجرد رجل يتنزه مع كلب، ظننت أنهم قتلوا مجرد عابر سبيل لإثبات وجهة نظرهم".

كانت عينا التحري قاسيتين جداً لقراءتهما. كان تحديقه مذهولاً.

"ظن جايسون أنهم سيقتلون الكلب. وهكذا، أخافوني وخفضوا في الوقت نفسه تقسيم الحصة من خمسة إلى أربعة".

قال تاغارت: "تابع".

"عندما عدت إلى المنزل ورأيت الأدلة التي زرعوها لي هناك، عندها حاصروني تماماً، ثم أرسلوني إلى أخي لإحضار المال".

"حقاً؟ هل يملك هذا القدر؟".

"أنجز أنسون ذات مرة عملية جرمية مع جايسون أوستين، وجون كنوكس، وجيمي نول، واثنين آخرين لم أسمع أبداً اسميهما".

"وما كانت العملية؟".

"لا أعرف. لم أكن جزءاً منها. لم أكن أعرف أن أنسون متورط في هذه القذارة. وحتى لو عرفت ما هي العملية، يبقى ذلك من التفاصيل التي لا تحتاج إلى معرفتها".

"حسناً".

"المهـــم... هو أن أنسون خدعهم في الحصة، واكتشفوا لاحقاً ما كان الربح الحقيقي".

سأل تاغارت: "ولِمَ خطفوا زوجتك؟ لماذا لم يخطفوه هو؟".

"لا يمكـــن المـــسّ به. إنه مهم جداً بالنسبة إلى بعض الأشخاص المهمـــين وأصـــحاب الـــنفوذ. لذا، وصلوا إليه عبر أخيه الصغير. أنا. تصوروا أنه لا يريد أن يراني وأنا أخسر زوجتي".

ظن ميتش أنه قال عبارة عادية، لكن تاغارت قرأها بين السطور.

"لن يعطيك المال".

"أسوأ. سلّمني إلى بعض الأشخاص".

"بعض الأشخاص؟".

"لقتلي".

"أخوك فعل هذا؟".

"أخي".

"لماذا لم يقتلوك؟".

حافظ ميتش على اتصال العيون. كل شيء واضح الآن، ولم يعد يـــستطيع إخفـــاء الكثير لتوقع التعاون. قال: "حصلت بعض المشاكل معهم".

"يا الله، ميتش".

"لذا، جئت لرؤية أخي".

"لا بد من أن اللقاء كان مؤثراً".

"لا شراب احتفالي، لكنه تردد في مساعدتي".

"هل أعطاك المال؟".

"نعم".

"أين هو الآن؟".

"حيّ وإنما مقيد. المقايضة ستتم في الساعة الثالثة، وأعتقد أن أحد الخـــاطفين قـــتل الآخرين. جيمي نول. هذا هو الشخص الذي يحتجز هولي حالياً".

"كم تدبرت من المال؟".

قال ميتش بصراحة: "معظمه".

حدق التحري إلى الممر عبر الزجاج الأمامي للسيارة.

أخرج من جيب سترته لفافة من سكاكر الكاراميل القاسية. قشر طـــرف اللفافة، واستخرج حبة كاراميل. وضع الحبة الحلوة بين أسنانه فـــيما أغلـــق اللفافة مجدداً. فيما أعاد اللفافة إلى جيبه، أخذ لسانه حبة الكاراميل من بين أسنانه. هذا الإجراء له نوعية الطقوس.

قال ميتش: "إذاً؟ هل صدقتني؟".

قـــال تاغـــارت: "أملـــك جهازاً لكشف الكذب أكبر من غدة البروستات عندي. وهو لا يرنّ".

لم يعرف ميتش ما إذا كان يجدر به الشعور بالارتياح أم لا.

إذا ذهب وحده لدفع فدية هولي، وإذا قتلا هما الاثنان، لن يضطر إلى العيش على الأقل وهو يعرف أنه خذلها.

لكن، إذا استلمت السلطات الأمر، وماتت بعدها هولي لكنه بقي على قيد الحياة، ستكون المسؤولية عبئاً لا يحتمل.

علـــيه أن يعرف أنه ما من سيناريو محتمل سيجعله مسيطراً، وأن القدر هو بلا شك شريكه في هذا. عليه أن يفعل ما يبدو جيداً لهولي، ويأمل في أن ما *يبدو* صحيحاً، يكون *فعلاً* صحيحاً.

سأل: "والآن ماذا؟".

"ميتش، الخطف هو جريمة فدرالية. علينا إبلاغ مكتب التحقيقات الفدرالي".

"أخشى من التعقيدات".

"إنهم جيدون. ما من أحد يملك خبرة أكبر في هذا النوع من الجريمة. علـــى كـــل حال، وبما أننا نملك ساعتين فقط، لن يتمكنوا من إرسال فريق متخصص إلى المكان. ربما قد يرغبون في أن نتولى نحن المهمة".

"كيف يفترض أن أشعر حيال ذلك؟".

"نحـــن جيدون. فريق مكافحة الإرهاب عندنا من الطراز الأول. نملك مفاوض خطف خبيراً".

قلق ميتش: "الكثير من الأشخاص".

"سأدير هذا. هل تظن أنني سعيد؟".

"لا".

سأل تاغارت: "ألا تظن أنني أريد التفاصيل؟".

"أظن أنك أفضل من سيدير المهمة".

ابتسم التحري ابتسامة عريضة. "حسنا. إذا، سنستعيد زوجتك".

ثم تمدد فوق لوحة القيادة، وأخرج مفتاح السيارة من مكانه.

قال ميتش مذهولاً: "لماذا فعلت هذا؟".

"لا أريـــدك أن تفكر مجدداً في الموضوع وتقرر المجازفة وحدك في النهاية. ليس هذا الأفضل لها، ميتش".

"لقد اتخذت القرار. أحتاج إلى مساعدتك. يمكنك الوثوق فيّ مع المفتاح".

"بعـــد قليل. أنا مسؤول عنك هنا، من أجلك ومن أجل هولي. لـــديّ زوجـــة أحبها أيضاً وابنتان - أخبرتك عن الابنتين - ولذلك أعرف ما يدور في رأسك في الوقت الحاضر. أعرف حالك. صدقني".

اختف المفتاح في جيب السترة. من جيب آخر، سحب التحري هاتفاً خلوياً.

فـــيما شغل الهاتف، سحق تاغارت بين أسنانه ما تبقى من حبة السكاكر. فاحت رائحة الكاراميل في الهواء.

راقب ميتش التحري وهو يطلب رقماً من الهاتف. شعر جزء منه أن ضغط الأصابع على تلك الأزرار ليس فقط لإجراء اتصال وإنما أيضاً لحسم مصير هولي.

فـــيما تحدث تاغارت برموز الشرطة وأعطى عنوان أنسون، بحث ميتش عن طائرة أخرى محلقة في الأعلى. كانت السماء خالية.

أنهـــى تاغارت الاتصال، وأعاد الهاتف إلى جيبه، وقال: "إذاً، لقد عاد أخوك إلى المنـــزل؟".

لم يعـــد باســـتطاعة ميـــتش الادعـــاء أن أنسون في فيغاس.

"نعم".

"أين؟".

"في غرفة الغسيل".

"دعنا نتحدث إليه".

"لماذا؟".

"أنجز عملاً ما مع جيمي نول. صح؟".

"نعم".

"إذاً، لا بـــد من أنه يعرفه جيداً. إذا أردنا إخراج هولي من بين يديّ نول سالمة وآمنة، علينا أن نعرف كل شيء ممكن عنه".

عندما فتح تاغارت الباب للخروج من السيارة، هبّت رياح قوية داخـــل ســـيارة الهوندا، ولم تجلب معها الغبار أو الأوساخ، وإنما فقط الوعد بالفوضى.

للأفـــضل أو للأسوأ، خرج الوضع عن سيطرة ميتش. لا يظن أن الأمور ستكون للأفضل.

أغلـــق تاغارت الباب وراءه، لكن ميتش بقي جالساً وراء عجلة القيادة للحظات، ودارت أفكاره في دوامة، وكان عقله مشغولاً، ليس فقط عقله، ثم خرج إلى الرياح العاتية.

55

السماء المصقولة والضوء الحاد والرياح العاتية، ومن فوق خطوط التوتر العالي، مشهد مثل حيوان متفجع.

أخذ ميتش التحري إلى البوابة الخشبية المدهونة. أبعدها الرياح عن يده فيما أمسك بالمقبض، وضربتها بحائط المرأب.

لا شك في أن جوليان كامبل أرسل رجاله إلى هنا، لكنهم ليسوا مـــصدر خطر الآن لأنهم لن يصلوا قبل الشرطة. الشرطة على مسافة دقائق قليلة فقط.

في الممـــر القرميدي الضيق، الذي بقي بمنأى عن الرياح القوية، صـــادف ميـــتش مجموعة من الخنافس الميتة. ثمة اثنتان كبيرتان جداً، وإحـــداهما بقطر قطعة النقود المعدنية. في الجهة السفلية، كانت هناك خنافس صفراء مع أرجل سوداء متصلبة. كانت على ظهورها، متوازنة في قوقعاتها الملتوية، وجعلتها الرياح الخفيفة تدور في دوائر صغيرة.

مكبلاً بكرسي، جالساً وسط البول، سيبدو أنسون مثيراً للشفقة، وسيؤدي دور الضحية بطريقة مقنعة، بمهارة المريض الاجتماعي المحتال.

حـــتى لو قال تاغارت إنه سمع الحقيقة في قصة ميتش، قد يتساءل للمعاملة القاسية التي لقيها أنسون. فهو لا يملك خبرة في أنسون، وسمع فقط النسخة *المكثفة* للأحداث، قد يظن التحري أن المعاملة كانت أسوأ من قاسية، كانت وحشية.

فـــيما عبر الفناء الخلفي، حيث عصفت الرياح مجدداً، كان ميتش مـــدركاً لوجـــود التحري بالقرب منه. وعلى رغم وجودهما في الهواء الطلق، شعر بالاختناق، وكأنه مصاب برهاب الاحتجاز.

استطاع سماع صوت أنسون في عقله: *أخبرني أنه قتل ماما وبابا. طعنهما بمعدات الزراعة. قال إنه سيعود لقتلي أيضاً.*

أمـــام الباب الخلفي، كانت يدا ميتش ترتجفان بقوة بحيث وجد صعوبة في وضع المفتاح في القفل.

قتل هولي، حضرة التحري تاغارت. لفّق قصة خطفها، وجاء إليّ لطلب المال، لكنه اعترف بعدها أنه قتلها.

عرف تاغارت أن جايسون أوستين لم يعش حياة مستقيمة. عرف مـــن ليلي مورهيم أن جايسون أنجز عملاً مع أنسون وتم خداعه. إذاً، يعرف أن أنسون محتال.

لكـــن حين يخبر أنسون قصة متضاربة مع قصة ميتش، قد يفكر فيها تاغارت. يواجه رجال الشرطة دوماً قصصاً متعارضة. ولا شك في أن الحقيقة تكمن في أغلب الأحيان في مكان ما بينها.

العـــثور علـــى الحقيقة سيستغرق الوقت، والوقت هو مثل الجرذ الـــذي يـــنهش أعـــصاب ميتش. الوقت هو مكيدة تحت باب هولي، والوقت هو الحبل الملتف حول عنقها.

وقـــف ميتش على العتبة، وأنار الأنوار. رأى فجأة على الأرض بقعة دم طويلة لم تقلقه قبلاً، لكنها لفتت انتباهه الآن.

عندما ضرب أنسون بالمسدس على رأسه، جرحت أذنه. وفيما تم جرّه إلى غرفة الغسيل، ترك أثراً وراءه.

كـــان الجـــرح بسيطاً. لكن بقع الدم على الأرض أوحت بشيء أسوأ من أذن نازفة.

مع مثل هذه الأدلة المضللة، قد تثار الشكوك وتزداد الشبهات.

مكـــيدة، ســـلك، وجرذ وحشي، نبض الوقت داخل ميتش، وفيما دخـــل المطبخ، فتح زراً في قميصه، ومدّ يده إلى الداخل، وسحب مسدس التايـــزر الذي كان مقحماً تحت حزامه أمام بطنه. عندما تأخر في الخروج من سيارة الهوندا، سحب السلاح من جيب التخزين في باب السائق.

قـــال ميـــتش: "غرفة الغسيل من هنا". وهو يقود تاغارت بضع خطوات إلى الأمام قبل أن يستدير فجأة مع مسدس التايزر.

لم يكن التحري يلحق به عن كثب مثلما ظن ميتش. كان حذراً وبقي على مسافة خطوتين.

تطلـــق بعض مسدسات التايزر أسلاكاً خلفية، تولد صدمة معيقة من مسافة معقولة. وتحتاج مسدسات أخرى إلى ضرب طرفها بالهدف، ما يفضي إلى حميمية مماثلة للاعتداء بسكين.

هـــذا التايزر هو من النوع الثاني، ويتوجب على ميتش الاقتراب والتصرف بسرعة.

فـــيما ضـــرب ميـــتش بذراعه اليمنى، اعترضه تاغارت بذراعه اليسرى. كاد التايزر يقع من يد ميتش.

تراجع التحري إلى الخلف، ومدّ يده اليمنى تحت سترته الرياضية، بحثاً حتماً عن سلاح في قراب عند الكتف.

تراجع تاغارت إلى الخلف، تظاهر ميتش بأنه يتحرك إلى اليسار، لكـــنه هجم إلى اليمين، وها قد خرج السلاح من تحت السترة. أراد ميتش بشرة عارية، إذ لا يريد المجازفة بأن يوفر القماش عازلاً جزئياً من الصدمة، فضرب التحري على حنجرته.

بـــرمت عيناه في محجريهما، وانطبق فكاه على بعضهما، واستدار تاغارت في أرضه، ثم ركع على ركبتيه وسقط.

بدت الطلقة عالية على نحو غير اعتيادي . هزت الطلقة الغرفة.

56

لم يكـــن ميتش مجروحاً، لكنه فكر في جون كنوكس الذي أطلق النار على نفسه نتيجة السقوط في المرأب، وركع قلقاً قرب التحري.

علـــى الأرض، قرب تاغارت، كان هناك مسدسه. أبعده ميتش عنه.

ارتجـــف تاغارت كما لو أنه يشعر بالبرد في عظامه، وطقطقت يداه على الأرضية، وخرجت فقاعات اللعاب من شفتيه.

خـــرج دخـــان خفـــيف، باهت، رقيق، حريف من تحت سترة تاغارت. أحرقت الرصاصة فتحة فيها.

رفع ميتش السترة، بحثا عن جرح. لم يعثر على واحد.

الارتـــياح الذي شعر به لم يفرحه كثيراً. لا يزال مذنباً بالاعتداء على شرطي.

إنها المرة الأولى التي يؤذي فيها شخصاً بريئاً. وجد أن الندم يملك طعماً: ارتفعت مرارة في كعب حنجرته.

متمدداً نحو ذراع ميتش، لم يستطع التحري إغلاق يده في قبضة. حـــاول قـــول شيء ما، لكن حنجرته كانت مسدودة، ولسانه ثقيلاً، وشفتاه مخدرتين.

أراد ميـــتش تفادي ضربه بالتايزر مرة جديدة. قال: "أنا آسف" وباشر في العمل.

اختفى مفتاح السيارة في سترة تاغارت. عثر عليه ميتش في الجيب الثاني الذي فتشه.

في غـــرفة الغسيل، بعد سماع صوت التايزر واستنتاج ما قد يعنيه ذلك، بدأ أنسون يصرخ. تجاهله ميتش.

جـــرّ ميتش تاغارت بقدميه وسحبه خارج المنـــزل، وصولاً إلى المصطبة القرميدية. ترك مسدس التحري في المطبخ.

فـــيما أغلـــق الـــباب الخلفي، سمع جرس الباب يرنّ في الداخل. أصبحت الشرطة أمام المنـــزل.

فيما أخذ ميتش الوقت لإغلاق الباب لتأخير وصولهم إلى أنسون وأكاذيـــبهم، قال لتاغارت: "أحبها كثيراً لأثق في أي شخص آخر في هذا. أنا آسف".

عـــبر الفـــناء الخلفـــي، بمحاذاة المرأب، خرج من البوابة الخلفية المفتوحة وصولاً إلى الممر المحمي من الرياح.

حـــين لن يجيب أحد على رنين الجرس، سيأتي رجال الشرطة إلى الجهـــة الأخرى من المنـــزل، إلى الفناء الخلفي، ويجدون تاغارت ممدداً على الأرض. سيصبحون في الممر خلال ثوانٍ قليلة.

رمـــى مـــسدس التايزر على المقعد قربه فيما جلس وراء عجلة القيادة. مفتاح، دوران، واشتغل المحرك.

في جـــيب التخزين للباب، وضع المسدس الذي كان يخص أحد القتلة المأجورين عند كامبل. لا تزال هناك بضع طلقات داخله.

لن يطلق النار على رجل شرطة. خياره الوحيد هو الخروج من هنا.

انطلـــق شـــرقاً، متوقعاً تماماً رؤية سيارة شرطة تعترضه في نهاية الممر، وتوقفه.

الذعـــر هو الخوف الذي يعبر عنه عدد من الأشخاص في الوقت نفـــسه، جمهـــور أو حشد من الناس. لكن ميتش شعر بخوف يكفي لمجموعة، وتملكه *الذعر*.

في نهايـــة الممر، استدار نحو اليمين لسلوك الشارع. عند التقاطع التالي، استدار إلى اليسار، وتوجه إلى الشرق مجدداً.

هـــذه المـــنطقة مـــن كورونا ديل مار، التي هي نفسها جزء من نيوبورت بيتش، اسمها فيلاج. شبكة من الشوارع، يمكن محاصرتها ربما بثلاثة حواجز فقط.

يحتاج إلى تجاوز هذه الحواجز. بسرعة.

في مكتبة جوليان كامبل، في صندوق سيارة الكرايزلر، وفي ذلك الصندوق مرة ثانية، عرف الخوف، لكنه لم يكن قوياً مثل هذا الخوف. كان خائفاً على نفسه، لكنه الآن خائف على هولي.

أســـوأ مـــا قـــد يحصل له هو أن يتم اعتقاله أو قتله من قبل الشرطة. لقد قاس كلفة خياراته واختار اللعبة الأفضل. لا يهتم الآن لمـــا قد يحصل له باستثناء أنه إذا حصل أي شيء له، ستبقى هولي وحدها.

في الفـــيلاج، بعض الشوارع ضيقة. كان ميتش في واحد منها. الـــسيارات مـــركونة علـــى الجانبين. بالكثير من السرعة، قد يجازف الاصطدام بباب إذا فتحه أحدهم.

يستطيع تاغارت وصف سيارة الهوندا. خلال دقائق، سيحصلون على رقم اللوحة من شرطة المرور. لا يستطيع إلحاق ضرر بالهيكل لأن ذلك يزيد من سهولة التعرف على السيارة.

وصـــل إلى إشـــارة مرور في الطريق السريع باسيفيك كوست. إشارة حمراء.

تحرك دفق كبير من السيارات شمالاً وجنوباً في الطريق السريع. لا يـــستطيع تجاهل الإشارة والمرور بين دفق السيارات من دون إحداث سلسلة من الاصطدامات، بحيث يكون هو شخصياً في وسطها.

ألقـــى نظرة سريعة على مرآة الرؤية الخلفية. ثمة شاحنة أو عربة مقفلة تقترب، لكنها لا تزال على مسافة بعيدة قليلاً. بدا السقف مزوداً بمجمـــوعة مـــن أضـــواء الطوارئ مثل تلك التي تكون على سيارات الشرطة.

إنه شارع مليء بالأشجار الكبيرة. الظلال المرقطة والضوء المتقطع عبر السيارة المتحركة، يزيدان من صعوبة التعرف إليها.

على الجهة الشمالية من الطريق السريع لباسيفيك كوست، مرّت ســـيارة شرطة، فتجاوزت كل السيارات التي أمامها باستعمال أضواء الإنذار، ولكن ليس الصفارات.

وراء الهـــوندا، اقتربت العربة المقلقة أكثر فأكثر، بحيث استطاع ميـــتش أن يقـــرأ كلمة *إسعاف* على أعلى الزجاج الأمامي. لم تكن السيارة مسرعة. لا بد أنها خارج الخدمة أو أنها تنقل جثة.

أخـــرج نفـــساً عمـــيقاً. توقفت سيارة الإسعاف مباشرة خلفه، واختفـــى ارتـــياحه بسرعة عندما تساءل ما إذا كان رجال الإسعاف يستمعون عادة إلى نشرات الشرطة.

تحـــولت إشـــارة المـــرور إلى الأخضر. اجتاز الطريق الجنوبـــي واستدار إلى اليسار، شمالاً إلى طريق السريع في كوست.

تـــسابقت قطرات العرق على عنقه، تحت ياقته، ونـــزلت على طول عموده الفقري.

كـــان قد اجتاز مسافة صغيرة فقط في الطريق السريع عندما سمع صـــوت صفارة الإنذار وراءه: هذه المرة، في مرآة الرؤية الخلفية، رأى سيارة شرطة.

وحـــدهم الحمقـــى يدخلون رجال الشرطة في مطاردة. يملكون موارد جوية وكذلك الكثير من الدعم على الأرض.

اقتـــرب ميتش من الرصيف. عندما أخلى الطريق، تجاوزته سيارة الشرطة وانطلقت بعيداً.

مـــن علـــى الرصيف، راقب ميتش السيارة حتى تجاوزت الطريق السريع. انعطفت يساراً إلى الطرف الشمالي من فيلاج.

يبدو جلياً أن تاغارت لم يستعد تماماً وعيه ليصف لهم الهوندا.

أخذ ميتش نفساً عميقاً جداً. أخذ نفساً آخر. مسح الجهة الخلفية لعنقه بيده. مسح يديه بسروال الجينـــز.

لقد اعتدى على شرطي.

أعاد سيارة الهوندا مجدداً إلى الجهة الشمالية من الطريق، وتساءل إذا كـــان قـــد فقد عقله. شعر أنه موطد العزم، وربما متهور في معنى المغامـــرة، لكنه لم يكن قصير البصر. المجنون لا يدرك الجنون طبعاً من داخل قوقعته.

57

بعدما استخرجت هولي المسمار من اللوح الخشبـــي، برمته مراراً وتكـــراراً بـــين أصابعها المتقرحة، لتحدد ما إذا كان قاتلاً أم لا مثلما تخيلته عندما كان منغرزاً في الخشب.

مـــستقيماً، طـــوله أكثـــر من ثلاثة إنشات، وإنما أقل من أربعة إنشات، مع رأس عريض، يمكن اعتباره مسماراً طويلاً. ليس حاداً مثل الرأس المستدق لسيخ الدجاج، لكنه حاد كفاية.

فـــيما عصفت الرياح أناشيد العنف، أمضت الوقت وهي تتخيل الطـــرائق الـــتي يمكن استخدام المسمار فيها ضد المجرم. خيالها خصب كفاية لإزعاجها.

بعدها، بدلت الموضوع من طرائق استخدام المسمار إلى الأماكن التي يمكن تخبئته فيها. المهم هو عامل المفاجأة.

بالرغم من أن المسمار لن يظهر ربما إذا أقحمته في جيب سروالها، خشيت ألا تتمكن من سحبه بسرعة كفاية في محنة. عندما نقلوها من منـــزلها إلى هذا المكان، كبلوا معصميها بوشاح. إذا فعل الشيء نفسه عـــندما يأخذها بعيداً عن هنا، لن تتمكن من إبعاد يديها عن بعضهما، ولن تتمكن بالتالي من إدخال أصابعها إلى جيب محدد.

لا يوفر حزامها أي احتمالات، لكن في العتمة، باللمس، فكرت في حـــذائها الرياضـــي. لا تـــستطيع وضع المسمار داخل الحذاء لأنه سيحتك بقدمها ويجرحها. لكنها تستطيع إخفاءه في الجهة الخارجية من الحذاء.

فكـــت ربـــاط الجهـــة اليسرى من حذائها الرياضي، وأقحمت المسمار بعناية بين اللسان وإحدى الطيتين، ثم ربطت الحذاء مجدداً.

عـــندما وقفت على قدميها ومشت في دائرة حول الحلقة التي تم ربطهـــا بهـــا، اكتشفت بسرعة أن المسمار الصلب عائق أمام الخطوة الناعمة. لا تستطيع تفادي العرج.

أخيراً، رفعت كنـــزها وأخفت المسمار في حمالة ثدييها. صحيح أنها لا تملك ثديين هائلين مثل المرأة المصارعة، لكن الطبيعة كانت أكثر من عادلة معها. للحؤول دون انـــزلاق المسمار بين الثديين، ضغطت برأسه على الجهة المطاطية للحمالة، وبالتالي ثبتته في مكانه.

لقد سلّحت نفسها.

مع انتهاء المهمة، بدت استعداداتها مثيرة للشفقة.

مـــتململة، اســـتدارت نحو الحلقة المثبتة في الأرض، متسائلة إذا كانت تستطيع تحرير نفسها أو على الأقل تعزيز سلاحها الهزيل.

بـــيديها الباحثتين، وجدت قبلاً أن الحلقة مثبتة بصفيحة فولاذية سماكـــتها نـــصف إنـــش وطولها ثمانية إنشات تقريباً. الصفيحة مثبتة بالأرض بما يبدو أنه أربعة براغيّ.

لا تستطيع الجزم أنها براغيّ، لأن بعض السائل انسكب حول كل منها وكوّن بركة قاسية. ينفي هذا نفاذها إلى الشق في رأس كل برغيّ، إذا كانت بالفعل براغيًّا.

شـــعرت بالإحباط، واستلقت على ظهرها على الفراش، ورفعت رأسها على جزء من الوسادة.

قـــبلاً، نامـــت جيداً. إرهاقها العاطفي أفضى إلى تعب جسدي، وتعرف أنها قد تنام مجدداً. لكنها لا تريد أن تغط في النوم.

خافت ألا تستيقظ إلا إذا وقع فوقها.

استلقت مع عينين مفتوحتين، بالرغم من أن هذه العتمة أعمق من تلك الموجودة وراء جفنيها، وأصغت إلى الريح، بالرغم من عدم وجود راحة في ذلك.

بعـــد وقت غير معروف، حين استيقظت، كانت ساكنة في عتمة مطلقة، لكنها عرفت أنها ليست وحدها. ثمة رائحة خفيفة أنذرتها أو أن حاستها الباطنية أخبرتها ربما.

جلست فجأة، وانضغط الفراش تحتها، وخشخشت السلسلة بين الأغلال والحلقة الأرضية.

طمأنها: "هذا أنا".

حـــدّقت عينا هولي إلى السواد لأنه بدا أن جاذبية جنونه حوّلت العتمة التي حوله إلى شيء أكثر ظلمة، لكنه بقي غير مرئي.

قـــال: "كـــنت أراقبك وأنت نائمة، ثم خشيت بعد لحظات أن يوقظك مصباحي الوامض".

الحكم على موقفه من نبرة صوته ليس سهلاً مثلما توقعت.

قال: "من الجميل التواجد معك في العتمة المطلقة".

إلى يمينها. على مسافة لا تتعدى ثلاث أقدام. راكعاً ربما على ركبتيه أو واقفاً.

سأل: "هل أنت خائفة؟".

كذبت من دون تردد: "لا".

"ستخيبين أملي إذا كنت خائفة".

فيما تحدث، بدا أنه يتحرك خلفها. برمت رأسها، وأصغت عمداً.

"في إيل فال، نيو مكسيكو، أصبح الثلج ذات ليلة أكثر سماكة مما كان في أي مكان آخر".

إذا كانت على صواب، لقد انتقل إلى يمينها ووقف فوقها، من دون إصدار صوت لم تحجبه الريح.

"استقبلت أرض الوادي ستة إنشات في أربع ساعات، وكانت الأرض رائعة في ضوء الثلج...".

ارتعشت الشعيرات، واقشعر بدنها في الجهة الخلفية لعنقها عند التفكير في كيفية تحركه بثقة. لم يكشف عن نفسه حتى بعينيه، مثلما تفعل الهرّة.

"... رائعة بطريقة غير موجودة في مكان آخر في العالم، بحيث انكفأت السهول وارتفعت الهضاب الصغيرة كما لو أنها مجرد حقول من الضباب، أوهام أشكال وأحجام، انعكاسات انعكاسات، وتلك الانعكاسات هي فقط انعكاسات حلم".

الصوت الرقيق أصبح أمامها الآن، واختارت هولي التصديق أنه لم يتحرك، أنه كان دوماً أمامها.

مذهولة من النوم، يفترض بها عدم الوثوق في حواسها في البداية. فمثل هذه العتمة المثالية، تشوه الصوت، وتربكها.

قال: "العاصفة كانت من دون رياح في الطابق الأرضي، لكن رياحاً عاتية هبّت في الطوابق العليا، لأنه عندما تساقط الثلج، تمزقت معظم الغيوم إلى إرب وتفتت. بين الغيوم الباقية، كانت السماء سوداء، مزينة بقلادات مزخرفة من النجوم".

أحست بالمسمار بين ثدييها، وقد سخن نتيجة حرارة جسمها، فحاولت أن تستمد الارتياح منه.

"امتلك صانع الزجاج ألعاباً نارية باقية من شهر يوليو الماضي، والمرأة التي حلمت بالأحصنة الميتة عرضت عليه مساعدتها في ترتيبها وإشعالها".

تفضي قصصه دوماً إلى مكان ما، بالرغم من أن هولي تعلمت الخوف من مقاصدها.

"كانت هناك قذائف نجمية مضيئة، ودواليب كاترين، وثريات نارية، وأشجار نخيل ذهبية...".

أصبح صوته أكثر نعومة، وبات قريباً الآن. ربما ينحني صوبها، وبات وجهه على مسافة قدم واحدة فقط من وجهها.

"انفجرت الأضواء الحمراء والخضراء والزرقاء والذهبية في السماء السوداء، وكانت أيضاً ملونة ومنعكسة بوفرة على حقول الثلج، بحيث امتدت ألوان نابضة فوق حقول الثلج".

فيما تحدث القاتل، أحست هولي أنه سيقبلها هنا في العتمة. ماذا سيكون رد فعله حين تتراجع رفضاً؟

"كان الثلج يتساقط، وكانت بعض الكرات كبيرة مثل الدولارات الفضية، المتساقطة في دوامات كبيرة كسولة. اكتسبت هي الأخرى اللون".

انحـــنت إلى الخلف، وبرمت رأسها إلى جانب في استباق خائف للقـــبلة. ثم فكـــرت أن القبلة قد لا تأتي على شفتيها وإنما على جانب عنقها.

"متلألئة بالنار الحمراء والزرقاء والذهبية، لمعت كرات الثلج ببطء علـــى الأرض، كما لو أن شيئاً فاتناً كان ملتهباً عالياً في الليل، كما لو أن قـــصراً عظـــيماً يحترق في الجانب الآخر من السماء، ويلقي برماده اللامع مثل المجوهرات".

توقف، متوقعاً جواباً بوضوح.

طالما أنه مستمر في الكلام، لن يقبّلها.

قالـــت هـــولي: "يبدو رائعاً جداً، جميلاً جداً. أتمنى لو كنت هناك".

وافقها الرأي: "أنا من يتمنى لو كنتِ هناك".

مدركة أن ما قالته تم اعتباره بمثابة دعوة، أسرعت إلى التوضيح: "لا بد أنه يوجد المزيد. ماذا حصل في إيل فال أيضاً تلك الليلة؟ أخبرني أكثر".

"المـــرأة الـــتي حلمـــت بالأحصنة الميتة لديها صديقة تزعم أنها كونتيسة من بلد أوروبـــي شرقي. هل عرفت يوماً كونتيسة؟".

"لا".

"الكونتيسة تواجه مشكلة مع الاكتئاب. توازنها بتناول مادة تدفع إلى الهلوســـة. تناولت الكثير من تلك المادة، ومشت في ذلك الحقل من الثلج المحول بفعل الألعاب النارية. شعرت بسعادة أكثر مما فعلت يوماً في حياتها، فقتلت نفسها".

توقـــف آخـــر يستلزم جواباً، ولم تستطع هولي التفكير في شيء يمكن قوله إلا: "كم هذا محزن".

"عرفتُ أنك ستفهمين. نعم، حزين. حزين وغبـــي. إيل فال هي بـــوابة تجعـــل الرحلة إلى التغيير العظيم ممكناً. في تلك الليلة، وفي *تلك اللحظـــة الخاصة*، كان السمو معروضاً على كل شخص موجود. لكن هناك دوماً بعض الأشخاص الذين لا يرون".

"الكونتيسة".

"نعم، الكونتيسة".

بدت الظلمة المضغوطة أنها تحول نفسها إلى ظلمة أكثر سواداً.

شعرت بدفء نَفَسه فوق حاجبها، فوق عينيها. لا يملك رائحة. ثم اختفى.

ربما لم تشعر بنَفَسه. وكان هذا مجرد تخيل.

أرادت التـــصديق أنه تخيل، وفكرت في أشياء نظيفة مثل زوجها وطفلها، والشمس المشرقة.

قال: "هل تثقين في الإشارات، هولي رافيرتي؟".

"نعم".

"فـــأل الخـــير. نذير الشر. طيور العاصفة، الهررة السوداء والمرايا المكـــسورة، الأضواء الغامضة في السماء. هل رأيت يوماً إشارة، هولي رافيرتي".

"لا أظن ذلك".

"هل تتمنين أن تري إشارة؟".

عـــرفت ما يريدها أن تقوله، وأسرعت إلى قوله. "نعم، أتمنى أن أرى واحدة".

على وجنتها اليسرى، أحست بنَفَس دافئ، ثم فوق شفتيها.

إذا كان هذا هو - وفي قلبها عرفت أنه لا يوجد *إذا* - بقي غير منظور بالرغم من أن إنشات قليلة فصلت بينهما.

www.rewity.com dodyadodo

عـــتمة الغرفة استدعت العتمة التي في عقلها. تخيلته راكعاً عارياً أمامها، وجسمه الشاحب مزين برموز غريبة ملونة بدم الذين قتلهم.

كافحت لإبعاد الخوف عن صوتها، وقالت: "لقد رأيت الكثير من الإشارات، أليس كذلك؟".

الـــنفس، النفس، النفس فوق شفتيها، ولكن ليس القبلة، ومن ثم لـــيس النفس أيضاً، فيما انسحب وقال: "لقد رأيت الكثير منها. أملك العين التي ترصدها".

"أرجوك أخبرني عن واحدة منها".

صمت. كان صمته وزناً حاداً وثقيلاً، مثل سيف فوق رأسها.

لقد بدأ يتساءل ربما إذا كانت تتحدث لتأجيل القبلة.

قـــدر المستطاع، عليها تفادي إغضابه. بقدر ما هو مهم ترك هذا المكان من دون التعرض للاغتصاب، من المهم أيضاً ترك هذا المكان من دون سلبه الخيال الرومنسي المظلم الغريب الذي يبدو أنه استحوذ عليه.

صدق على ما يبدو أنها ستقرر في النهاية الذهاب إلى غوادالوبيتا، في نيومكسيكو، معه وأنها ستكون *مذهولة* في غوادالوبيتا. طالما يستمر في هـــذا الاعتقاد، الذي حاولت قدر المستطاع تعزيزه من دون إثارة الـــشكوك، قـــد تتمكن من التفوق عليه في اللحظة الحاسمة، في لحظة أزمتها الكبرى.

عـــندما أصـــبح صـــمته طويلاً جداً، قال: "كان هذا فيما تحول الـــصيف إلى خريف هذه السنة، وقال الجميع إن الطيور غادرت باكراً إلى الجنوب، وشوهدت الذئاب في أماكن لم تزرها منذ عقد كامل من الزمن".

خائفـــة في الظلمة، جلست هولي منتصبة جداً، وشبكت ذراعيها فوق صدرها.

"بـــدت الـــسماء مجوفة. بدت وكأنه يمكن تحطيمها بحجر. هل ذهبت يوماً إلى إيغل نست في نيومكسيكو؟".

"لا".

"كـــنت أقـــود الـــسيارة جنوباً من إيغل نست، في طريق ثنائي الاتجـــاه، على مسافة عشرين ميلاً على الأقل شرق تاوس. كانت تلك الفتاتان على الطريق السريع، تريدان التوجه شمالاً".

علـــى السقف، وجدت الرياح كوّة جديدة لها لكي تصدر صوتاً آخر لها، وباتت الآن تقلد صراخ الذئاب المتوحشة.

"كانتا في عمر من هم في الجامعة، لكنهما ليستا فتاتين جامعيتين. إنهما مغامرتان جديتان، وواثقتان من حذاءيهما القويين وحقائب الظهر الخاصة بهما، وعيدان المشي، وكل تجاربهما".

توقف، ربما لتوليد الإثارة، أو للاستمتاع بالذكرى.

"رأيت الإشارة وعرفت فوراً أنها إشارة. حلق فوق رأسيهما طائر أســـود، وبـــسط جناحيه عريضاً، من دون تصفيق، وكان الطائر يحلق بسهولة كبيرة، وإنما تحرك بدقة كبيرة بحيث لم يكن أسرع ولا أبطأ من الفتاتين".

نـــدمت لأنها طلبت هذه القصة. أغمضت عينيها من الصور التي خشيت ربما أن يصفها.

"على مسافة ست أقدام فقط فوقهما، وعلى مسافة قدم واحدة أو قـــدمين فقـــط خلفهما، حلق الطائر، لكن الفتاتين لم تدركا بوجوده. كانتا غير مدركتين له، وأنا عرفتُ ما يعنيه ذلك".

خافت هولي كثيراً من الظلمة التي حولها لتغمض عينيها. فتحتهما بالرغم من أنها لم تستطع رؤية أي شيء.

"هل تعرفين ما تعنيه إشارة الطائر، سيدة رافيرتي؟".

قالت: "الموت".

"نعـــم. بالضبط. أنت ترتقين فعلاً إلى الروح الكاملة. رأيت الطائـــر وعرفت أن الموت ينتظر الفتاتين، وأنهما لن تبقيا طويلاً في هذا العالم".

"و... هل كان هذا صحيحاً؟".

"جـــاء الشتاء باكراً ذلك العام. تتالى تساقط الثلج، وكان البرد قارســـاً جداً. استمر ذوبان الربيع حتى الصيف، وعندما ذاب الثلج، تم العـــثور على جثتيهما في أواخر شهر يونيو، مطمورتين في حقل قرب أرويـــو هـــوندو، بالقـــرب من ويلر بيك حيث رأيتهما على الطريق. تعرفت إلى صورهما في الصحف".

تلت هولي ابتهالات صامتة لعائلتي الفتاتين المجهولتين.

تابـــع قـــائلاً: "مـــن يعرف ماذا حصل لهما؟ تم العثور عليهما عاريـــتين، بحيث نتخيل بعضاً مما عانتاه. لكن بالرغم من أن الموت قد يـــبدو لنا مريعاً، ومأساوياً بسبب شبابهما، هناك دوماً احتمال للتنور حـــتى في أســـوأ الظروف. إذا كنا نسعى وراء السمو، نتعلم من كل شـــيء، ونكـــبر. ربما ينطوي الموت على لحظات جمال مشرق وعلى احتمال للترقي".

أضاء مصباحه الوامض وكان جالساً مباشرة أمامها على الأرض، شابكاً ساقيه.

لـــو فاجأها الضوء قبلاً في أثناء حديثهما، ربما لجفلت. لم تعد الآن تـــتفاجأ بـــسهولة، ولا يحتمل أن تجفل من أي ضوء، ولذلك رحبت به.

كـــان يضع قناع التزلج الذي لا تظهر عبره إلا شفتاه المتشققتان وعيناه الزرقاوان. لم يكن عارياً ولا ملطخاً بدم الذين قتلهم.

قال: "حان وقت الذهاب. ستكون فديتك مليوناً وأربعمئة ألف دولار، وعـــندما أحـــصل على المال، يكون الوقت قد حان لتتخذي قرارك".

أذهلها رقم الدولارات. قد يكون كذبة.

أضـــاعت هولي تعقب الوقت، لكنها ارتبكت وذهلت بما تنطوي عليه كلماته. "هل أصبحنا في... منتصف ليل الأربعاء؟".

تحـــت قناعه المحبوك، ابتسم. قال: "دقائق قليلة فقط قبل الساعة الـــواحدة من بعد ظهر الثلاثاء. إلا أن زوجك المقنع شجع أخاه على إحـــضار المـــال بـــسرعة أكبر مما بدا ممكناً. حصلت كل هذه العملية بسهولة كبيرة بحيث تبدو وكأنها فعلاً مدعومة بالقدر".

وقف على قدميه، وأشار لها للوقوف، أيضاً، فأطاعت.

خلف ظهرها، ربط معصميها بوشاح أزرق حريري، كما قبلاً.

وقف أمامها مجدداً، وأبعد شعرها برفق عن جبينها لأن بعضاً منه ســـقط على وجهها. فيما أنجز ذلك، بيدين باردتين وشاحبتين، حدق باستمرار إلى عينيها بروح التحدي الرومنسي.

لم تجرؤ على النظر بعيداً عنه، وأغمضت عينيها فقط عندما ألصق علـــيهما ضـــمادات سميكة من الشاش قام بترطيبهما للمساعدة على لـــصقهما. ثبت الضمادات في مكانها بوشاح أطول من الحرير، عقده ثلاث مرات حول رأسها وربطه بإحكام في الجهة الخلفية لجمجمتها.

داعبت يداه رسغها الأيمن، وفك الأغلال، وحررها من السلسلة والحلقة.

أدار المـــصباح الوامض فوق عصابة العينين، ورأت ضوءاً خفيفاً يـــدخل عـــبر الشاش والحرير. بدا راضياً حتماً عن العمل الذي أنجزه، فأخفض الضوء.

وعـــدها قائلاً: "عندما نصل إلى مرحلة تسليم الفدية، سننـــزع الأوشحة. إنها موجودة فقط لإعاقتك أثناء الانتقال".

بمـــا أنه ليس الشخص الذي ضربها وشدّ شعرها لجعلها تصرخ، بدت صريحة عندما قالت: "لم تكن أبداً فظاً معي".

تأملـــها بـــصمت. *افترضت* أنه يتأملها، لأنها شعرت أنها عارية، مجردة بنظرته.

الريح، العتمة مجدداً، التوقع البشع، كل ذلك جعل قلبها يقفز مثل الأرنب الذي يضرب نفسه على أسلاك القفص.

شعرت هولي بنَفَسه يداعب قليلاً شفتيها، وتحملته.

بعـــدما زفـــر الهـــواء أربـــع مرات فوقها، همس: "في الليل في غوادالوبيـــتا، تكـــون السماء واسعة جداً بحيث يبدو القمر منكمشاً، صـــغيراً، والنجوم التي ترينها، من الأفق إلى الأفق، عددها أكبر من كل الوفيات البشرية في التاريخ. علينا الآن الذهاب".

أمـــسك هولي من ذراعها، ولم تنكمش من لمسته، وإنما تحركت معه عبر الغرفة وخرجت عبر باب.

هـــا هي الدرجات مجدداً، التي صعدتها في اليوم السابق. أرشدها بـــصبر لتنـــزل، لكنها لا تستطيع الإمساك بدرابزون ولذلك وضعت كل قدم بحذر أمامها.

من العلية إلى الطابق الثاني، إلى الطابق الأول، ومن ثم إلى المرأب، شـــجعها: "هبوط الآن. جيد جداً. أخفضي رأسك. والآن إلى اليسار. انتبهي هنا. والآن عتبة".

في المرأب، سمعته يفتح باب سيارة.

قال: "إنها السيارة التي أحضرتك إلى هنا"، وساعدها على الصعود إلى الـــصندوق. فاحت رائحة كريهة من سجادة الأرضية مثلما تذكر. "استلقي على جانبك".

خرج، وأغلق الباب وراءه. الصوت المعدني المميز للمفتاح في قفل قضى على كل احتمال بأن تتمكن من إخراج نفسها من هنا خلال الطريق.

فُـــتح بـــاب الـــسائق، وجلس وراء عجلة القيادة. "إنها سيارة بمقعـــدين. المقعـــدان مفتوحان على مساحة الصندوق، ولهذا السبب تسمعيني بوضوح. هل تسمعينني بوضوح؟".

"نعم".

أغلق بابه. "أستطيع الاستدارة في مقعدي ورؤيتك. في رحلتنا إلى هـــنا، كنا ثلاثة رجال جالسين معك، للتأكد من حسن سلوكك. أنا وحدي الآن. لذا... في مكان ما على الطريق، إذا توقفنا بسبب إشارة حمـــراء وظننتِ أن صراخك سيسمع، سأتعاطى معك بقساوة أكثر مما أريد".

"لن أصرخ".

"جـــيد. لكـــن دعيني أشرح من فضلك. في المقعد قرب السائق يـــوجد مـــسدس مـــزود بكاتم صوت. لحظة تبدإين الصراخ، سأرفع المسدس، وأستدير في مقعدي، وأرديك ميتة. سواء أكنت حية أو ميتة، سأحصل على الفدية. هل تفهمين الآن؟".

"نعم".

سأل: "يبدو هذا فظاً، أليس كذلك؟".

"أفهم... موقفك".

"كوني صريحة الآن. بدوت فظاً".

"نعم".

"فكري في هذا. كان بوسعي سدّ فمك بشيء ما، لكنني لم أفعل. كان بوسعي وضع كرة مطاطية في فمك الجميل وختم شفتيك بشريط لاصق. كان بوسعي فعل هذا بسهولة، صح؟".

"نعم".

"لماذا لم أفعل؟".

قالت: "لأنني أعرف أنك تثق بـــي".

"أتمـــنى أن أثـــق بـــك. وبما أنني رجل متفائل، يعيش هذه الحياة بتفاؤل في كل ساعة، لم أسد فمك بشيء، هولي. الطريقة التي وصفتها فعالـــة جداً لكنها كريهة. لا أريد نفوراً مثل هذا بيننا في حال... على *أمل* اللقاء في غوادالوبيتا".

يعمـــل عقلـــها على الخداع بسهولة أكبر مما ظنته ممكناً قبل يوم واحد.

في صـــوت غـــير فاتن وإنما مليء بالاحترام، ذكرت له تفاصيل توحـــي بأنه نجح فعلاً في إلقاء فتنته عليها: "غوادالوبيتا، رودارتي، ريو لوتـــشيو، بيناســـكو، حيث تغيرت حياتك، وشاميزال، حيث تغيرت أيـــضاً، وفاليسيتو، ولاس ترامباس، وإسبانيولا، حيث ستتغير حياتك مجدداً".

بقـــي صامتاً للحظات. ثم قال: "أنا آسف على الإزعاج، هولي. سينتهي الأمر قريباً، ثم يحصل الترقي... إذا أردته".

58

تم اقتـــباس هندسة متجر الأسلحة من محال الملبوسات الجاهزة في العديـــد من أفلام الويسترن. سقف من القضبان المسطحة، جدران من الألواح العمودية، ممر مسقوف على طول المبنى، وعمود مفاجئ يوحي كـــأن جون واين سيخرج من الباب الأمامي، وهو يرتدي مثلما كان يفعل في فيلم **الباحثون**.

لم يـــشعر ميـــتش أنه جون واين بقدر ما شعر أنه الممثل الداعم الـــذي يمـــوت في الفـــصل الثاني، وجلس في سيارة الهوندا، في مرأب ســـيارات محل الأسلحة، متأملاً المسدس الذي أحضره معه من رانشو سانتا في.

ثمـــة أمور عدة محفورة في الفولاذ، إذا كان فولاذاً. بعضها أرقام وأحـــرف لم تعنِ له أي شيء. ثمة أمور أخرى وفرت معلومات لرجل خبير في المسدسات.

قرب الفوهة، كتبت عبارة *ضبط فائق*. على الجانب، بدت كلمة *شامبيون* وكأنها محفورة باللايزر، فيما عيار 0.45 مباشرة تحتها.

فضل ميتش عدم تسليم الفدية مع سبع طلقات فقط في المسدس. عرف الآن أنه بحاجة إلى شراء ذخيرة لمسدس بعيار 0.45.

سبع طلقات ربما قد تكون أكثر من كافية. المعارك النارية تطول فقـــط في الأفـــلام. في الحياة الحقيقية، يطلق شخص ما الطلقة الأولى، ويجـــيب شـــخص آخر، وبعد أربع طلقات، يكون أحدهما مجروحاً أو ميتاً.

شراء المزيد من الذخيرة لم يكن لإشباع حاجة حقيقية، وإنما لإشباع حاجة نفسية. لا يبالي. الذخيرة الإضافية ستجعله مستعداً أفضل.

علـــى الجهة الأخرى من المسدس، وجد كلمة *سبرينغفيلد*. اعتبر أنها تشير إلى الصانع.

تـــشير كلمـــة *شامبيون* على الأرجح إلى موديل المسدس. يملك مـــسدس ســـبرينغفيلد شامبيون بعيار 0.45. بدا هذا محتملاً أكثر من مسدس شامبيون سبرينغفيلد بعيار 0.45.

أراد تفـــادي لفت الانتباه إلى نفسه عندما دخل المتجر. أمل أن يبدو وكأنه يعرف ما يتحدث عنه.

بعـــد إخراج أسطوانة الخراطيش من المسدس، سحب خرطوشة مـــنها. أشار الغطاء إلى عبارة 0.45 أيه. أس. بـــي، لكنه لم يعرف ما تعنيه هذه الأحرف.

أعاد الخرطوشة إلى الأسطوانة ووضع الأسطوانة في جيب سروال الجينـــز. خبأ المسدس تحت مقعد السائق.

مـــن الـــصندوق الأمامـــي للسيارة، سحب محفظة نقود جون كنوكس. استعمال مال الموتى آنّب ضميره، لكنه لا يملك خياراً آخر. تم أخذ محفظته الخاصة في مكتبة جوليان كامبل. أخذ مبلغ 585 دولاراً كله، وأعاد المحفظة إلى الصندوق الأمامي.

خرج في الهواء، وأقفل السيارة، وتوجه إلى متجر الأسلحة. كلمة متجـــر بدت غير ملائمة لمثل هذا المخزن الكبير. هناك أجنحة وأجنحة من السلع المرتبطة بالأسلحة.

في الـــداخل، حـــصل على مساعدة من رجل ضخم له شاربان كثيفان. أشارت اللصيقة على قميصه إلى أن اسمه *رولان*.

قـــال رولان: "ســـبرينغفيلد شـــامبيون. هذه نسخة فولاذية من مسدس كولت كوماندر، أليس كذلك؟".

لا يعرف ميتش أبداً ما إذا كان الجواب نعم أم لا، لكنه شك في أن رولان يعرف عمله. قال: "هذا صحيح".

"توازن جيد للخراطيش، أسطوانة ممتلئة، قذف منخفض ومتوازن كلها مزايا قياسية فيه".

قـــال ميـــتش، على أمل أن يتحدث الناس فعلاً بهذه الطريقة: "إنـــه ســـلاح جمـــيل. أريـــد ثلاث علب إضافية. للتصويب على أهداف".

أضـــاف الكلمات الثلاث الأخيرة إذ بدا أن معظم الأشخاص لا

يـــستخدمون علباً إضافية إلا إذا أرادوا السطو على مصرف أو إطلاق النار على الناس من فوق برج عال.

لا يبدو أن رولان شك في أي شيء. "هل تريد عرض سبرينغفيلد ذي الضبط الفائق؟".

تذكـــر الكلمات المحفورة قرب الفوهة، فقال: "نعم. العرض كله".

"هل من شيء آخر".

أجاب ميتش: "لا".

"ألم تحضر المسدس؟ من الأفضل لو أستطيع رؤيته".

ظن ميتش خطأ أنه إذا أحضر معه المسدس إلى المتجر، سيبدو مثل سارق أو فنان أو شيء ما".

"أملك هذا". وضع أسطوانة الخراطيش على الرف.

"أفضل رؤية المسدس. لكن دعني أرى إذا كان بوسعي العمل مع هذا".

بعد خمس دقائق، دفع ميتش ثمن ثلاث أسطوانات وعلبة من مئة خرطوشة من فئة 0.45 أيه. أس. بـــي.

خلال عملية الشراء، توقع أن يتم تشغيل جهاز الإنذار. شعر أنه مـــشتبه به، مراقب، ومعروف من يكون. بدا جلياً أن أعصابه لا تملك القوة الضرورية لشخص هارب من القانون.

فـــيما كان على وشك مغادرة المتجر، نظر عبر الباب الزجاجي ورأى ســـيارة شرطة في مرأب السيارات، تحبس سيارته. وقف شرطي أمام باب السائق، وكان يحدق إلى سيارة الهوندا المقفلة.

www.rewity.com dodyadodo

59

عند النظر مرة ثانية، أدرك ميتش أن باب السائق للسيارة لا يحمل ختم مدينة وإنما الاسم- التدخل الأول- وشعاراً مزخرفاً لشركة أمن خاصة. الرجل الذي يرتدي البذلة والواقف أمام الهوندا هو على الأرجح رجل أمن وليس شرطياً.

إلا أن سيارة الهوندا لن تهمه إلا إذا عرف أنه تعميم نشرة بشأنها. لا شك في أن هذا الرجل يستمع إلى مخابرات الشرطة.

ترك رجل الأمن سيارته بالعرض أمام سيارة الهوندا واقترب من متجر الأسلحة. بدا أنه يملك هدفاً.

لقد توقف على الأرجح لإنجاز عمل شخصي وصادف سيارة الهوندا. أصبح الآن مخولاً باعتقال مواطن وتذوق طعم النصر.

الشرطي الحقيقي كان ليطلب الدعم قبل دخول المتجر. افترض ميتش أنه يجدر به الامتنان لحصوله على هذا القدر فقط.

كان مرأب السيارات يحيط بجانبين من المبنى، وله مدخلان. تراجع ميتش بسرعة عن هذا الباب وتوجه إلى الباب الآخر.

غادر من المخرج الجانبي وأسرع إلى الجهة الأمامية للمتجر. دخل رجل الأمن المتجر.

كان ميتش بمفرده في الريح. ليس لوقت طويل. توجه بسرعة إلى سيارة الهوندا.

عرقلته سيارة التدخل الأول. احتوت الجهة الخلفية لمرأب السيارات على حاجز من أنابيب الفولاذ فوق حائط من الباطون ارتفاعه ست أقدام، لأنه من المرأب، تنحدر الأرض بعمق مسافة ست أقدام على نحو جانبي.

ليس هذا جيداً. لا مجال للخروج. عليه التخلي عن سيارة الهوندا.

فتح قفل باب السائق وسحب مسدس سبرينغفيلد شامبيون 0.45 من تحت المقعد.

فيما أغلق باب السيارة، لفت انتباهه شخص خارج من متجر الأسلحة. ليس رجل الأمن.

فتح الصندوق وأخرج كيس النفايات من مكانه. وضع المسدس والأغراض التي اشتراها من المتجر مع المال، ثم ربط أعلى الكيس، وأغلق الصندوق، ومشى بعيداً.

بعد تجاوز خمس سيارات، توقف بين سيارتين ذواتي الدفع الرباعي. نظر إلى كل منهما، على أمل أن يكون أحد السائقين قد ترك مفتاحه في الداخل، لكنه لم يكن محظوظاً.

مشى بسرعة - لم يركض - على نحو مائل عبر الإسفلت الأسود في اتجاه جانب المبنى الذي خرج منه حديثاً.

فيما وصل إلى الزاوية، لفتت انتباهه حركة أمام الباب الأمامي لمتجر الأسلحة. عندما ألقى نظرة على الممر المسقوف، رأى رجل الأمن خارجاً من المتجر.

لا يظن أن رجل الأمن قد رآه، وكان الآن بعيداً عنه، وراء الزاوية.

ينتهي المرأب عند جدار منخفض من الباطون. تسلقه ووصل إلى مساحة تخص متجراً لبيع الوجبات السريعة.

حذر نفسه بضرورة عدم الركض مثل هارب من العدالة، واجتاز مرأب السيارات، ومرّ أمام رتل من السيارات التي تنتظر الحصول على الطعام، وفاحت في الهواء رائحة عوادم السيارات والبطاطا المقلية. استدار حول الجهة الخلفية للمطعم ووصل إلى جدار آخر منخفض، وتسلقه.

وجد أمامه مركز تسوق فيه ستة أو ثمانية متاجر. أبطأ، ونظر إلى الـــواجهات فيما مرّ أمامها، مثل أي رجل يتمشى، مع مليون وأربعمئة ألف دولار.

عـــندما وصل إلى نهاية المركز، مرّت سيارة شرطة على البولفار الرئيس، وكانت الأضواء الحمراء والزرقاء تومض فوقها، وتوجهت نحو متجر الأسلحة. أسرعت سيارة أخرى مماثلة مباشرة خلفها.

اســـتدار ميتش إلى اليسار نحو شارع صغير، بعيداً عن البولفار. أسرع في المشي مجدداً.

كانـــت المنطقة التجارية صغيرة نسبياً، ومواجهة للبولفار. ثمة مـــنطقة ســـكنية وراءها. في المبنى الأول توجد شقق ومنازل. بعد ذلـــك، وجد منازل عائلية، معظمها من طابقين، وأحياناً من طابق واحد.

كانـــت أشجار الشارع كبيرة وعملاقة تلقي بالكثير من الظلال تحـــتها. معظم المروج خضراء، ومرتبة، والشجيرات فيها مشذبة كما يجـــب. لكن كل منطقة فيها مساحات وسخة ترغب في فرض نفسها كمساحات سيئة.

حين لا تعثر عليه الشرطة في متجر الأسلحة، ستفتش المساحات المجـــاورة. خـــلال دقائق قليلة، سيتم استدعاء ست سيارات أو أكثر لتفتيش المنطقة.

لقـــد اعتدى على رجل شرطة. لذا، يحتمل أن يضعوه في طليعة لائحة أولوياتهم.

معظـــم السيارات المركونة في هذا الشارع السكني هي سيارات رباعـــية الدفع. أبطأ خطواته، ونظر عبر النوافذ إلى الداخل، على أمل العثور على مفتاح.

عندما نظر إلى ساعته، وجد أن الوقت بات 1:14. وقت المقايضة محدد عند الساعة 3:00، ولا يملك الآن سيارة.

60

اســـتمرت الـــرحلة خمـــس عشرة دقيقة تقريباً، وكانت هولي، المعصوبة العينين والمقيدة، مشغولة جداً في التخطيط للتفكير في الصراخ.

هـــذه المرة، حين توقف سائقها المجنون عن السير، سمعته يضغط على الكابح اليدوي. خرج، وترك بابه مفتوحاً.

في ريـــو لوتـــشيو، في نيو مكسيكو، ثمة امرأة صالحة خيرة اسمها إرميـــنا تعيش في منـــزل أزرق وأخضر أو ربما أزرق وأصفر. إنها في الثانية والسبعين.

عـــاد القاتل إلى السيارة وتقدم بها مسافة عشرين قدماً تقريباً ثم خرج مجدداً.

في غرفة جلوس إرمينا توجد ربما اثنتان وأربعون أو تسع وثلاثون صورة.

أعطى ذلك فكرة لهولي. الفكرة جريئة. ومخيفة. لكنها تبدو مناسبة.

عندما عاد القاتل إلى السيارة، ظنت هولي أنه فتح بوابة للسماح بدخول السيارة لمكان ما، ثم أغلقها وراءهما.

في الفناء الخلفي لمنـــزل إرمينا، دفن القاتل *كنـــزاً* لن توافق عليه المرأة العجوز. تساءلت هولي عن طبيعة الكنـــز، وإنما أملت ألا تعرف أبداً.

تقـــدمت السيارة إلى الأمام مسافة ستين قدماً تقريباً، على أرض غير معبّدة. ارتطمت الحصى الصغيرة ببعضها وأصدرت صوتاً تحت الدواليب.

توقف مجدداً وأوقف عمل المحرك هذه المرة. "ها قد وصلنا".

قالـــت: "جـــيد"، لأنها تحاول التصرف كما لو أنها ليست رهينة خائفة وإنما كامرأة ترتقي روحها إلى الكمال.

فتح قفل الباب وساعدها على الخروج.

فاحـــت رائحـــة دخـــان خشبـــي في الهواء الدافئ. ربما النيران مشتعلة في الوديان الضيقة إلى الشرق.

للمرة الأولى منذ أكثر من أربع وعشرين ساعة، شعرت بالشمس علـــى وجههـــا. كان الإحساس بالشمس رائعاً جداً بحيث أرادت البكاء.

داعمـــاً ذراعهـــا اليمنى، ومرافقاً لها بطريقة لائقة، ساعدها على عـــبور أرض جرداء، عبر أعشاب. ثم مشيا على سطح قاسٍ فاحت منه رائحة حمضيات خفيفة.

عـــندما تـــوقفا، تكرر صوت غريب مخنوق ثلاث مرات-*ثاب، ثاب، ثاب*- بالترافق مع أصوات خشب متكسر ومعدن مفرقع.

سألت: "ما هذا؟".

"أطلقت النار على الباب".

تعـــرف الآن ما يعنيه المسدس المزود بكاتم للصوت. *ثاب، ثاب، ثاب*. ثلاث طلقات. رافقها عبر عتبة المكان الذي أطلق النار على بابه.

"لم يعد هناك الكثير".

صدى خطواتهما البطيئة أعطاها إحساساً بمساحات كهفية. "يبدو وكأننا في دار عبادة".

قال: "إنه كذلك نوعاً ما. نحن في كاتدرائية الحيوية المفرطة".

شمـــت رائحـــة الجص ونشارة الخشب، لكن يفترض أن تكون الجدران معزولة جيداً والنوافذ مصفحة لأن الصوت كان مخنوقاً.

في الـــنهاية، وصـــلا إلى مساحة تبدو أصغر من تلك التي كانت قبلاً، مع سقف منخفض.

بعد توقيفها، قال القاتل: "انتظري هنا". أفلت ذراعها.

سمعت صوتاً مألوفاً جعل قلبها يغرق: خشخشة السلسلة.

هنا، لم تكن رائحة نشارة الخشب قوية كما في الأماكن السابقة، لكـــن عندما تذكرت تهديدهم ببتر أصابعها، تساءلت إذا كانت الغرفة تحتوي على منشار.

قالـــت: "ملـــيون وأربعمئة ألف دولار. يشتري هذا الكثير من الترقي".

أجاب: "يشتري الكثير من كل شيء".

لمس ذراعها مجدداً، و لم تجفل. حول معصمها الأيسر، لف سلسلة وربطها بشيء ما.

قالـــت: "حين تكون هناك دوماً حاجة إلى العمل، لا يوجد أبداً وقت للترقي"، وبالرغم من معرفتها بأن هذا جهل، أملت في أن يكون نوع الجهل الذي يهمه.

قال: "العمل هو شيء تافه ينكّد حياتنا"، وعرفت أنها انسجمت معه.

فك الوشاح الذي ربط يديها، وشكرته.

عـــندما نـــزع الضمادات عن عينيها، طرفت عيناها للتكيف مع الضوء واكتشفت أنها في منـــزل قيد البناء.

بعـــد دخـــول هذا المكان، وضع قناع التزلج مجدداً على وجهه. يدعي على الأقل أنها تستطيع اختيار زوجها بدلاً منه وأنه سيسمح لهما بالعيش.

قال: "يفترض أن يكون هذا المطبخ".

المساحة كبيرة جداً لمطبخ، خمسون قدماً بثلاثين قدماً، وتتسع لأكبر الحفلات. الأرض الكلسية مليئة بالغبار. القوالب مثبتة في مكانها بالرغم من عدم تركيب خزانات أو أدوات.

ثمة أنبوب معدني قطره إنشان تقريباً، وهو أنبوب غاز، ناتئ من أسفل جدار. تم ربط الطرف الآخر من السلسلة التي تقيدها بهذا الأنبوب وبمعصمها. الغطاء المعدني في طرف الأنبوب، الأعرض بإنش تقريباً من الأنبوب نفسه، يمنع السلسلة من الإفلات.

أعطاها مسافة ثماني أقدام. تستطيع الجلوس، الوقوف، وحتى التحرك قليلاً.

تساءلت: "أين نحن؟".

"منزل تورنبريدج".

"آه. لكن لماذا؟ هل لديك صلة به؟".

قال: "جئت إلى هنا مرات قليلة قبلاً بالرغم من أنني كنت أدخل بطريقة أكثر تكتماً من إطلاق النار على القفل. يجرّني. لا يزال هنا".

"من؟".

"تورنبريدج. لم يتحرك. روحه لا تزال هنا، ملتفة حول نفسها مثل واحد من العشرة آلاف حشرة الميتة التي تملأ المكان".

قالت هولي: "كنت أفكر في إرمينا في ريو لوتشيو".

"إرمينا لافاتو".

قالت كما لو أنها نسيت اسم شهرتها: "نعم. أستطيع تقريباً رؤية غرف منزلها، كل منها بلون ناعم مختلف. لا أعرف لماذا أفكر فيها باستمرار".

تحت قناعه المحبوك، تأملتها عيناه الزرقاوان بقوة كبيرة.

أغمضت عينيها، ووقفت واضعة ذراعيها قرب جانبيها فيما كان وجهها نحو السقف، وتحدثت بهمس: "أستطيع رؤية جدران غرفة نومها مغطاة بصور".

قال: "اثنتان وأربعون".

قالت: "وهناك شموع، أليس كذلك؟".

"نعم. شموع مضاءة".

"إنها غرفة جميلة. إنها سعيدة هناك".

قال: "إنها فقيرة جداً وإنما أسعد من أي رجل غني".

"ومطبخها من طراز العشرينيات، ورائحة فاهيتا الدجاج".

أخذت نفساً عميقاً، ثم زفرته.

لم يقل أي شيء.

فتحت هولي عينيها وقالت: "لم أذهب أبداً إلى هناك، ولم ألتقِها أبداً. لكن لماذا لا أستطيع إخراجها لا هي ولا منزلها من عقلي؟".

بدأ صمته المستمر يقلقها. خافت أن تكون أفرطت في التصرف، أو قالت شيئاً سيئاً.

أخيراً، قال: "في بعض الأحيان، هناك بعض الأشخاص الذين لم يلتقوا أبداً وإنما يرجعون الصدى مع بعضهم".

كررت الكلمة: "يرجعون الصدى".

"بطريقة ما، تعيشين بعيداً عنها، لكن بطريقة أخرى قد تكونان جارتين".

إذا فهمته هولي جيداً، أثارت فيه الاهتمام أكثر من الشك. إنه طبعاً لخطأ مميت أن تظن أنها تستطيع دوماً فهمه جيداً.

قالت: "غريب" وبدلت الموضوع.

مرر لسانه على شفتيه المتشققتين، ولعقهما مجدداً ومجدداً. ثم قال: "علـــيّ إنجاز بعض الترتيبات. آسف بشأن السلسلة. لن تبقى ضرورية لوقت طويل".

بعـــدما غادر الغرفة، أصغت إلى خطواته وهي تختفي في الغرف الفسيحة الفارغة.

سيطرت عليها نوبات برد. لم تستطع السيطرة عليها، وارتطمت حلقات السلسلة ببعضها.

61

كان ميتش في ظل الأشجار الكبيرة، ينظر عبر النوافذ، إلى أن بدأ أخـــيراً يجرب أبواب السيارات المركونة أمام الرصيف. حين لا تكون مقفلة، يفتحها وينحني داخلها.

إذا لم يكن المفتاح في مكان التشغيل، قد يكون في محمل الكوب أو مقحمـــاً وراء مصدّ الشمس. وفي كل مرة لا يعثر فيها على المفتاح في هذه الأماكن أيضاً، يغلق الباب ويمضي قدماً.

جرأته، المولودة بفعل اليأس، لم تفاجئه. لكن بما أن سيارة الشرطة قد تظهر بين لحظة وأخرى، عليه توخي الحذر وليس الشعور بالطمأنينة.

أمل في ألا يملك هؤلاء السكان حس الجيرة، وألا يكونوا انضموا إلى بـــرنامج مراقبة الجيران. قد يكون مدرّب الشرطة قد علّمهم على الأرجح الانتباه والتبليغ عن أي أشخاص مشبوهين مثله.

نظـــراً للأمان في جنوب كاليفورنيا، ولمعدل الجريمة المنخفض في نـــيوبورت بيـــتش، هناك نسبة قليلة فقط من الأشخاص الذين أقفلوا سياراتهم المركونة. بدأ رهانهم يختفي تدريجياً.

بعـــدما اجتاز مبنيين، رأى سيارة لكزس مركونة في ممر، وكان المحرك قيد العمل وباب السائق مفتوحاً. ما من أحد جالس وراء عجلة القيادة.

كان باب المرأب مفتوحاً أيضاً. اقترب بحذر من السيارة، لكن ما مـــن أحد في المرأب أيضاً. لقد دخل السائق المنـــزل لإحضار غرض منسي.

ســـيتم الإبـــلاغ عن سيارة اللكزس المسروقة خلال دقائق، لكن الرجال الشرطة لن يعثروا عليها فوراً. ستكون هناك عملية الإبلاغ عن ســـيارة مسروقة؛ الإبلاغ هو جزء من النظام، نظام عمل البيروقراطية، عمل بيروقراطية التأجيل.

قـــد يملك ساعتين قبل أن يتم تعقب رقم لوحة السيارة. لا يحتاج إلى أكثر من ساعتين.

بما أن السيارة مواجهة للشارع، جلس وراء عجلة القيادة، ووضع كيس النفايات على المقعد قربه، وأغلق الباب، وانطلق فوراً من الممر، واستدار إلى اليمين، مبتعداً عن البولفار ومتجر الأسلحة.

عند الزاوية، متجاهلاً إشارة المرور، استدار إلى اليمين مرة إضافية واجتاز شارعاً ثالثاً قبل أن يسمع صوتاً خفيفاً مرتجفاً من المقعد الخلفي يقول: "ما اسمك عزيزي؟".

ثمـــة رجـــل عجوز جالس في زاوية. كان يضع نظارة، وجهازاً مـــساعداً على السمع، وسرواله تحت ثدييه مباشرة. بدا أن عمره مئة عام. جعله الزمن ينكمش، وإن لم يكن بنسب متناسقة مع بعضها.

قال الرجل العجوز: "أوه، أنت ديـــي. إلى أين سنذهب ديـــي؟".

الجـــريمة تفـــضي إلى المزيد من الجريمة، وها نحن أمام تيارات من الجرائم: تدمير محتم. أصبح ميتش الآن خاطفاً.

استفسر الرجل العجوز: "هل سنذهب إلى متجر الفطائر؟". مع نبرة أمل في صوته المرتجف.

ربما مرض ألزهايمر موجود هنا.

قال ميتش: "نعم. سنذهب إلى متجر الفطائر". واستدار إلى اليمين مجدداً عند المنعطف التالي.

"أحب الفطائر".

وافقه ميتش الرأي: "الجميع يحبون الفطائر".

لو لم يكن قلبه يخفق بقوة كبيرة لدرجة مؤلمة، ولو لم تكن حياة زوجته معتمدة على بقائه حراً، ولو لم يكن يتوقع مصادفة الشرطة في أي لحظة، ولو لم يكن يتوقع أن يطلقوا النار عليه أولاً ومن ثم يناقشوا حقوقه المدنية، لربما كان وجد هذا ممتعاً. لكن الأمر غير ممتع. إنه فوق التصور.

قال الرجل العجوز: "أنت لست ديبي. أنا نورمان، لكنك لست ديبي".

"لا. أنت محق. لست ديبي".

"من أنت؟".

"أنا مجرد رجل ارتكب خطأ".

فكّر نورمان في ذلك إلى أن استدار ميتش إلى اليمين عند المنعطف الثالث، ثم قال: "ستؤذيني. هذا ما ستفعله".

الخوف في صوت الرجل العجوز أوحى بالشفقة. "لا.لا. لن يؤذيك أحد".

"ستؤذيني. أنت رجل سيئ".

طمأنه ميتش: "لا. ارتكبت فقط خطأ. سأعيدك إلى المنزل".

"أين نحن الآن؟ ليس هذا المنزل. نحن لسنا قرب المنزل". الصوت، الخفيف جداً لغاية الآن، اكتسب فجأة حجماً وقوة. *"أنت حقير شرير!"*.

"لا تغضب نفسك. أرجوك لا تفعل". شعر ميتش بالأسف على الرجل العجوز، بالمسؤولية تجاهه. "نكاد نصل. ستكون في منزلك بعد دقيقة".

"أنت حقير شرير. أنت حقير شرير"

عند المنعطف الرابع، استدار ميتش إلى اليمين، إلى الشارع الذي سرق منه السيارة.

"أنت حقير شرير".

في أعماق ذلك الجسم المتآكل بفعل الزمن، وجد نورمان صوت الشباب القوي.

"أنت حقير شرير".

"أرجوك نورمان. ستسبب لنفسك ذبحة قلبية".

أمل في أن يتمكن من ركن السيارة في الممر وتركها حيث وجدها، من دون أن يلاحظه أحد. لكن امرأة خرجت من المنزل إلى الشارع. لمحته يستدير عند المنعطف.

بدت مذعورة. ربما اعتقدت أن نورمان جالس وراء المقود.

"أنت حقير شرير، حقير شرير شرير".

توقف ميتش في الشارع قرب المرأة، ركن السيارة، وضغط على كابح الطوارئ، وأمسك كيس النفايات، وخرج، تاركاً الباب مفتوحاً وراءه.

إنها في العقد الرابع تقريباً، وهي امرأة جذابة مع شعر جميل قام اختصاصي الشعر بمزجه بخصل شقراء فاتحة. كانت ترتدي بذلة رسمية وتنتعل حذاء ذا كعب عالٍ جداً للذهاب فقط إلى متجر الفطائر.

سأل ميتش: "هل أنت ديبـــي؟".

مذهولة، قالت: "هل أنا ديبـــي؟".

ربما لا يوجد أي ديبـــي.

لا يـــزال نورمان منكمشاً في السيارة، وقال ميتش: "آسف جداً. خطأ كبير".

ابتعد عنها، وتوجه نحو المنعطف الأول من المنعطفات الأربعة التي أخذ إليها نورمان، وسمعها تقول: "جدي؟ هل أنت بخير، جدي؟".

عـــندما وصـــل إلى إشارة المرور، استدار ورأى المرأة منحنية في السيارة تواسي الرجل العجوز.

استدار ميتش حول المنعطف وأسرع ليصبح بمنأى عنها. من دون ركض. مشي سريع.

بعد مبنى واحد، فيما وصل إلى المنعطف التالي، صدح زمور عالٍ وراءه. كانت المرأة تلاحقه بسيارة اللكزس.

استطاع رؤيتها عبر الزجاج الأمامي: يد على عجلة القيادة، واليد الأخـــرى تمـــسك هاتفاً خلوياً. لا تتصل بأختها في أوماها. ولا تتصل للتحقق من الوقت. إنها تتصل بالرقم 911.

62

منحنياً أمام الريح القوية، أسرع ميتش على الرصيف، ونجا بأعجوبة من اللدغ عندما خرجت سحابة كبيرة من النحل من عش في شجرة.

المرأة المصممة في سيارة اللكزس بقيت بعيدة كفاية بحيث تستطيع الاســـتدارة وتضليله إذا بدّل الاتجاه وركض بسرعة نحوها، لكنها أبقته تحت نظرها. بدأ يركض، وأسرعت بدورها للحاق به.

تـــنوي حتماً اللحاق به إلى حين وصول الشرطة. أعجب ميتش بشجاعتها بالرغم من أنه أراد إطلاق النار على دواليبها.

سيـــصل رجـــال الـــشرطة قريباً. بعد العثور على سيارة الهوندا خاصـــته، عرفوا أنه في المنطقة. محاولة سرقة اللكزس من مسافة قريبة جداً من متجر الأسلحة ستثير شكوكهم.

صـــدح زمـــور السيارة، ثم صدح مرة أخرى، ومن ثم من دون توقف. أملت في لفت انتباه جيرانها إلى وجود مجرم بينهم. إلحاح الزمور أوحى أن بن لادن طليق في الشارع.

تـــرك ميتش الرصيف، وعبر فناء، وفتح بوابة، وأسرع إلى جانب منـــزل، آملاً عدم العثور على ثور هائج في الفناء الخلفي. لا شك في أن معظـــم الثيران لطيفة، لكن نظراً للحظ الذي يصادفه، لن يصادف الأخت الصالحة الخيّرة وإنما سيتعثر بدلاً من ذلك بكلب.

تـــبين أن الفناء الخلفي فارغ، محاط بسور ارتفاعه سبع أقدام مع رؤوس مسننة. لم يرَ بوابة. بعد ربط أعلى كيس النفايات بحزامه، تسلق شجرة، وعبر السور، ونـــزل في ممشى.

تـــتوقع الـــشرطة أن يستخدم هذه المماشي بدلاً من الشوارع، ولذلك لا يستطيع استخدامها.

مـــرّ في مرأب فارغ، محاط بأشجار طويلة وغير مشذبة من فلفل كاليفورنـــيا، تحركت وتمايلت مثل التنانير متعددة الطبقات لراقصات الفالز في القرن الثامن عشر.

فيما كان يعبر الشارع التالي، رأى سيارة شرطة عند التقاطع إلى الشرق. صوت مكابحها القوي أخبره أنها رأته.

عبر فناء فوق سور، عبر ممشى، عبر بوابة، عبر فناء، وعبر شارعاً آخـــر، بـــسرعة كبيرة الآن، والكيس يرتطم بساقه. خشي أن يتمزق ويفلت رزم مئات الدولارات.

الـــصف الأخير من المنازل كان محاذياً لواد صغير، عمقه مئتا قدم تقـــريباً وعرضه ثلاث مئة قدم. تسلق سوراً حديدياً وأصبح فجأة على مـــنحدر قـــوي من تربة متأكلة. دفعته الجاذبية والأرض المنـــزلقة إلى الأسفل.

مثل راكب الأمواج الذي يطارد السعادة المخبأة وراء الوجه المقنع لحجـــر ضـــخم، حاول أن يبقى منتصباً، لكن تبيّن أن الأرض الرملية ليـــست مثل البحر. انـــزلقت ساقاه وانـــزلق على ظهره آخر عشرة يـــاردات، مولداً سحابة من الغبار الأبيض، ثم ارتطم بساتر من العشب الطويل والأعشاب الأطول.

توقف تحت مجموعة من الأغصان. من أعلى، بدا أن أرض الوادي مغطاة بالخضار، لكن ميتش لم يتوقع أشجاراً كبيرة. بالإضافة إلى بعض الشجيرات والأجمات التي تصورها، وجد غابة كبيرة.

أشـــجار كستناء الحصان الكاليفورنية كانت مليئة بأزهار بيضاء عطـــرة. تعانقـــت أشجار النخيل مع غار كاليفورنيا والخوخ الأسود. العديـــد مـــن الأشجار كانت ملتوية وملتفة وخشنة، كما لو أن تربة الـــوادي المديني غذت جذورها بمواد محولة، لكن كانت هناك أشجار ســـفرجل يابانـــية وأشـــجار مطاط تاسمانية يفرح باستعمالها في تزيين الحدائق.

تفـــرقت بعض الجرذان عند وصوله، وابتعدت أفعى عبر الظلال. ربما هي أفعى خشخاشة. لا يمكنه الجزم.

إذا بقـــي تحت غطاء الأشجار، لا يستطيع أحد أن يراه من فوق. لم يعد معرضاً لخطر الانكشاف المباشر.

تشابكت العديد من أغصان الأشجار المختلفة مع بعضها بحيث لم تستطع الرياح القوية إبعادها عن بعضها والسماح بدخول نور الشمس

مباشرة. كان الضوء أخضر ومائياً. ارتجفت الظلال، وتمايلت مثل نجوم البحر.

تدفق ماء خفيف في الوادي، وليس هذا مفاجئاً بعد الموسم الماطر حديـــثاً. قد يكون جدول المياه قريباً جداً من السطح هنا بحيث يستمر تدفق المياه طوال السنة.

فـــك أعلى الكيس عن حزامه وتأمله. بات الكيس ممزقاً من ثلاثة أمـــاكن، مع مزق طوله إنش واحد تقريباً، ولكن لم يقع أي شيء منه على ما يبدو.

أحدث ميتش عقدة صغيرة مؤقتة في عنق الكيس، وحمله عند طية ذراعه اليسرى.

مثلما يذكر جغرافيا الأرض، ضاق الوادي وارتفعت الأرض فجأة نحـــو الغرب. توقف الماء المتدفق ببطء عند ذلك الاتجاه ومشى بموازاته بسرعة أكبر.

ثمـــة سجادة رطبة من الأوراق الميتة تحت خطواته. المزيج الجميل للتربة الرطبة، والأوراق الرطبة، وأوساخ الحيوانات أعطت ثقلاً للهواء.

بالرغم من أن عدد سكان منطقة أورانج يتعدى ثلاثة ملايين، بدا أســـفل الوادي بعيداً جداً وكأنه على مسافة أميال من التحضر. إلى أن سمع صوت المروحية.

تفاجأ بوجودها في السماء في مثل هذه الريح.

بالحكم على الصوت وحده، حلقت المروحية فوق الوادي مباشرة فوق رأس ميتش. توجهت شمالاً وحلقت على نحو دائري فوق المنطقة التي هرب منها، فأصبح الصوت أقوى، ثم أخف، ثم أقوى مجدداً.

إنهم يبحثون عنه من الجو، ولكن في المكان الخطأ. لا يعرفون أنه نـــزل الوادي.

استمر في التحرك – وإنما توقف فجأة مندهشاً عند سماع هاتف أنسون يرن. سحبه من جيبه، وشعر بالارتياح لأنه لم يضعه أو يلحق أذى به.

"أنا ميتش".

قال جيمي نول: "هل أنت متفائل؟".

"نعم. دعني أتحدث إلى هولي".

"ليس هذه المرة. ستراها قريباً. أريد نقل الموعد من الثالثة إلى الثانية".

"لا يمكنك فعل هذا".

"لقد فعلته".

"كم الساعة الآن؟".

قال جيمي نول: "الواحدة والنصف".

"هاي لا. لا أستطيع الوصول في الساعة الثانية".

"لَمَ لا؟ منزل أنسون يبعد دقائق قليلة فقط عن منزل تورنبريدج".

"لست في منزل أنسون".

سأل نول: "أين أنت؟ ماذا تفعل؟".

زرع ميتش قدميه في الأوراق الرطبة وقال: "أتجول، لتمرير الوقت".

"هذا غباء. كان يجدر بك البقاء في منزله، متأهباً".

"اجعل الموعد في الثانية والنصف. أملك المال معي. مليون وأربعمئة ألف. إنه معي".

"دعني أخبرك شيئاً".

انتظر ميتش، وعندما لم يتحدث نول، قال: "ماذا؟ أخبرني ماذا؟".

"بشأن المال. دعني أخبرك شيئاً بخصوص المال".

"حسناً".

"أنا لا أعيش من أجل المال. أملك بعض المال. هناك أمور تعني لي أكثر من المال".

حصل خطب ما. أحس ميتش بذلك قبلاً، عند التحدث إلى هولي، عندما بدت مقيدة و لم تخبره أنها تحبه.

"اسمع، وصلت إلى هنا، *وصلنا* إلى هنا، ومن الجيد أن ننهي هذا".

قال نول: "الساعة الثانية. هذا هو الموعد الجديد. إذا لم تكن حيث يفترض بك أن تكون في تمام الثانية، ينتهي الأمر. لا فرصة أخرى".

"حسناً".

"الساعة الثانية".

"حسناً".

أنهى جيمي نول الاتصال.

ركض ميتش.

63

مكبلة بأنبوب الغاز، عرفت هولي ما يجدر بها فعله، وستفعله، وتستطيع بالتالي تمرير وقتها بالتفكير فقط في كل السبل التي يمكن ألا تحصل فيها الأمور على ما يرام أو بالتساؤل عما يمكن أن تراه من القصر غير المكتمل.

كان توماس تورنبريدج ليملك مطبخاً مذهلاً لو عاش. عند تركيب كل المعدات، يستطيع متعهد تقديم الطعام مع الكثير من الموظفين أن يطهو ويقدم الطعام من هنا إلى ستمئة شخص على المصطبات.

كان تورنبريدج ميليارديراً. الشركة التي أسسها، وجعلته غنياً، لا تصنع منتجات، وإنما كانت مسؤولة عن برامج الإعلانات على الإنترنت.

عندما قدرت مجلة فوربس ثروة تورنبريدج بثلاثة مليارات، كان يشتري المنازل في ضاحية فخمة مطلة على المحيط الهادئ. اشترى تسعة منازل، بالقرب من بعضها، ودفع أكثر من ضعف الثمن الفعلي. أنفق أكثر من ستين مليون دولار على المنازل وحوّلها إلى عقار واحد من ثلاثة أكرات، لا مثيل له تقريباً على شاطئ جنوب كاليفورنيا.

خصصت شركة هندسية كبيرة فريقاً من ثلاثين شخصاً لتصميم منزل من ثلاثة طوابق يمتد على مساحة خمسة وثمانين ألف قدم مربع، علماً أن هذه المساحة لا تشمل المرائب الهائلة والنباتات. كان يفترض أن يبدو المنزل مثل مقرّ سكن ألبرتو بينتو في البرازيل.

بعض العناصر مثل الشلالات الداخلية-الخارجية، وحقل للرماية تحت الأرض، وحلبة داخلية للتزلج على الجليد، استلزمت عملاً بطولياً من مهندسي البناء والأنظمة والتربة. استغرق وضع الخرائط سنتين. خلال أول سنتين من البناء، عملت الشركة الصانعة فقط على الأساس والمساحات تحت الأرضية.

لا ميزانية. أنفق تورنبريدج كل ما هو لازم.

تم شراء أشكال رائعة من الرخام والغرانيت. ستتم تغطية القسم الخارجي من المنزل بحجر الكلس الفرنسي. تمت صناعة ستون عموداً من حجر الكلس، من القاعدة إلى الأعلى، بكلفة سبعين ألف دولار لكل عمود.

كان تورنبريدج ملتزماً بشغف بالشركة التي أسسها بقدر ما كان ملتزماً بالمنزل الذي أراد تشييده. اعتقد أنها ستصبح واحدة من أكبر عشر شركات في العالم.

اعتقد ذلك حتى بعدما كشف الإنترنت المتطور سريعاً الكثير من العيوب في عمله. منذ البداية، باع حصصه فقط لتمويل أسلوب العيش، وليس لتوسيع الاستثمارات. وعندما انخفضت أسعار أسهم شركته، استدان لشراء المزيد من الحصص في السوق. انخفض السعر أكثر، واشترى المزيد.

عندما لم يتحسن السعر أبداً، وانفجرت الشركة من الداخل، أفلس تورنبريدج. وتوقف تشييد المنزل.

لاحقه الدائنون، والمستثمرون، وزوجة سابقة غاضبة، فجاء توماس تورنبريدج إلى منزله غير المنجز بعد، وجلس على كرسي قابل للطي على شرفة غرفة النوم الرئيسة، وأمام منظر ممتد على 240 درجة من المحيط وأضواء المدينة، تناول جرعة زائدة من المنومات مع قنينة باردة من الشراب.

عثرت عليه الطيور الكاسرة قبل يوم واحد من عثور زوجته السابقة عليه.

بالرغم من أن العقار الساحلي الممتد على مساحة ثلاثة أكرات كان يوازي ثروة، لم يتم بيعه بعد موت تورنبريدج. كان عالقاً في شبكة من الدعاوى القضائية. القيمة الحقيقية للأرض الآن تقدر بستين مليون دولار التي دفعها تورنبريدج زيادة لها، ما يوفر مجموعة صغيرة جداً من الشارين المحتملين.

لإنجاز هذا المشروع مثلما هو محدد في الخرائط، يحتاج الشاري إلى إنفاق خمسين مليون على العمل النهائي ليصبح حسب ذوقه. وإذا هدم المبنى الحالي وبدأ مجدداً، عليه الاستعداد لإنفاق خمسة ملايين فوق الستين مليون للأرض، لأنه سيواجه مبنى من الإسمنت والفولاذ مصمماً لتحمل زلزال بقوة 8.2 من دون التعرض لأي ضرر.

على أمل أن تصبح وكيلة عقارات، لا تحلم هولي بالحصول على عمولة من منزل تورنبريدج. ستكتفي ببيع المنازل في الضواحي الوسطى لأشخاص متحمسين لامتلاك منازلهم.

في الواقع، إذا استطاعت مقايضة حلمها المتواضع في العقارات بضمانة بقائها على قيد الحياة هي وميتش بعد دفع الفدية، سترضى بأن تبقى سكرتيرة. إنها سكرتيرة جيدة، وزوجة جيدة. ستسعى بكدّ لأن تكون أماً جيدة أيضاً، وستكتفي بهذا، بالحياة، بالحب.

لكن لا يمكن عقد مثل هذه الصفقة. يبقى قدرها بين يديها، فعلياً وصورياً. عليها التصرف عندما يحين الوقت للتصرف. تملك خطة. إنها مستعدة للمجازفة، للألم، للدم.

عاد المجرم. ارتدى سترة قصيرة من الجلد، ولبس زوجَ قفازات رقيقة.

كانت جالسة على الأرض عندما دخل، لكنها وقفت على قدميها عندما اقترب منها.

انتهك مفهوم المساحة الشخصية واقترب من هولي مثلما يفعل أي رجل قبل أخذها بين ذراعيه لمراقصتها.

"في منزل دوفيجيو وإيلويزا باشيكو في ريو لوتشيو، هناك كرسيان من الخشب الأحمر في غرفة الجلوس، كرسيان لكل منهما متن من القضبان مع سطح منقوش".

وضع يده اليمنى على كتفها اليسرى، وفرحت لأنه كان يلبس زوجَ القفازات.

تابع قائلاً: "على كرسي حمراء هناك تمثال من السيراميك للصالح الخيّر أنطوني. على الكرسي المقابلة، هناك تمثال ولد يرتدي الثياب الخاصة بدار العبادة".

"من هو الصبي؟".

"هذا التمثال يمثل ابنهما، واسمه أنطوني أيضاً، قتله سائق ثمل عندما كان في السادسة. حصل ذلك قبل خمسين عاماً، عندما كان دوفيجيو وإيلويزا في العقد الثاني من العمر".

لم تصبح بعد أماً وإنما أملت في أن تصبح واحدة، لم تستطع تخيل ألم مثل هذه الخسارة، أو رعب هذه الصدمة. قالت: "مزار".

"نعم، مزار من كرسيين باللون الأحمر. لم يجلس أحد على هاتين الكرسيين منذ خمسين عاماً. الكرسيان هما للتمثالين".

صححت: "لأنطوني وأنطوني".

لم يعتبر ذلك تصحيحاً ربما.

قال: "تخيلي كيف تم تركيز كل الحزن والأمل والحب واليأس على هذين التمثالين. نصف قرن من الاشتياق القوي منح هذين الشيئين قوة هائلة".

تذكرت الفتاة التي كانت ترتدي الفستان المخرم، المدفونة مع ميدالية الصالح الخيّر كريستوفر ودمية سندريلا.

"سأزور دوفيجيو وإيلويزا يوماً ما حين لا يكونان في المنزل، وآخذ تمثال الولد".

هذا الرجل مجبول بأشياء عدة، ومنها سارق وحشي لاعتقادات الناس وأملهم وذكرياتهم المهمة.

"لا أهتم لأنطوني الآخر، الصالح الخيّر، لكن تمثال الولد يملك قدرة عجيبة. سآخذ تمثال الولد إلى إسبانيولا...".

"حيث ستتغير حياتك مجدداً".

قال: "بشدة. وربما ليس فقط حياتي".

أغمضت عينيها وهمست: "كرسيان باللون الأحمر" كما لو أنها تتخيل المشهد.

بـــدا هذا تشجيعاً كافياً له في الوقت الحاضر، لأنه بعد صمت، قال: "سيكون ميتش هنا في غضون أقل من عشرين دقيقة".

خفـــق قلبها بقوة عند سماع هذا الخبر، لكن أملها كُبت بخوفها، و لم تفتح عينيها.

"سأذهب الآن لمراقبته. سيحضر المال إلى هذه الغرفة؛ ويأتي بعدها الوقت لاتخاذ القرار".

"في إسبانيولا، هل توجد امرأة مع كلبين بيضاوين؟".

"هل هذا ما ترينه؟".

"كلبان يختفيان في الثلج".

"لا أعـــرف. لكـــن إذا رأيـــتهما، أنـــا واثـــق من أنهما في إسبانيولا".

"أرى نفـــسي أضـــحك معها، والكلبان بيضاوان جداً". فتحت عينيها ونظرت إليه. "من الأفضل أن تذهب لانتظاره".

وعدها: "عشرون دقيقة"، ثم غادر المطبخ.

وقفت هولي جامدة للحظات، مذهولة من نفسها.

كلـــبان بيضاوان فعلاً. من أين جاء هذا؟ كلبان بيضاوان وامرأة ضاحكة.

تضحك الآن على سذاجته، لكن لا يوجد هزل في كونها دخلت عميقاً كفاية رأسه لمعرفة التخيلات التي تنفع معه. لم تعجبها أبداً قدرتها على السفر في عالمه المجنون.

تملكتها الرجفة وجلست. يداها باردتان، وسيطر البرد على داخل أحشائها.

مـــدّت يدها تحت كنـــزتها، بين ثدييها، وأخرجت المسمار من حمالة ثدييها.

بالـــرغم من أن المسمار حاد، تمنت لو كان حدًّا أكثر. لا تملك وسيلة لجعله مستدقاً أكثر.

باســـتعمال رأس المسمار، كشطت الجدار الجاف بقوة إلى حين حصولها على كومة صغيرة من البودرة البيضاء.

لقد حان الوقت.

حـــين كانت هولي فتاة صغيرة، خافت لبعض الوقت من مجموعة الوحوش الليلية التي ولدت من مخيلتها الخصبة: في الخزانة، تحت السرير، أمام النوافذ.

علمـــتها جدتها دوروثي قصيدة تقول إنها تطرد كل الوحوش: تخبر تلك الموجودة في الخزانة، تحوّل تلك الموجودة تحت السرير إلى غـــبار، وترســـل تلك الموجودة أمام النوافذ بعيداً إلى الكهوف التي تنتمي إليها.

بعـــد ســـنوات، تعلمت هولي أن هذه القصيدة، التي شفتها من خـــوفها مـــن الوحوش، كان عنوانها *تضرعات جندي*. كتبها جندي بـــريطاني مجهول وتم العثور عليها على قصاصة ورقية في تونس خلال الحرب.

تلت القصيدة الآن بهدوء وإنما بصوت عالٍ:

"ابقَ معي، يا الله. الليل مظلم،
الليل بارد: شعاعي الصغير
من الشجاعة يموت. الليل طويل؛
كن معي يا الله واجعلني قوية".

ترددت، وإنما للحظات فقط.

لقد حان الوقت.

64

بحـــذاء مليء بالوحل والأوراق الرطبة، وثياب مجعدة ومتسخة، وكـــيس نفايات أبيض محمول بين ذراعيه وملتصق بصدره كما لو أنه طفـــل غـــالٍ، وعيـــنين ســـاطعتين جداً باليأس بحيث يمكن أن يكونا مصباحين لطريقه لو هبط الليل، أسرع ميتش إلى حافة الطريق السريع.

لن يخفق أي رجل شرطة، يصادف مروره، في الانتباه إليه تحديداً. يملك شكل الهارب من العدالة أو الرجل المجنون، أو الاثنين معاً.

بعـــد خمـــسين ياردا تقريباً، هناك محطة وقود ودكان صغير. ثمة أعلام تعلن عن بيع دواليب رفرفت بقوة في الهواء.

تـــساءل إذا كانت عشرة آلاف دولار نقداً توفر له الوصول إلى منـــــزل تورنبريدج. ربما لا. مثلما يبدو، يتوقع معظم الأشخاص أن يقتلهم على الطريق.

رجـــل يـــبدو مثل المتشرد، يلوح بعشرة آلاف دولار، ويرغب في ركوب سيارة، سيجعل صاحب المحطة متوتراً. قد يتصل برجال الشرطة.

إلا أن دفع المال لركوب السيارة قد يكون خياره الوحيد باستثناء سرقة سيارة أحدهم بقوة السلاح، وهذا أمر لن يفعله. صاحب السيارة قد يمسك بحماقة بالمسدس ويطلق النار على نفسه عن غير قصد.

فـــيما اقترب من محطة الوقود، انحرفت سيارة كاديلاك إسكالاد عـــن الطريق السريع، وتوقفت أمام إحدى مضخات المحطة. خرجت مـــنها امرأة شقراء طويلة، تحمل محفظة نقودها، ودخلت بسرعة المتجر الصغير، تاركة باب السائق مفتوحاً.

صف المضخات الذي وقفت أمامه كان للخدمة الذاتية. لا يوجد عمال مراقبون.

ثمة زبون آخر يملأ سيارة الإكسبلورر خاصته بالوقود. ركّز على نوافذه لتنظيفها بممسحة مطاطية.

أســـرع ميـــتش إلى الإسكالاد ونظر عبر الباب الأمامي. المفاتيح موجودة في الداخل.

انحنى إلى الداخل وتأمل المقعد الخلفي. لا جد، لا طفل في كرسي الأمان، لا كلب مفترس.

جلـــس وراء عجلة القيادة، وأغلق الباب، وشغّل المحرك، وانطلق على الطريق السريع.

بالـــرغم من أنه توقع جزئياً أن يركض نصف الناس وراءه، وهم يلوحون بأيديهم ويصرخون، لم تكشف مرآة الرؤية الخلفية عن أحد.

كان الطريق السريع مقسوماً. فكر في القيادة فوق القسم الفاصل بيـــنها في الوســـط. تستطيع سيارة الإكسبلورر تحمل ذلك. القدر هو القدر، ومرّت سيارة شرطة في تلك اللحظة تحديداً.

أسرع شمالاً وصولاً إلى منعطف، ثم توجه جنوباً. عندما مرّ أمام محطة الوقود، لم يجد امرأة شقراء طويلة غاضبة. زاد سرعته، وإنما ضمن حدود السرعة القصوى الموصى بها.

في الحـــالات الطبيعية، ليس سائقاً يتململ من السائقين البطيئين. لكن خلال هذه الرحلة، تمنى لهم كل أنواع المرض والحظ السيئ.

عـــند الـــساعة 1:56 وصـــل إلى المنطقة التي يقع فيها منـــزل تورنبريدج غير المشيد. بعيداً عن القصر، توقف أمام الرصيف.

لعـــن الأزرار العنـــيدة ونـــزع قميصه عنه. ثمة احتمال كبير أن يجبره جيمي نول على خلعها أصلاً ليثبت له أنه لا يخفي سلاحاً.

طُلـــب مـــنه أن يأتي من دون سلاح. أراد أن يبدو ملتزماً بهذا الطلب.

من كيس النفايات، أخرج علبة ذخيرة 0.45، ومن جيب سروال الجينـــز، ســحب الأسطوانة الأصلية لمسدس سبرينغفيلد شامبيون. أضاف ثلاث رصاصات إلى السبع رصاصات الموجودة أصلاً.

ساعدته ذكريات الأفلام جيداً. سحب المشط، وأدخل الرصاصة الحادية عشرة في حجرة النار.

انــزلقت الرصاصات بين أصابعه المرتجفة والمتعرقة، ولذلك تسنى له الوقت لملء أسطوانتين فقط من الأسطوانات الثلاث الاحتياطية. خبأ علبة الذخيرة والاسطوانة الإضافية تحت مقعد السائق.

دقيقة واحدة حتى الساعة الثانية.

خــبأ الأسطوانتين المحشوتين في جيب الجينـــز، ووضع المسدس المحشو في الكيس مع المال، وربط أعلى الكيس ولكنه لم يعقده، وتوجه إلى منـــزل تورنبريدج.

ثمـــة سياج طويل مزود بألواح من القماش الأخضر البوليستري تفـــصل الشارع عن عقار تورنبريدج الكبير. السكان المجاورون الذين تقبلوا هذه البشاعة لسنوات تمنوا على الأرجح لو أن صاحب المنـــزل لم يقتل نفسه، كي يعذبوه الآن بالمحامين وقدح الجيران.

كانـــت البوابة مغلقة، ملفوفة بسلسلة. مثلما قال جيمي، لم تكن مقفلة.

دخل ميتش بالسيارة المكان وركن السيارة رباعية الدفع بحيث كان صـــندوقها مـــواجهاً للمنـــزل. خرج منها وترك الأبواب كلها مفتوحة، على أمل أن يوضح ذلك رغبته في الالتزام قدر المستطاع بشروط الاتفاق.

أغلق البوابة الخارجية، وأعاد السلسلة إلى مكانها مرة جديدة.

حاملاً كيس النفايات، مشى إلى نقطة بين الإسكالاد والمنـــزل، وتوقف، وانتظر.

كـــان النهار دافئاً، ولكن ليس حاراً، لكن الشمس قاسية. سطع الضوء في عينيه، وكذلك الرياح.

رنّ هاتف أنسون الخلوي.

تلقى الاتصال. "أنا ميتش".

قـــال جيمـــي نول: "إنها الساعة الثانية والدقيقتان. أوه، مضت دقيقتان. لقد تأخرت".

65

بـــدا المنـــزل غير المنجز كبيراً مثل فندق. يحتمل أن جيمي نول يراقب ميتش من أي نافذة من النوافذ.

قال: "كان يفترض بك المجيء في سيارة الهوندا".

"تعطلت".

"من أين حصلت على الإسكالاد؟".

"سرقتها".

"لا تمزح".

"لا أمزح".

"اركنها بموازاة المنـــزل لكي أرى تماماً المقاعد الأمامية والخلفية".

فعـــل ميتش مثلما طلب منه، وترك الأبواب مفتوحة بعدما بدل موقـــع الـــسيارة. ابـــتعد عن السيارة رباعية الدفع وانتظر مع كيس النفايات، واضعاً الهاتف على أذنه.

تساءل إذا كان نول سيقتله من بعيد ويأخذ المال. تساءل لماذا لا يفعل ذلك.

"أنا متفاجئ لأنك لم تأتِ في سيارة الهوندا".

"أخبرتك. لقد تعطلت".

"ماذا حصل؟".

"انفجـــر الـــدولاب. وأنـــت جعلت الموعد قبل ساعة فلم يكن بوسعي تغييره".

"سيارة مسروقة؛ يحتمل أن يطاردك رجال الشرطة إلى هنا".

"لم يرَني أحد وأنا آخذها".

"أين تعلمت تشغيل سيارة من دون مفتاح؟".

"كان المفتاح فيها".

فكـــر نول بصمت، ثم قال: "ادخل المنـــزل عبر الباب الأمامي. ابقَ على الهاتف".

لاحظ ميتش أنه تم إطلاق النار على الباب لفتحه. دخل.

كانـــت ردهـــة الاستقبال هائلة. بالرغم من عدم إنجاز الأعمال النهائية، كان جوليان كامبل ليتأثر.

بعد ترك ميتش يفكر لدقيقة، قال جيمي نول: "ادخل عبر القناطر للوصول إلى غرفة الجلوس مباشرة أمامك".

ذهـــب ميتش إلى غرفة الجلوس، حيث امتدت النوافذ الغربية من الأرض إلى الـــسقف. حـــتى عبر الزجاج المليء بالغبار، كانت الرؤية مذهلة جداً بحيث استطاع فهم السبب الذي جعل تورنبريدج يرغب في الموت هنا.

"حسناً. أنا هنا".

قال نول: "استدر إلى اليسار واعبر الغرفة. ثمة باب عريض يؤدي إلى غرفة جلوس أخرى".

لم يـــتم تـــركيب أي بـــاب من الأبواب. عندما وصل ميتش إلى غرفة الجلوس، التي وفرت أيضاً مظهراً مذهلاً، قال نول: "سترى

بابـــاً عريـــضاً آخـــر مقابل الباب الذي تقف فيه، وباباً آخر إلى يسارك".

"نعم".

"هـــذا الباب يفضي إلى ممر. الممر يصل غرفاً أخرى ويؤدي إلى المطبخ. إنها في المطبخ. لكن لا تقترب منها".

تحـــرك ميـــتش عـــبر الغـــرفة في اتجـــاه الـــباب المحدد، وقال: "لَمَ لا؟".

"لأنـــني أنـــا مـــن يصدر الأوامر هنا. إنها مقيدة بأنبوب. أملك المفتاح. توقف فقط داخل المطبخ".

بـــدا أن الممـــر يبـــتعد عنه كلما مشى فيه، لكنه عرف أن هذا الإحساس نفسيّ على الأرجح. تاق بشدة إلى رؤية هولي.

لم ينظر إلى أي من الغرف التي مرّ أمامها. لا بد أن نول موجود في واحدة منها. لا يهم.

عندما دخل ميتش المطبخ، رآها فجأة، وتضخم قلبه، وجف فمه. كـــل مـــا عاناه، كل الألم الذي عاشه، كل الأشياء المريعة التي فعلها أصبحت في تلك اللحظة تستحق العناء.

66

بمـــا أن المجرم دخل المطبخ للوقوف قربها خلال القسم الأخير من المحادثة الهاتفية، سمعته هولي يعطي التعليمات النهائية.

حبـــست أنفاســـها، مصغية إلى صوت الخطوات. عندما سمعت ميتش يقترب، تلألأت الدموع الساخنة في عينيها، لكنها كبحتها.

بعد لحظات، دخل ميتش الغرفة. لفظ اسمها بحنان. زوجها.

www.rewity.com dodyadodo

وقفـــت وشبكت ذراعيها فوق ثدييها، وأطبقت يديها تحت إبطيها.

أخفضت الآن ذراعيها ووقفت واضعة قبضتيّ يديها على جانبيها.

المجرم، الذي يحمل مسدساً كاتماً للصوت، يركز تماماً على ميتش.

"مدد ذراعيك مثل العصفور".

أطاع ميتش، وتدلى كيس النفايات الأبيض من يده اليمنى.

ثـــيابه رثة. شعره متطاير بفعل الريح. وجهه أضاع كل لون. إنه جميل.

قال القاتل: "تقدم إلى الأمام ببطء".

مثلما طلب منه، تقدم ميتش، وطلب منه المجرم التوقف بعد خمس عشرة خطوة.

فيما توقف ميتش، قال القاتل: "ضع الكيس على الأرض".

أخفض ميتش الكيس على الأرض الكلسية. استقر لكنه لم ينفتح.

غطـــى القاتل ميتش بالمسدس وقال: "أريد أن أرى المال. اركع أمام الكيس".

لا تحـــب هـــولي أن ترى ميتش راكعاً. إنها الوضعية التي يطلبها المجرمون من ضحاياهم قبل لحظة الإعدام.

علـــيها التصرف، لكن الوقت لا يبدو ملائماً. إذا تصرفت باكراً جداً، قد تفشل الخطة. أخبرتها فطرتها بضرورة الانتظار، بالرغم من أن الانتظار وميتش راكع صعب جداً.

قـــال القاتـــل: "أرني المال" ووضع كلتا يديه على المسدس، مع إصبع على الزناد.

فتح ميتش أعلى الكيس وسحب لفافة من المال النقدي ملفوفة بورق نايلون. مزق طرفاً من ورق النايلون، وحرك أوراق المئة دولار بإبهامه.

سأل القاتل: "السندات؟".

أعاد ميتش المال إلى الكيس.

توتر المجرم وأقحم المسدس إلى الأمام فيما تمدد ميتش إلى الكيس مجدداً، ولم يسترخِ حتى عندما أخرج ميتش مغلفاً كبيراً.

مـــن المغلف، استخرج ميتش نصف دزينة من الشهادات الرسمية. مدّ واحدة إلى الأمام لكي يقرأها القاتل.

"حسناً. أعدها إلى المغلف".

أطاع ميتش، وهو لا يزال راكعاً على ركبتيه.

قـــال المجـــرم: "ميـــتش، لو أتيحت لزوجتك فرصة تحقيق حلم شخـــصي لم يخطر في بالها، فرصة التنور، *الترقي*، لرغبت حتماً في أن تجعلها تلحق بذلك المصير الأفضل".

مذهولاً من هذا التحول، لم يعرف ميتش ماذا يقول، لكن هولي عرفت. لقد حان الوقت.

قالت: "تلقيت إشارة. مستقبلي هو في نيومكسيكو".

رفعـــت يـــديها عن جانبيها، وفتحت معصميها، وكشفت عن جروحها المليئة بالدم.

صـــدرت صرخة لاإرادية من ميتش، وألقى الخاطف نظرة سريعة على هولي، وبدا مذهولاً هو أيضاً.

لم تكـــن ثقـــوب المسمار سطحية، بالرغم من أنها لم تحفر تماماً يديها. لقد طعنت نفسها وحززت الجروح بتصميم وحشي.

الأســـوأ كـــان ضرورة كبت كل صرخة ألم. لو سمعها تعبر عن ألمها، لجاء القاتل لرؤية ما تفعله.

في الـــبداية، نـــــزفت الجروح كثيراً. رشت عليها بودرة الجص لوقـــف النـــــزيف. وقـــبل أن يعطي الجص مفعوله، سال الدم على الأرض، لكنها غطته بطبقة من الغبار السميك.

عند وضع يديها في قبضتين تحت إبطيها، مع دخول ميتش الغرفة، أبعدت هولي بودرة الجص عن الجروح وعادت لتنـــزف مرة جديدة.

يتدفق الدم الآن أمام ذهول القاتل، وقالت هولي: "في إسبانيولا، حـــيث ستتغير حياتك، تعيش امرأة اسمها روزا غونـــزاليس مع كلبين بيضاوين".

بيدها اليسرى، أنـــزلت ياقة كنـــزتها وكشفت عن ثدييها.

ارتفع نظره من ثدييها إلى عينيها.

مـــدت يـــدها اليمنى بين ثدييها، وأطبقت على المسمار براحتيّ يديها، خشية ألا يسمح لها الخوف بالإمساك به بين أصابعها.

ألقى القاتل نظرة سريعة على ميتش.

أمسكت المسمار جيداً، وكشفته، ومررته فوق وجه القاتل، مصوبة على عينه، لكنها ثقبت بدلاً من ذلك تجويف وجنته نـــزولاً إلى الأسفل.

صـــرخ، ومـــدّ لـــسانه، وتراجع بعيداً عنها، وانطلقت النار من مسدسه بعشوائية فدخلت الرصاصات في الجدران.

رأت ميتش ينهض ويتحرك بسرعة، وهو يحمل مسدسه.

67

صرخ ميتش: "هولي، تحركي"، وتحركت عند سماع أول حرف من كلمة *هولي*، ففصلت نفسها عن جيم نول بقدر ما تسمح سلسلتها.

وجـــه المـــسدس إلى الـــبطن، أصاب الصدر، مستريحاً قليلاً من الارتداد، ومن ثم مطلقاً النار مجدداً، ومراراً وتكراراً، ولاحظ أن بعض الطلقـــات توجهت بعيداً، لكنه رأى ثلاث أو أربع طلقات تدخل في السترة، ويصدر كل منها صوت دوي هائلاً في المنـــزل الكبير.

تـــراجع نـــول إلى الخلف، فاقداً توازنه. يملك مسدسه أسطوانة إضـــافية. بـــدا أنه أوتوماتيكي بالكامل. أصابت الرصاصات جداراً، وجزءاً من السقف.

بمـــا أنـــه يمـــسك السلاح الآن بقبضة يد واحدة فقط، وبما أن الارتـــداد أبعد السلاح عنه، أو أنه ربما فقد كل القوة، أو لأي سبب كـــان، طـــار منه المسدس. ارتطم المسدس بالجدار ووقع على الأرض الكلسية.

متراجعاً إلى الخلف بفعل تأثير رصاصات 0.45، تعثر نول، ومال إلى جانبه ثم سقط على وجهه.

عـــندما اختفى صدى الرصاص، استطاع ميتش سماع أنين جيمي نـــول. هكـــذا يتنفس الشخص ربما عندما يكون مصاباً بجرح قاتل في الصدر.

لم يكـــن ميـــتش فخوراً بما فعله لاحقاً، ولم يستمتع أبداً به. في الواقـــع، لم يفعله تقريباً، لكنه عرف أن هذا لن يمنحه أي إعفاء عندما يحين الوقت لتقييم طريقة عيش حياته.

داس فـــوق الرجل المتألم، وأطلق النار عليه مرتين في الظهر. أراد إطلاق رصاصة ثالثة عليه، لكنه استنفد كل الرصاصات الإحدى عشرة التي كانت في المسدس.

ركعـــت هولي بطريقة دفاعية خلال إطلاق النار فنهضت للقاء ميتش عندما استدار صوبها.

سأل: "هل من أحد آخر؟".

"فقط هو، فقط هو".

طارت نحوه، ووضعت ذراعيها حوله. لم يمسكها قبلاً بهذه القوة، بمثل هذه الوحشية الجميلة.

"يداك".

"إنهما بخير".

أصرّ: "يداك".

"إنهما بخير. أنت على قيد الحياة. إنهما بخير".

قبّلها في كل جزء من وجهها، في فمها، عينيها، حاجبيها، عينيها مجدداً، الممتلئتين الآن بالدموع، فمها.

فاحت من الغرفة رائحة الرصاص، واستلقى رجل ميت على الأرض، ونزفت هولي، وشعر ميتش بالضعف في ساقيه. أراد هواءً نقياً، الهواء السريع، نور الشمس للدخول إليه.

قال: "دعينا نخرج من هنا".

"السلسلة".

ثمة قفل فولاذي صغير يربط السلسلة حول معصمها.

قالت: "إنه يملك المفتاح".

حدق ميتش إلى الجثة، ثم سحب أسطوانة احتياطية من جيب الجينز. أخرج الأسطوانة الفارغة واستبدلها بالجديدة.

وضع فوهة المسدس على الجهة الخلفية لرأس الخاطف، وقال: "حركة واحدة وأفجر دماغك" لكنه لم يحصل حتماً على أي جواب.

إلا أنه ضغط بقوة على السلاح، وبيده الحرة، تمكن من تفتيش الجيوب الجانبية للسترة. عثر على المفتاح في الجيب الثاني.

وقعت السلسلة عن معصمها ووقع القفل على الأرض الكلسية.

قال: "يداك. يداك الجميلتان".

رؤية دمها آلمته، وفكر في مسرح الجريمة المدبر في مطبخهما، بصمات اليد الملطخة بالدم، لكن هذا أسوأ، أسوأ كثيراً أن يراها تنزف.

"ماذا حصل ليديك؟".

"نيو مكسيكو. ليست سيئة مثلما تبدو. سأشرح لك. دعنا نذهب. فلنخرج من هنا".

رفع كيس مال الفدية عن الأرض. بدأت تتوجه نحو الباب، لكنه أخذها إلى الممر الآتي من الردهة لأنه الطريق الوحيد الذي يعرفه.

مشيا وقد وضعت ذراعها اليمنى حول كتفيه، فيما وضع ذراعه اليسرى حول خصرها، ومرّا أمام الغرف المسكونة أم لا، وكان قلبه يخفق بقوة مماثلة لتلك التي خفق فيها أثناء معركة النار السريعة. ربما قد يستمر في الخفقان هكذا لبقية حياته.

كان الممر طويلاً، وفي غرفة الجلوس، لم يستطيعا عدم النظر إلى المشهد الواسع المغطى بالغبار.

فيما دخلا غرفة الجلوس الثانية، صدر صوت حياة في مكان آخر في المنزل. انتقل الصوت من غرفة إلى غرفة، وصدح في الأسقف العالية، بحيث استحال تحديد مصدره.

قالت: "دراجة نارية".

قال ميتش: "السترة الواقية من الرصاص".

تأثير الرصاصات، خصوصاً الرصاصتان اللتان تم توجيههما إلى الظهر، مباشرة على العمود الفقري، جعلت من دون شك جيمي نول فاقد الوعي لفترة وجيزة.

لم يكن يدري المغادرة في السيارة التي جاء بها إلى هنا. ركن دراجة نارية قرب المطبخ، في غرفة الفطور ربما، وكان مستعداً للمغادرة – إذا لم تجرِ الأمور على ما يرام – عبر أي منفذ من المنزل، أي باب. وحين يصبح خارج المنزل، يستطيع الهروب ليس فقط عبر البوابة الرئيسة المؤدية إلى الشارع وإنما أيضاً عبر التسلق فوق السور، أو بأي طريقة أخرى.

فـيما صـدح صـوت المحرك، عرف ميتش أن جيمي لا ينوي الهروب. ولا ينتظر الفدية أيضاً.

كـل ما حصل بينه وبين هولي- نيومكسيكو وروزا غونـزاليس والكلـبان البيضاوان والإشارات الدموية- كل ذلك شدّه، كما شدّه إذلال المـسمار في الـوجه. بسبب المسمار، أراد هولي أكثر من المال، أرادها ميتة.

أوحى المنطق بأنه خلفهما وسيأتي من غرفة الجلوس الخلفية.

طلب ميتش من هولي الاستعجال في عبور غرفة الجلوس العملاقة، والاتجاه نحو ردهة الاستقبال والباب الأمامي خلفها.

لكـن المـنطق أخفق. كانا قد عبرا أقل من نصف غرفة الجلوس عندما أطلق جيمي نول الجالس على دراجة كاوازاكي النار من مكان ما، وأصاب العمود الفاصل بينهما وبين ردهة الاستقبال.

سـحبها ميـتش إلى الخلف فيما أطلق نول النار بين الأعمدة في غرفة الاستقبال. استدار استدارة كبيرة وجاء مباشرة إليهما، عبر تلك الغرفة، عبر عرض الأعمدة، لاكتساب السرعة.

لا يملك نول مسدسه. من دون ذخيرة. أو أنه نسي المسدس لشدة غضبه.

أزاح ميـتش هـولي خلفه، ورفع مسدس الشامبيون بكلتا يديه، متذكراً المشهد الأمامي، نقطة بيضاء، وفتح النار فيما كان نول يمرّ بين الأعمدة.

صوّب على صدره هذه المرة، آملاً في إصابة الرأس. خمسون قدماً وتصدعت الجدران. الطلقة الأولى عالية، الثانية، *أخفضها*، ثلاثين قدماً، الطلقـة الثالـثة. *أخفـضها*! الطلقة الرابعة أصابت دماغ جيمي نول بوحشية وانفصلت يداه عن مقبضيّ الدراجة.

توقف الرجل الميت، لكن الدراجة النارية لم تتوقف، فبرمت على عجلـتها الخلفية، فيما المكابح مضغوطة، وخرج الدخان منها، إلى أن انقلـبت، وانحـنت إلى الأمام، ومرّت أمامهما، وأصابت واحدة من النوافذ الكبيرة، وحطمتها، وخرجت.

مـن دون شـك. يملك الشر قدرة هائلة على التحمل. من دون شـك، مـن دون شك. حمل مسدس شامبيون بين يديه، واقترب منه بـبرودة، من دون عجلة الآن، ودار حوله. تحرك حول الدماغ المتناثر على الأرض. دماغ رمادي وردي، فتات عظام، وبقايا شعر. لا يمكن أن يكون حياً. لكن لا يمكن الوثوق في أي شيء.

رفـع ميتش القناع لرؤية الوجه، لكنه لم يعد وجهاً، وقد انتهيا الآن. لقد انتهيا.

68

في الـصيف الذي أصبح فيه عمر أنطوني ثلاث سنوات، احتفلوا بذكرى ميلاد ميتش الثانية والثلاثين بإقامة حفلة في الفناء الخلفي.

باتـت شركة الأخضر الكبير تملك ثلاث شاحنات الآن، وهناك خمـسة موظفين إضافة إلى إيغي بارنـز. لقد جاءوا جميعاً مع زوجاتهم وأولادهم، وأحضر إيغي راقصة اسمها مادلين.

عقـدت هـولي صداقات جيدة - مثلما تفعل دوماً - في وكالة العقارات حيث هي الثانية في المبيعات لغاية الآن هذه السنة.

بالرغم من أن دوروثي جاءت بعد أنطوني باثني عشر شهراً فقط، لم ينـتقلوا إلى منـزل أكبر. لقد ترعرعت هولي هنا. هذا المنـزل هو تاريخها. بالإضافة إلى ذلك، لقد حققوا تاريخاً حقيقياً هنا.

سيشيدون طابقاً ثانياً قبل أن يولد ولد ثالث. وسيكون هناك ولد ثالث.

لقد اجتاز الشر هذه العتبة، لكن ذكراه لن تبعدهما عن هذا المكان. الحب ينظف أسوأ البقع. على كل حال، لا يمكن التراجع أمام وجه الشر، وإنما فقط المقاومة، والالتزام.

جاء ساندي تاغارت، أيضاً، مع زوجته، جنيفر، وابنتيه. أحضر جريدة اليوم، متسائلاً ما إذا كان ميتش قد قرأ الخبر، لكن ميتش لم يفعل: جوليان كامبل، بين الحكم والاستئناف، وجد مذبوح الحنجرة في السجن. تم الاشتباه بشخص ما لكن لم يتم تحديده بعد على أنه القاتل.

بالرغم من أنسون موجود في سجن مختلف عن ذلك الذي أرسل إليه كامبل، سيسمع حتماً بالخبر. سيجعله ذلك يفكر في ما يعمل محاموه على تأجيل الحكم بإعدامه.

أخت ميتش الصغرى، بورشا، جاءت إلى الحفلة من برمنغهام، ألاباما، مع زوجها فرانك وأولادهما الخمسة. بقيت ميغان وكوني بعيدتين في أكثر من سياق، لكن ميتش وبورشا كانا قريبين من بعضهما، وأمل في أن يجعل أختيه الأخريين قريبتين منه مع الوقت.

أنجب دانيال وكاتي خمسة أولاد لأنه قال إن استمرار الجنس لا يمكن تركه لغير العقلانيين.

قامت بورشا بموازنة الأولاد الخمسة لوالدها بإنجابها خمسة أولاد هي الأخرى، وربّتهم بمعايير تقليدية لا تنطوي على غرفة تعلم.

ليلة ذكرى الميلاد هذه، تناولوا الطعام أمام الموائد الموضوعة على المصطبة والمرج، وجلس أنطوني بفخر على كرسيه الخاصة. صنعها له ميتش وفق تصميم وضعته هولي، ولونتها له باللون الأحمر الساطع.

أخبرت أنطوني: "هذه الكرسي هي لذكرى صبي كان عمره ست سنوات قبل خمسين عاماً وبقي محبوباً طوال ستة وخمسين عاماً. إذا ظننتَ يوماً أنك غير محبوب، اجلس على هذه الكرسي واعرف أنك محبوب بقدر ما كان أنطوني الآخر محبوباً، بقدر ما كان أي ولد آخر محبوباً".

قال أنطوني، البالغ من العمر ثلاث سنوات: "هل أستطيع الحصول على البوظة؟".

بعد العشاء، كانت هناك حلبة رقص نقالة على المرج ولم تكن الفرقة الموسيقية فاشلة مثلما كانت في زفافهما. لا طبول ولا أكورديون.

لاحقاً، بعدما غادرت الفرقة الموسيقية ورحل كل الضيوف، عندما نام أنطوني ودوروثي على أرجوحة المصطبة الخلفية، طلب ميتش من هولي الرقص على موسيقى الراديو، بعد أن أصبحت الحلبة الآن كلها لهما. أمسكها بالقرب منه، ولكن ليس بقوة، لأنها هشة جداً. وفيما رقصا، زوجاً وزوجة، وضعت يدها على وجهه، كما لو أنها لا تزال كل هذا الوقت مذهولة كيف أعادها إلى المنزل. قبّل الندبة في راحة يدها، ثم الندبة في اليد الأخرى. تحت مجموعة رائعة من النجوم، تحت ضوء القمر، بدت رائعة جداً بحيث خذلته الكلمات، مثلما خذلته غالباً قبلاً. وبالرغم من أنه يعرفها جيداً بقدر ما يعرف نفسه، بدت غامضة بقدر ما بدت رائعة، مع عمق سرمدي في عينيها، لكنها ليست أكثر غموضاً من النجوم والقمر وكل الأشياء على الأرض.

www.rewity.com dodyadode